الى الجامعة الاردنية
مع الاحترام

16/5/2012

جامعة اليرموك

كلية الآثار والأنثروبولوجيا

قسم الآثار

عنوان الرسالة

أنماط السكن في المرتفعات الجبلية الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، 1200 إلى 1000 ق.م

Iron Age I (1200-1000 B.C) Settlement Patterns in the highlands of Palestine

إعداد الطالب

غسان سعيد بدر نجاجرة

إشراف:

أ.د. زيدان كفافي

التخصص: علم الآثار

10/ أيار/ 2012م

19/ جمادى الآخر / 1433هـ

أنماط السكن في المرتفعات الجبلية الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، 1200 إلى 1000 ق.م

Iron Age I (1200-1000 B.C) Settlement Patterns in the highlands of Palestine

إعداد: غسان سعيد بدر نجاجرة

بكالوريوس في علم الآثار من جامعة القدس، القدس، فلسطين 2006

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في علم الآثار في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

وافق عليها

أ.د. زيدان كفافي .... مشرفاً ورئيساً

أ.د. خالد أبو غنيمة .... عضواً

د. عمر الغول .... عضواً

10/ أيار/ 2012م

19/ جمادى الآخر / 1433هـ

الإهداء

إلى جدي بدر نجاجرة الذي فارق الحياة قبل أن أُبصر نورها

إلى جدتي الغالية رتيبة نجاجرة

إلى كل طلاب العلم في وطننا العربي الحبيب...

شكر وعرفان

لا يسعني وقد انتهيت من كتابة هذه الرسالة إلا أن اشكر كل من أعانني ووقف بجانبي في كل مراحل كتابتها، شكري الخالص لأستاذي، الأستاذ الدكتور زيدان كفافي على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، والوقوف إلى جانبي في كل خطوة وإبداء النصح والتمحيص والتصحيح لفصولها والاهتمام البالغ الذي أعجز عن تقديره واشكر عضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور خالد أبو غنيمة والدكتور عمر الغول، على قبولهما مناقشة الرسالة وعلى تحملهما مشقة قراءتها وإبداء الملاحظات القيمة والسديدة.

وأشكر كلية الآثار والأنثروبولوجيا في جامعة اليرموك، وكل أعضاء هيئة التدريس والطلاب فيها، واشكر والدكتورة ميسون النهار والأستاذ الدكتور هاني هياجنة، والدكتور عمر الغول الذين أكن لهم كل الاحترام والتقدير على تدريسي ونصحي وإفادتي بكل ما هو جديد ونافع. ولن أنسى في هذا المقام أن اشكر جامعة القدس والمعهد العالي للآثار وكل أساتذتي وزملائي هناك، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور هاني نور الدين الذي تعلمت على يديه البحث في آثار بلاد الشام في العصور البرونزية والحديدية.

اشكر الأستاذ الدكتور ساي غيتين Seymour Gitin من معهد أولبرايت للدراسات الشرقية Albright والدكتور ستيفان اورتيز Steven Ortiz والدكتور ساموِل وولف Samuel Wolff والدكتور Terry Hofecker من مشروع حفريات تل الجزر، والدكتورة بربرا بورتير Barbara Porter من المركز الأمريكي للدراسات الشرقية ACOR على ما قدموه لي من دعم مالي أثناء دراستي في جامعة اليرموك. وأتقدم ببالغ الشكر والعرفان لأسرتي مكتبة جامعة اليرموك ممثلة بالسيد جمال فودة ومكتبة المركز الأمريكي للأبحاث الشرقية ACOR ممثلة بالسيدة سامية خلف كفافي للتعاون والمساعدة المنقطعة النظير.

وشكري العميق لصديقي وزميلي هاشم خريس الذي ما كنت لأنتهي من كتابة الرسالة لولا وقوفه إلى جانبي في عمل كل ما يلزم من تحرير لغوي وآراء مفيدة، وأصدقائي عاصم دولة ورائد عيد وعفاف زيادة والدكتور عبد الرحمن السروجي وفاطمة-الزهراء بصديق ورازي غياضة وزينب اوزتورك وأحمد زعارير وسلام الواكد وهمام شلالدة وأسماء البون وإبراهيم برغيث لهم كل الشكر على كل ما قدموه لي من دعم وتشجيع في هذه الفترة.

وأشكر عمي فوزي نجاجرة وأخواتي وجدان وفيروز، وإخواني محمد وبدر على حبهم ودعمهم وتشجيعهم المتواصل لي، وأخيرا أشكر أمي وأبي لمنحي الحياة ولأنهما أغلى ما أملك في هذا العالم.

إلى كل هؤلاء محبتي وفائق الاحترام والتقدير والشكر والعرفان...   غسان

فهرس المحتويات: **الصفحة**

فهرس الخرائط | الصفحة

فهرس الأشكال **الصفحة**

فهرس الجداول الصفحة

Abbreviations الاختصارات

BA	*Biblical Archaeologist.*
BAR	*Biblical Archaeology Review.*
BASOR	*Bulletin of the American Schools of Oriental Research.*
EAEHL	*Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land.*
IEJ	*Israel Exploration Journal.*
JNES	*Journal of Near Eastern Studies.*
PEQ	*Palestine Exploration Quarterly.*
NEAEHL	*The New Encyclopedia of Archaeological Excavation in the Holy Land.*

قائمة بأسماء المواقع الأثرية باللغة العربية والتسمية العبرية لها

اسم الموقع بالعربية	المكان الجغرافي	الاسم بالعبرية
أسدود	ساحل البحر الأبيض المتوسط	اشدود
برية القدس - الخليل	شرق القدس وبيت لحم والخليل	صحراء جودة
بيتين	رام الله	بيت إيل
تل بئر السبع	بئر السبع	بير شيفع
تل بطاشي	بئر السبع	تل بتاش
تل بلاطة	نابلس	شخيم
تل بيت مرسم	مناطق السفلة الجنوبية	دبير
تل تعنك	جنين	تل تعناخ
تل التل	رام الله	تل هعاي (الخراب)
أبو شوشة (تل الجزر)	الرملة	تل جيزر
تل الحصن (بيسان)	بيسان	بيت شان
تل الدوير	السهل الساحلي	لكش/ لاخيش
تل الرميلة (بيت شمس)	السفلة	بيت شيمش
تل السلطان	أريحا	يريحو
تل السمك	حيفا	شقمونا
تل سيلون	رام الله	شيلو
تل الصارم	بيسان	تل راحوب
تل الصافي	الرملة	تل صفيت/ غات
تل الفول	شمال القدس	جيبيه
تل القاضي	شمال شرق فلسطين	تل دان
تل القديرات	النقب	قادش برنيع
تل قصيّلة	السهل الساحلي	تل كسيلة
تل المشاش	بئر السبع	تل مشوش
تل المتسلم	الناصرة	مجدو
تل المقنع	الرملة	تل مكنة/ عكرون
تل الملح	النقب	تل ملحاته
تل وقاص (القدح)	شمال شرق فلسطين	حاصور
الجيب	القدس	جيبون
خربة إطبيقة	الخليل	بيت زور
سبسطية	شمال نابلس	السامرة
السفلة	السفوح الغربية للقدس-الخليل	شفيلا
صحراء النقب		صحراء نجيب/ نجيف
عزبة صرطة	شمال غرب نابلس	عزبة سارتة
عسقلان	ساحل البحر الأبيض المتوسط	اشكلون
عكا	عكا	اكر/ اكو
مرج إبن عامر	شمال جنين	جزراعيل
القدس وبيت لحم والخليل		جودة
منطقة نابلس ورام الله		إفرايم

الملخص

قام الباحث في هذه الدراسة بالعمل على دراسة مشكلة أنماط السكن والاستيطان في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، ولفهم وحل هذه المشكلة قُسّم البحث إلى عدة فصول ركز كل منها على جانب معين من هذه المشكلة؛ ففي الفصل الأول والثاني تم دراسة أهم النظريات التي حاولت تفسير ظاهرة السكن في تلك المنطقة وذلك بالاعتماد على المنهج التاريخي الذي يجعل العهد القديم أساساً انطلق منه أصحاب تلك النظريات في حل المشكلة وهي نظرية الغزو العسكري، ونظرية التسرب السلمي، ونظرية الثورة الاجتماعية، ونظرية البداوة الرعوية، ونظرية الخليط المتعدد. أما الفصل الثالث فقد تم التركيز فيه على تحديد العامل الزمني من خلال النظر إلى العصر الحديدي الأول وتأريخه والذي يعتقد أصحاب النظريات المذكورة أعلاه بحدوث ما يدعون إليه خلال تلك الفترة، وبهذا فقد تم استعراض عملية تطور تأريخ العصر الحديدي الأول منذ بداية القرن العشرين ميلادية وحتى بداية القرن الواحد والعشرين. وخصص الفصل الرابع من أجل التعرف على العامل المكاني من خلال تحديد جغرافية المرتفعات الفلسطينية وتقسيمها إلى وحدات جغرافية من الشمال وحتى الجنوب، وهو المكان الذي تدور فيه الأحداث التي ناقشتها نظريات السكن والاستيطان في الفصل الأول والثاني. أما الفصل الخامس فهو يعالج البيئة وما تتضمن من مفاهيم جيولوجية وجيومورفولوجية ومناخية، وتكنولوجية قام الإنسان باستخدامها عبر العصور، بالإضافة إلى التعرف على تأثير البيئة والتغير المناخي على الإنسان والحيوان والنبات في منطقة الدراسة في العصر الحديدي الأول. وتكمن أهمية هذا الفصل في أن الباحث حاول من خلاله وضع أول الحلول لظاهرة السكن في المرتفعات الفلسطينية بالاعتماد على الأحوال المناخية الجافة والظروف التي ربما يواجهها الإنسان في ظل ذلك والتي تضطره إلى التأقلم مع بيئته. ومن

ثم ناقش الفصل السادس مفهوم السكن والاستيطان ومفهوم الأنماط السكنية، وأهمية وعناصر دراسة الأنماط السكنية، والمؤثرات التي تحدد تلك العملية، بالإضافة إلى التعرف على طـرق نشوء أنماط السكن والاستيطان وشروط ذلك، وهو ما يفيد في معرفة ظروف نشوء الاستيطان في المرتفعات الفلسطينية وغيرها من المناطق السكنية في الشرق القديم والعالم. أما الفصـل السابع والأخير فقد ركّز فيه الباحث على المسوحات الأثرية التي أجريـت فـي المرتفعـات الفلسطينية للعصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني، ومن ثم عمل جداول لإحصاء أعداد المواقع المؤرخة إلى كل فترة وفي كل منطقة، وذلك للتعرف على توزيع وانتشار أنماط الاستيطان زمنياً ومكانياً بالاعتماد على الخرائط التوضيحية وتقسيم المناطق إلـى وحـدات جغرافية بيئية، لمحاولة فهم تلك الظاهرة. وقد قام الباحـث فـي خاتمـة البحـث بإعطـاء الملاحظات حول النظريات التي تم مراجعتها في الفصل الأول والثاني وتوصل إلى عدة نتائج قادته إلى استخلاص نموذج افتراضي حول ظاهرة السكن في المرتفعات الفلسطـينية خـلال العصر الحديدي الأول.

كلمات مفتاحية: العصر الحديدي الأول، أنماط السكن، المرتفعات الفلسطينية.

Abstract

The aim of this thesis is to address one of the most important archaeological subjects and most debated on the archaeological and historical scales, during the 20th century and now a day, discussing the Settlement Patterns in the Highlands of Palestine during the Iron Age I and with the involvement of many Archaeologists and Historians over this period. Therefore, we found it is very necessary to understand this phenomenon and tend to see it from different perspectives different from what have been done toward the attempts of understanding it from the previous researchers.

The researcher then and for the above-mentioned goal, divided the thesis into seven chapters. The first and the second chapters dealt with the literature review of the most important theories discussing the settlement patterns in the Highland of Palestine over the last century and the beginning of the current one, including the Military Conquest Theory, the Peaceful Infiltration Theory, the Social Revolution Theory, the Pastoral Nomads Theory and the Mixed Multitude Theory.

In light of the first and the second chapters, the researcher then discussed the temporal factor of the settlement process in the third chapter, by defining the chronological sequence of the Iron Age, the period of the settlement phenomenon which the theories focusing on to explain.

In the fourth chapter we looked at the spatial factor by geographically indicating the highlands of Palestine and dividing it into separate units from North to South depending on the fact that each unit of it showing different environmental settings.

The Paleoenvironment is the focal point of the fifth chapter. In this chapter, the researcher tried to indicate elements of the environment and their influence on man, animal and plants scales. These elements included geology, geomorphology, climate and climate change, and the technology humans use to survive with the changes that occurred in any area of the world and in the Highlands of Palestine in particular.

In the sixth chapter, the researcher generally defined the means of the settlement and the concept of its patterns. In so doing, the factors, ways, conditions of emergence and the changes within specific environmental and economic frameworks have been highlighted.

The last chapter indicates the patterns of settlement in the Highlands of Palestine during the Late Bronze and Iron I-II ages. Maps and tables are to support our insight to the sites and the changes in its spread and distribution over temporal and spatial components. This procedure is to understand the settlement patterns according to the archaeological survey conditioned in the Highlands of Palestine by the Israeli Archaeologists.

At the end of this study, a criticism has been made over the reviewed theories of the first and the second chapters in light of the following ones. Beside the thesis results, the researcher offered a hypothetical model for what might be the case, archaeologically, historically, and environmentally, in the Highlands of Palestine during the Iron Age I, reflected through the Settlement Patterns.

Kay words: The Iron Age I, Settlement Patterns, The highlands of Palestine.

المقدمة:

تُعد دراسة أنماط الاستيطان في علم الآثار من مقوماته الهامة فهي تلقي الكثير من الضوء على مفهوم تطور سكن الإنسان عبر العصور، بالاعتماد على مظاهر عديدة تعالج الموضوع من جهات مختلفة فمنها ما يعالج الكيفية التّي يتوزع فيها الناس على الأرض من نواحي بيئية مناخية وجغرافية، وتوزيع الناس أنفسهم على المواقع بناء على أحجامها وأنماط بنائها. من هنا فإن عملية الدراسة والبحث ستدور حول أنماط الاستيطان في فترة زمنية محددة وهي العصر الحديدي الأول.

إن ما يسمى بالعصر الحديدي بشكل عام، والأول وبدايته بشكل خاص يُعّد من الفترات المهمة أثرياً وتاريخياً في فلسطين بشكل خاص وبلاد الشام بشكل عام، من أجل ذلك تركزت معظم الدراسات حول هذه المرحلة الزمنية، وقد شملت تلك الدراسات إجراء العديد من الحفريات والمسوحات الأثرية التي تناولت تحليل وتفسير الكثير من المظاهر الحضارية لسكان هذه المرحلة. وقد حرص القائمون عليها على تقسيم الأرض جغرافياً والفصل حضارياً بين المناطق المنخفضة فيها والمرتفعة معتمدين في ذلك على نمط معين من الدراسات الأثرية وهو تغير طبيعة الاستيطان فيها. في هذا الصدد فإننا نجد أن الباحثين اتبعوا في تفسيراتهم مناهج بحثية متعددة اعتمدت في تنفيذها على استخدام مجموعة من العلوم البحتة، ففي منطقة الدراسة أي المرتفعات الفلسطينية تركزت المسوحات والحفريات الأثرية التي قام بها عدد من الباحثين الذين اتبعوا المنهج التاريخي في تفسير أنماطها الاستيطانية. وحيث أننا نرى أن هذا المنهج قاصر في التعرف على أنماط الاستقرار البشري، فإننا نعتقد أن دراسة هذا الموضوع، أي تفسير طبيعة وأنماط الاستقرار البشري تعتمد في بنائها على دراسة واستخدام عدد من العلوم هي: الآثار، والجغرافيا، والبيئة والاقتصاد.

وفي الدراسة التي بين أيدينا سنقوم بدراسة الآتي: العامل البيئي، ومفهوم الاستيطان، ودراسة توزيع وانتشار المواقع الأثرية، وطبيعة ونمط هذه المواقع من العصـــر البرونـــزي المتأخر إلى العصر الحديدي الثاني. وستوزع الدراسة على عدة فصول تبدأ بالمراجعة الأدبية لتاريخ البحث في النظريات التي طرحت حول السكن في المرتفعات الجبلية، ثم يليـــه فصـــل حول تأريخ العصر الحديدي الأول، يتبعه فصل حول جغرافية المنطقة، أما الفصل الخـــامس فهو يدرس بيئة منطقة الدراسة القديمة الجيومورفولجيا والمناخية، ومن ثمـــة التطـــرق إلـــى مفهوم الاستيطان والسكن في الفصل السادس. وأما الفصل السابع فهو يقدم دراسة تفصـــيلية لتوزيع مواقع العصر الحديدي الأول في منطقة الدراسة. كل ذلك سيقودنا في النهايـــة إلـــى محاولة الوصول إلى تصور شكل الأنماط السكينة للعصر الحديدي الأول، من وجهة نظر علم الآثار بشكل مستقل، مبني على الإعمال الميدانية من مسوحات والتي تم نشرها في عدد كبير من التقارير في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي. إضافة لذلك فـــإن الاســـتعانة بـــالعلوم الطبيعية مثل الجغرافيا والمناخ وغيره من الفروع بات من الأمور التي لا تقبل الجدل حـــول فاعليتها، وقدرتها على مساعدة علم الآثار في تفسير الظواهر التي اســـتغرقت وقتـــاً طـــويلا لفهمها في الماضي.

المشكلة البحثية:

السؤال: ما هو شكل وطبيعة الاستيطان في العصر الحديدي الأول في المرتفعـــات الجبليـــة الفلسطينية؟

يعد العصر الحديدي بشكل عام، والأول بشكل خاص، من أهم العصـــور الأثريـــة والتاريخية التي مرت على فلسطين، لهذا السبب تركزت معظم الدراسات حول هذه الفتـــرة

الزمنية، وشملت العديد من الحفريات والمسوحات، التي تناولت تحليل وتفسير الكثير من المظاهر الحضارية لسكان هذه المرحلة، وقد حرص الدارسون لها، على تقسيم الأرض جغرافياً، والفصل حضارياً بين المناطق المنخفضة فيها والمرتفعة. اعتمد ذلك على واحد من العناصر المهمة أثرياً، وهو النمط الاستيطاني فيها، في هذا الصدد تنوعت الدراسات معتمدة على فروع علمية مختلفة؛ ففي منطقة الدراسة تركزت المسوحات والحفريات الأثرية، وتبعتها المناهج التاريخية في تفسير أنماطها الاستيطانية، بناءً على ما تقدم ستتم محاولة تفسير طبيعة وأنماط الاستيطان بالاعتماد على العوامل الأثرية، والجغرافية، والبيئية.

وحتى يتم فهم طبيعة وأنماط استيطان المرتفعات في فلسطين، لآبد من طرح أسئلة معينة، نحاول من خلالها الفهم والإجابة على ما تقدم في المشكلة البحثية، ومن هذه المشاكل ما يلي:

1- العامل البيئي: الذي يتضمن الكثير من العناصر الهامة، فما هو الدور الذي يمكن أن تلعبه البيئة في تحديد طبيعة أنماط السكن؟

2- مفهوم الاستيطان: ذلك بالكيفية التي تنعكس فيها الأنماط، فما هي مظاهرها في العصر الحديدي الأول في المرتفعات الفلسطينية؟

3- دراسة توزيع وانتشار المواقع الأثرية التي تعود للعصر الحديدي الأول في منطقة الدراسة. فكيف جرت عملية التوزيع الاستيطاني في المرتفعات خلال العصر الحديدي الاول؟

التعريف بالمصطلحات:

العصر الحديدي الأول: هي الفترة التي تعقب العصر البرونزي المتأخر، وتمتد من حـــوالي 1200 إلى 1000 ق.م.، و التي تتبعها فترة العصر الحديدي الثاني.

المرتفعات الفلسطينية: هي الأراضي المرتفعة عن السهل الساحلي، وغور الأردن، وهي تمتد جغرافياً من شمال البلاد إلى جنوبها، وتحتوي على ثلاثة وحدات جغرافية وهي:

1- مرتفعات الجليل: وتقع في شمال فلسطين، حيث تمتد من الحدود اللبنانية الجنوبية حاليـــاً، حتى شمال مدينة جنين.

2- مرتفعات الكرمل: تقع في الشمال الغربي للسهل الساحلي الفلسطيني.

3- المرتفعات الوسطى: التي تمتد من نابلس شمالاً، حتى شمال النقب جنوباً.

التوزيع ونمط الاستيطان: هي عملية توزيع المواقع الأثرية على رقعة الأرض، بحيث تظهر كثافة انتشار المواقع، أو قلتها في أي بقعة جغرافية.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية الدراسة من خلال النقاط التالية:

1- التعرف إلى النشاطات الأثرية الميدانية والنظرية، في منطقة الدراسة.

2- التعرف على التأريخ الزمني للعصر الحديدي الاول.

3- التعرف إلى المنطقة من الناحية الجغرافية، في العصر الحديدي.

4- فهم الدور البيئي في تحديد طبيعة توزيع وانتشار أنماط الاستيطان بشـــكل عـــام، وفـــي العصر الحديدي الأول بشكل خاص.

5- فهم معنى الاستيطان، أشكاله، وعناصرها.

6- دراسة طبيعة وتوزيع وأنماط الاستيطان في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، والذي يمكن من خلاله فهم هذه الظاهرة، وتطبيقها على أنماط الاستيطان في المراحل السابقة واللاحقة لهذه الفترة.

7- محاولة الوصول إلى نتيجة حول توزيع وانتشار أنماط السكن والاستيطان في العصر الحديدي الأول بالاعتماد على علم الآثار وغيره من العلوم المساعدة.

المعلومات، ومنهجية الدراسة:

1- المعلومات الأولية:

في هذه الدراسة، لن يقوم الباحث بإجراء نشاطات ميدانية من مسوحات أو حفريات أو جلب عينات للدراسة، إلا انه، سيعتمد على المعلومات الأولية المنشورة، والتي تتضمن الحفريات، أو المسوحات، أو عينات من نتاجهما.

2- المعلومات الثانوية:

سيتم الاعتماد في هذا الدراسة على الدراسات السابقة التي قام بها علماء الآثار، والجغرافيا (الجغرافيين) والبيئة، وذلك من خلال القراءات التي ستتناول تقارير المسوحات او الحفريات الأثرية حول المواد الحضارية المكتشفة في المواقع، وتفسير هذه المواد من خلال المقالات والكتب المنشورة، والخرائط التي تبين أماكن وجود المواقع الأثرية وتوزيعها جغرافياً، في مناطق المرتفعات، هذا وبالإضافة إلى تقارير المسوحات الأثرية لكل وحدة جغرافية في منطقة الدراسة.

3- منهجية البحث:

سيتم في هذا البحث، الاعتماد على:

أ- المنهج التحليلي، والذي يعتمد على المسوحات الأثرية ونتائجها والمعلومات البيئية.

ب- المنهج الإحصائي: ليتم إحصاء عدد المواقع لكل منطقة من مناطق الدراسة، ومقارنتها بالأخريات.

بالإضافة لما ذكر أعلاه: سيتم تقسيم منطقة الدراسة إلى وحدات رئيسية بالاعتماد على العوامل الجغرافية، والبيئية وهي: أ- مرتفعات الجليل.

ب- مرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله.

ج- مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل

مخطط البحث:

ستحتوي هذه الدراسة، على سبعة فصول، وفي ما يلي أدناه توضيح للمخطط بشكل أكثر تفصيلاً:

أ- فهرس المحتويات.

ب- فهرس الأشكال والصور.

ت- فهرس الخرائط.

ج- فهرس الجداول.

ح- المقدمة.

خ- فصول الدراسة:

- الفصل الأول: تاريخ البحث: مراجعة نظريات الغزو العسكري والتسرب السلمي.
- الفصل الثاني: مراجعة نظريات الثورة الاجتماعية، والبداوة الرعوية، والخليط المتعدد.

- الفصل الثالث: دراسة تأريخ العصر الحديدي الأول.
- الفصل الرابع: دراسة جغرافيا مناطق المرتفعات الفلسطينية.
- الفصل الخامس: التعرف على بيئة المرتفعات الفلسطينية وعناصرها وكيفية تـأثير ذلـك على الإنسان والحيوان والنبات.
- الفصل السادس: تعريف مفهوم السكن والاستيطان، وتعريف المفهوم النمط، بالإضافة إلى التعرف على عناصر ومؤثرات وطرق دراسة أنماط السكن والاستيطان.
- الفصل السابع: توزيع المواقع الأثرية، بالاعتماد على المسوحات الأثرية في المنطقة.

ذ- الخاتمة.

ر- المصادر والمراجع.

الفصل الأول

نظريتا الغزو العسكري والتسرب السلمي في المرتفعات الفلسطينية

مقدمة:

شَغلت ظاهرة السكن (السكنى أو طبيعة الاستقرار) في المرتفعات الفلسطينية خــلال العصر الحديدي الأول اهتمام الباحثين في علم الآثار خلال العقود المنصــرمة، وكــان لهــا نصيب وافر في استقطاب بعض العلماء الذين قاموا بدراستها ووضع النظريات حولهــا فــي محاولة منهم لتفسير هذه الظاهرة. وقد نتج عن هذه الدراسات العديد من النظريات يحاول كل منها تفسير الطريقة التي سُكنت فيها مناطق المرتفعات الفلسطينية بحسب الآراء التي يراهــا مناسبة لذلك. علاوة على ذلك، فقد تشكلت على إثر هذه النظريات مدارس أصبحت معروفــة وعالمية، وأصبح لكل منها منهج وطريقة تفكير وتحليل مختلفة عن غيرها.

وفي ما يأتي سوف نستعرض هذه النظريات أو المدارس ونتعرف على الكيفية التــي نتجت منها كل نظرية، وعلى ماذا استندت من الحقول العلمية والمشاكل التي تعتريها.

1-1 نظرية الغزو العسكري (Military Conquest)

وهي من أولى النظريات التي تناقش موضوع طبيعــة الاســتقرار فــي المرتفعــات الفلسطينية خلال العصر الحديدي الأول، ويعد وليم أولبرايت W.F. Albright عالم الآثــار الأمريكي صاحب هذه النظرية، خرج بها عام 1930م، ويلاحظ بأنه وتلاميذه ومناصروه قــد تأثروا بالسرد القصصي التوراتي، من أمثال جورج ارنست رايــت G. E.Wright وجــون برايت John Bright. يعتقد أصحاب هذه النظرية أن الإسرائيليين دخلوا الأرض الكنعانيــة بعد خروجهم من مصر خلال نهاية فترة حكم المملكة المصرية الحديثة عن طريــق جنــوبي بلاد الشام، وذلك في بدايات العصر الحديدي، وأن بني إسرائيل ضلوا طريقهم في صــحراء سيناء لمدة طويلة من الوقت (أربعون عاماً). وتقول إصحاحات التوراة بهذا الصدد أن هؤلاء

خرجوا من مصر بقيادة موسى، لكنهم دخلوا أرض كنعان (فلسطين) بقيادة يَشُوعَ (قصة الخروج). ولم يستطع العلماء حتى الآن تحديد الموقع أو المكان الذي عبر منه الإسرائيليون إلى فلسطين، علماً أن التوراة تشير إلى منطقة أريحا.

قام Albright بنشر المقالة الأولى له بعنوان *Archaeology and the Date of the Hebrew Conquest of Palestine* في عام 1935م، التي تناقش موضوع الهجوم الإسرائيلي على أرض كنعان في نهاية العصر البرونزي المتأخر، وبدايات العصر الحديدي الأول، وتحدث فيها حول تأريخ الهجوم على مواقع مثل تل بيت مرسم (دبير)، وتل السلطان وبيتين (بيت إيل) وتل الدوير (لاخيش)، وذلك لرصد الحدث التوراتي من خلال علم الآثار. فهو يعتقد بأن الحفريات التي تمت في موقع تل بيت مرسم، تشير إلى أن المدينة الكنعانية في هذا الموقع دمرت من خلال الهجوم الإسرائيلي عليها، ويؤرخ هذا الدمار ما بين 1250 و 1200 ق.م، مع العلم أن Albright نفسه قد نقب في هذا الموقع. ومن ثم يتحدث عن التسلسل في مهاجمة مواقع تل السلطان وتل التل (عاي)، والتي يَعتقدُ أنها بيتين (بيت آيل)، وكل ذلك بالاعتماد الكامل على ما يرويه سفر يَشُوعَ في العهد القديم يذكر Albright كذلك قصة الخروج التي حدثت في مصر، وفي المناطق الجنوبية لأرض كنعان، وهو يعتمد بذلك على أسفار التكوين والخروج، في محاولة منه لوضع التأريخ الصحيح للأحداث (Albright .(1935:10 -18

أما في المقالة الثانية وعنوانها: *Further Light on the History of Israel from Lachish and Megiddo* فقد تحدث Albright حول موقعي تل الدوير وتل المتسلم (مجدو)، ويذكر أن الإسرائيليين دخلوا موقع تل الدوير في حوالي 1231 ق.م، والدليل على ذلك كمان يورده Albright هو ذكره حملة الملك المصري مرنبتاح على المنطقة والدمار

الذي خلفه في الموقع بشكل خاص في عام 1230 ق.م وذلك لأن ذكر إسرائيل في مسلة مرنبتاح، والتي يتحدث فيها الفرعون حول الحملة العسكرية تؤرخ إلى حوالي "1230 ق.م" بحسب Albright (24 :1937). أما عند ذكره لموقع تل المتسلم فيشير إلى أن هذا الموقع تم استيطانه من قبل الإسرائيليين في فترة متأخرة عن الهجوم الذي قام به مرنبتاح على المواقع الأخرى الواقعة في مناطق المرتفعات الوسطى لفلسطين، ويعود ذلك في رأيه إلى أن تل المتسلم قد سُكن بشكل متواصل من العصر البرونزي المتوسط وحتى نهاية الطبقة الأثرية VII، التي لاحظ المنقبون أن الموقع قد هُجر في هذه الفترة، هذا بالإضافة إلى الفروقات الواضحة في المادة الأثرية المكتشفة في الموقع، وبالتحديد في الطبقة VI والتي تعود لحوالي 1150 ق.م، عن سابقتها من البقايا، كما ويضيف أن الفخار الذي وجد في مواقع المرتفعات الوسطى ومنها؛ تل بلاطه (شخيم) تل سيلون (شيلو) وبيتين (بيت–إيل) وتل التل (عاي)، وتل الفول (جيبيه) وخربة إطبيقة (بيت زور) مشابه لما هو موجود في تل المتسلم (Albright 25 :1937). وهكذا فإن التشابه في المادة الحضارية المكتشفة في هذه المنطقة يدل على أنها قد صنّعت من قبل جنس أو عرق بشري واحد.

وفي عام 1939م أشار Albright إلى الهجوم الإسرائيلي على الأراضي الكنعانية وعن الصعوبات المتلاحقة في عملية تأريخ هذا الهجوم، وأن تأريخ هذا الهجوم الذي أشار إليه في المقالتين اللتين نشرهما عامي 1935 و1937م بحاجة إلى إعادة النظر بسبب نتائج الحفريات الأثرية الجديدة التي أجريت في تلك الفترة كما هو الحال في تنقيبات تل المتسلم وتل الدوير. ويعتقد بأن عدم اعتماد مارتن نوت على العهد القديم كمصدر أساسي في إعادة بناء أحداث الغزو الإسرائيلي سيؤدي إلى عدم إمكانية تتبع أحداث الهجوم ولا الإشارة إليه من النواحي الأثرية (12-11 :1939). ويتابع Albright في نفس المقالة مناقشة نتائج حفريات

موقع تل التل، التي أجرتها ماركيوت-كراوزي Marquet-Krause، والتي دلت نتائج حفرياتها على وجود مدينة كنعانية في بدايات العصر البرونزي المبكر (EB II) لكنها هجرت ولم يسكنها الناس إلاّ في بداية العصر الحديدي الأول وذلك عندما بنيت قرية صغيرة على أنقاض الموقع الأقدم.

٧٢١٠٦٩

ونود الإشارة في هذا المقام إلى ما نشره Noth وDussaud حول وجود قصص أسطورية في العهد القديم، لا تتفق والواقع الأثري الصحيح لنتائج الحفريات في موقع تل التل والتي لا تشير إلى وجود طبقة دمار فيه. ومن هنا نستطيع القول أن قصة التدمير لهذا الموقع، والتي نادى بها Albright هي قصة أسطورية. لذلك فإننا نرى أن Albright حاول الربط بين ما هو مكتوب في سفر يَشُوعَ مع ما اكتشف في موقع بيتين القريب جدا من موقع تل التل. وأن القصة عندما كُتبت ربما نقل ما هو مقصود فيها بموقع بيتين إلى موقع تل التل ذي المساحة الكبيرة. إلا أن نوت Noth يرى غير ذلك ويعتقد بأن هذه القصة قد كُتبت في وقت متأخر جداً عن التأريخ الأثري لدمار بيتين، بالإضافة إلى أنه يركز على أن المذكور والمقصود هو التل (Ai) "الخراب" وليس أي موقع آخر في المنطقة (Albright 1939: 15-17). مع العلم أن مارتين نوت، ينتمي إلى مدرسة نظرية التسرب السلمي التي ابتكرها ألبرشت ألت Albrecht Alt، التي سيتم تناولها لاحقاً في سياق هذا الفصل.

أما بما يخص موقع تل السلطان الأثري، والواقع بالقرب من مدينة أريحا، فإن Albright وعلى الرغم من زعمه بأن التسلسل التاريخي للاستقرار البشري فيه غير دقيق ومحير، إلاّ أنه أكد أن تدمير تل السلطان حدث بين عامي 1375 و 1300 قبل الميلاد. واعتمد في قوله هذا على إجراء دراسة مقارنة للأواني الفخارية المكتشفة في هذا الموقع من هذه الفترة مع ما اكتشف في مواقع أخرى معاصرة (1939: 18-20). ونود الاشارة هنا إلى

أننا سندرس المشاكل التي تتعلق بالاستيطان في تل السلطان في موضع آخر من هذا الفصل، حيث نشير إلى أن Albright كان مخطئا في رأيه.

تناول Albright بعد ذلك الحديث حول ورود الاسم "إسرائيل" في المصادر المصرية القديمة، خاصة في بردية انستازي III ومسلة مرنبتاح والتي يروي فيها انتصاره على إسرائيل، التي يعتبرها Albright شعباً. أما بالنسبة لموقع تل بيت مرسم، وفي الطبقة C؛ فإن Albright يؤكد الدمار الذي حل بالمدينة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م، ويشير أيضاً إلى التشابه بين فخار تل بيت مرسم وتل الدوير في نهاية العصر البرونزي المتأخر (Albright 1939: 22-23)، مما يعني وجود التوافق المنشود الذي يحاول إيجاده Albright لدعم نظريته.

يواصل Albright التحدث حول نظريته، ويؤكد من جديد الغزو الإسرائيلي لمنطقة غرب الأردن (جلعاد) تحت قيادة موسى، والمناطق التي دخلها يَشُوعَ عسكرياً بعد موت موسى، في مناطق المرتفعات الفلسطينية الوسطى، والشمالية، والجنوبية. ويشير إلى وجود بعض الجماعات الإسرائيلية (العبرية) في الأراضي الكنعانية في الفترة السابقة لهجوم يَشُوعَ على المنطقة، وأن هذه الجماعات لم تُشارك في الهجوم (1940: 276-78)، ويعتقد بأن الطريقة التي غزا فيها الإسرائيليون الأرض الكنعانية كانت سريعة وبدون مضيعة للوقت، وبالتالي عمد الإسرائيليون إلى تدمير واحتلال كل المواقع السكنية في أرض كنعان. ويقول: "إن بيتين ربما كانت من أوائل المواقع التي هوجمت، وتم حرقها بشكل كامل، إضافة إلى تل بيت مرسم وتل الدوير، وان المصريين كانوا مندهشين في هذه الأثناء من سرعة تقدم الإسرائيليين في الهجوم. سكن الإسرائيليون بعد ذلك هذه المواقع، بالإضافة إلى إنشائهم مواقعَ جديدة لم تكن مسكونة من قبل، أو على الأقل لم تكن كذلك خلال البرونزي المتأخر". ويَصفُ

Albright الإسرائيليين بأنهم لم يكونوا بدواً، ويدلل على ذلك برأيه أنهم ما إن استقروا حتى بدؤوا في زراعة الأرض واستصلاحها، وبدا ذلك من خلال صهاريج المياه المقصورة التي تم اكتشافها والتي وجدت في العديد من مواقع العصر الحديدي الأول في المرتفعات الفلسطينية. ونتيجة لتلك الأحداث، استنتج Albright بأن هناك ثلاث مجموعات سكانية في الأراضي الكنعانية؛ الأولى منها هي مجموعة ما قبل الإسرائيليين، أما الثانية فهي الإسرائيليون الصحاح -الذين شاركوا يَشُوعَ هجومه على المنطقة-، وأما الثالثة والأخيرة فهي المجموعة الكنعانية. وحسب اعتقاده فقد اتحدت المجموعتان الأولى والثانية، أما الكنعانيون فقد اختلطوا مع الإسرائيليين إما من خلال المعاهدات أو الحرب، أو بطريقة الانصهار التدريجي في المجتمع الإسرائيلي الجديد (1940: 278-79).

أرغمت الاكتشافات الأثرية الجديدة في فلسطين الباحثين في علم الآثار إلى تعديل تقاليدهم النابعة من الفكر التوراتي، وخاصة ما هو مذكور في سفر يَشُوعَ، والتي يقاس من خلالها كيفية حدوث الهجوم الإسرائيلي، إلا أن هذه الاكتشافات لا تتعارض كلياً مع سفري يَشُوعَ والقضاة برأي Albright، والذي يعتقد بأنه من الصعب إمكانية إعادة بناء سير الأحداث الفعلية على الأرض خلال فترة استيطان الإسرائيليين من خلال علم الآثار، إلا أنه ومن ناحية أخرى يؤكد بأن هذا الهجوم قد حدث فعلاً في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م (1942: 95-96)، وفي معرض حديثه عن طبيعة المجتمع الإسرائيلي، يؤكد مرة أخرى بأنهم لم يكونوا بدواً بمعنى الكلمة، وأن الغزو ومن ثم الاستقرار لم يحدثا على عدة مراحل وإنما على مرحلة واحدة فقط، وخير دليل على ذلك حسب رأيه تلك الحفريات التي أجريت في مواقع تل بيت مرسم وتل أرميلة (بيت شمس) وبيتين، والمواقع التي سكنت سريعاً بعد الهجوم مثل موقعي خربة إطبيقة وتل الفول (1942: 102).

واصل Albright حديثه عن المكتشفات الأثرية في تل بيت مرسم، والدمار الذي حل بها بسبب عنف الهجوم الإسرائيلي عليها، والدمار الذي لحق بتل الدوير وتل السلطان وبيتين، وخلص من ذلك أن نهاية العصر البرونزي المتأخر، كان سببها وقع تلك الأحداث على المنطقة (1949: 108-9).

تحدث Albright في كتابه المنشور عام 1963 م بعنوان: *The Biblical Period from Abraham to Ezra* مرة أخرى حول المصاعب التي تواجه عمليات إعادة بناء أحداث الغزو، إذ لا يوجد اتساق بين تقاليد العهد القديم المتناقضة في ما بينها في سرد الأحداث من جهة، وغياب الشواهد الكتابية من النقوش والتي تتناول موضوع الغزو بشكل مباشر من جهة أخرى، وبين نتائج الحفريات الأثرية الغامضة من جهة ثالثة. إلا أن Albright عول بشكل كبير على علماء اللغة القديمة في تحليل النقوش المكتشفة أثناء الحفريات الأثرية والتي تسير في رأيه نحو تأكيد تأريخ الهجوم والدمار الذي حل بمواقع تل بيت مرسم، وبيتين، وتل الدوير، في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م (27 :1963).

عرج Albright إلى الحديث حول موقع تل وقاص (حاصور)، والحفريات التي أجراها يغال يادين Yigael Yadin هناك في الأعوام 1955–1958م، والتي أشارت برأيه إلى وجود طبقتين من السكن الإسرائيلي فيها في بدايات العصر الحديدي الأول، والتي تتمثل بوجود قرى فقيرة؛ دلّ على ذلك الفخار الذي وجد في مناطق الجليل. أما في ما يتعلق بموقع تل السلطان فإن Albright يعزو المشاكل التي تتعلق بهذا الموقع وعدم ظهور آثار من العصر البرونزي المتأخر فيه، وبالتالي عدم وجود طبقة الدمار التي سببها يَشُوعَ أثناء حملته عليها، هو في الحقيقة بسبب العوامل البيئية التي أدت إلى انجراف هذه الطبقة من التل خلال القرون الأربعة اللاحقة لذلك الهجوم (28-27 :1963). والجدير بالذكر أن كاثلين كنيون

Kathleen Kenyon عزت العوامل البيئية التي أدت إلى انجراف هذا الجزء من التل إلـــى فترة سبقت ما أشار إليها Albright (Kenyon 1965: 211).

وفي تعليقه على نظرية التسرب السلمي، فأن Albright لا يعتبر الإسرائيليين بــدواً رحلاً يعيشون في الخيام، وأنهم لم يدخلوا الأرض الكنعانية بطرق سلمية بطيئة، بل يؤكد أنهم دخلوها عن طريق الغزو فأحرقوا كل المدن الموجودة بشكل كامل، وذبحوا سكانها والماشــية التي يمتلكونها (Albright 1963: 31).

نُشر الكتاب الأخير لـ Albright بعــد موتــه بــثلاث ســنوات بعنــوان: *The Archaeology of Palestine and the Bible* ، الذي وصف فيه عمليات إعادة البناء التي جرت في موقع تل بيت مرسم من خلال العناصر البنائية في الطبقة (B) وذلك بمقارنتها مع الطبقة السابقة لها (C)، قام السكان في هذه الطبقة (B) ببناء الجدران المزدوجة Casemate Walls للحماية، بالإضافة إلى إعادة بناء بعض العناصر التي كانت موجــودة أصــلا فــي الطبقة(C)، مثل أساسات الأبنية والجدران. وقد تم العثور على بعض مســتودعات تخــزين الحبوب Silos في الطبقة (B)، وهذا يدل في رأي Albright على وجود جماعات جديــدة حلت محل السكان القدماء للموقع (1974: 101-103).

هكذا، يُلاحظ أن نظرية الغزو العسكري الإسرائيلي، خلال نهاية العصر البرونــزي المتأخر، وبداية الحديدي الأول، كانت مسيطرة على Albright في معظم كتاباته ومنشوراته، ولم يكن Albright الوحيد الذي تبنى هذه الفكرة، فقد تبعه تلاميذه من أمثال ارنست رايــت G. Ernest Wright و كما أشير أعلاه، ويغال يادين Yigael Yadin. وفي ما يلي ســيتم التعرف على ما كتبه Wright حول الغزو العسكري الإسرائيلي الذي تحدث عنه Albright.

نَشر رايت Wright المقالــة الأولـــى لـــه عـــام 1940م بعنـــوان: *Epic of the Conquest*، حول موضوع الهجوم، إذ عدّ الإقامة المؤقتة في مصر والنجاة مـــن العبوديـــة ومرحلة التيه في صحراء سيناء ومن ثمة الهجوم على أرض كنعان (الأرض الموعودة) عدها ملاحم بطولية حدثت مع الإسرائيليين، ويّعتبر سقوط تل السلطان والهجوم علـــى تـــل التـــل والتحالف ضد الكنعانيين قصصاً واقعية تروي ما حدث في ماضي الإسرائيليين. إضافة إلـــى اعتقاده بأنه أياً كان السبب في دمار تل السلطان سواء كان بسبب الزلازل أو الغـــزو، فـــإن الموقع قد سقط فعلاً في أيدي الإسرائيليين، وخير دليل على ذلك في اعتقاده هو ذلك الرمـــاد المنتشر في خِراب التل، والانهيارات التي أصابت جدران التحصينات (26-25 :1940).

يؤكد Wright أن سفري يَشُوعَ والقضاة حملت الإسرائيليين من انتصار إلى آخـــر، وأن القلاع الكنعانية قد انهارت أمام غزوهم؛ إذ أن تل الدوير دُمر في العام 1230 ق.م، وتل المتسلم في عام 1100 ق.م، لحقهما مواقع تل الحصن (بيت شان)، والقدس، وتل الجزر (تل جيزر). وهكذا، فإنه يؤكد أن الإسرائيليين قد غزوا كل الأراضي الكنعانية من تل القاضي (تل دان) في الشمال، وحتى مناطق بئر السبع في الجنوب. ومن السهل الساحلي الشرقي للبحـــر الأبيض المتوسط، وحتى الصحراء الشرقية في الأردن (26 :1940).

أكد Wright؛ أن الندرة في وجود القرى أو المدن في المرتفعـــات الفلســـطينية فـــي العصر الحديدي الأول كان من أهم العناصر التي ساعدت الإسرائيليين على احتلال المنطقـــة (29 :1940). إضافة إلى ذلك العنصر هناك عنصر آخر لعب دوراً مهماً في المساعدة على الهجوم، وهو طبيعة الإسرائيليين البدوية أو شبه البدوية، وهو بذلك يعتبر أن كلمـــة العبيـــرو التي ذكرت في المصادر المصرية تعود على الإسرائيليين الذين كانوا يعيشون على هـــامش المجتمع المصري القديم، في مصر وجنوب بلاد الشام في العصر البرونزي المتأخر، إضافة

إلى أنهم من وجهة نظر Wright كانوا يعرفون المنطقة جيداً، وأنهم أجبروا على العمل لدى الفراعنة المصريين، الأمر الذي دفعهم إلى الاتحاد تحت راية واحدة ترفض العبودية لدى المصريين، وتساعد على إيجاد مكان أفضل لهم للعيش فيه، وهكذا تم الاتحاد بقيادة موسى، فدخلت هذه الجماعات إلى أرض كنعان ودمرتها واستوطنتها بعد ذلك. وباعتقاده فإن وجود بعض الجماعات الإسرائيلية في كنعان قبل عملية الهجوم ساعد في استقرار الجماعات القادمة بشكل تدريجي سريع (1940: 28-32).

يركز Wright على أن تل السلطان قد دُمر بسبب الإسرائيليين حسب ما هو مذكور في سفر يَشُوعَ، ويستشهد بما قدمه جارستنغ Garstang الذي أرخ دمار أسوار المدينة التي ظهرت في الطبقة الأثرية (D) إلى الفترة الواقعة بين 1400–1250 أي بعد بنائها بحوالي المائة عام أي في سنة 1500 ق.م، ومن ثم أعيد بناؤها في الطبقة (E) العائدة إلى العصر الحديدي الأول (Wright 1940: 32-33).

يدور الحديث بعد ذلك حول المواقع الأثرية الأخرى التي تم تدميرها خلال الغزو الإسرائيلي على المنطقة؛ إذ يركز Wright على موقع تل التل والنتيجة التي توصَّل إليها العلماء الذين نقبوا في هذا الموقع الذي لم يكن مسكوناً خلال فترة الهجوم التي ينشدها Wright، ومن أجل ذلك، يقدم ثلاث نظريات مختلفة لحل هذه المشكلة. الأولى أن الكتابة المتعلقة بالحدث كتبت في فترة متأخرة وبالتالي فأنه تم تهويل الدمار الذي حل بالموقع، أما النظرية الثانية فتحتمل فكرة أن سكان بيتين ربما كانوا يسكنون تل التل في وقت الهجوم ليتابعوا تقدم الغزاة، أو كما رجح Albright في سياق سابق أن موقع بيتين هو الموقع الأصلي للحدث وهذه هي النظرية الثالثة. إلا أن Wright يرجح النظرية الثالثة (1940: 36).

يؤرخ Wright تدمير موقع تل الدوير وتل بيت مرسم إلى العـام 1230 ق.م علـى أيدي الإسرائيليين، ويشير كذلك إلى أن هذين الموقعين هما أكثر المواقع التي يظهـر فيهـا الدمار بشكل واضح، ويذكر نتائج مسوحات نيلسون غلوك Nelson Glueck التي أجراهـا في جنوب الأردن والتي أفضت في رأيه إلى دعم نظرية الهجوم، وذلك من خلال عدم وجود أي موقع كبير في مناطق إدوم، ومؤآب، وعمون بين عامي 2000 و 1300 ق.م. وهكذا فإن حياة الناس في رأيه كانت بدوية الطابع (Wright 1940: 36-37).

يُعرج Wright في نهاية المقالة على الحديث عن الخروج من مصر، ويتساءل حول التأريخ الزمني الذي حدث فيه، ويطرح لهذا الغرض ثلاث نظريات؛ فيستعرض في البدايـة نظرية جارستنغ Garstang التي يضع فيها تاريخ الخروج إلـى العـام 1400 ق.م وذلـك بالاعتماد على سفر الملوك، الذي يذكر أن الخروج حدث قبل حوالي 480 عام من زمن حكم الملك سليمان، أما النظرية الثانية فهي ما طرحه ثيوفيل ميـك Theophile Meek فـي أن الدخول إلى ارض كنعان قد حدث في نهايات القرن الخامس عشر وبدايات القرن الرابع عشر ق.م، وبأن هذه الجماعات لم تكن في مصر، وكان دخولها من الشرق، أما الدخول الثاني فقد جرى في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م عبر منطقة النقب بقيادة موسى، وهكـذا فربما تكون هذه المجموعة هي التي خرجت من مصر. أما النظرية الثالثة فتـتلخص وكمـا أوردها Wright في أن هناك مرحلتين للخروج من مصر الأولى هي الجماعات المسماة بيت يوسف في حوالي 1375 ق.م، والدخول الثاني كان بقيادة موسى أولاً، ويَشُـوعَ ثانيـاً كمـا يصفها Albright (Wright 1940: 37-39).

يؤكد Wright أخيرا فكرتين، الأولى وهي أن الدمار الذي تم اكتشافه في مواقع تـل السلطان، وبيتين، وتل الدوير، يدل بشكل واضح على أن أحداث الهجوم قد حدثت فعلاً. أمـا

الثانية وهي اعتقاد Wright بأن زمن الهجوم كان في القرن الثالث عشر ق.م كما أثبتت الحفريات الأثرية في كل من بيتين، وتل الدوير، وتل بيت مرسم. أما سبب الخروج من مصر، فإنه كان بسبب استعباد الفراعنة للإسرائيليين، الأمر الذي دفعهم إلى الخروج من مصر في القرن الثالث عشر ق.م. وتؤكد اكتشافات نيلسون غلوك Nelson Glueck ما ذهب إليه Wright من خلال أن ممالك إدوم، ومؤآب، وعمون لم تظهر إلا في القرن الثالث عشر (Wright 1940: 39).

يعاود Wright الحديث عن بعض الأمور المتعلقة بقصة الهجوم التي قاد حملتها يَشُوعَ على أرض كنعان، في كتابه: *Biblical Archaeology*، فقد أكد مرة أخرى المسوحات التي أجراها Nelson Glueck في مناطق وسط وجنوب الأردن، والتي بينت أنه لم يكن هناك مواقع مسكونة في هذه المنطقة في ما قبل القرن الثالث عشر ق.م، وهذا في رأي Wright خير دليل على الغزو الذي انطلق من جنوب الأردن إلى أواسط كنعان حيث موقع أو قلعة تل السلطان التي بدأت فيها عمليات التدمير كبداية لباقي مجريات الهجوم، ويشير Wright إلى أن هناك ثلاث مراحل للغزو وهي؛ احتلال تل السلطان وتل التل، وكل مناطق التي سكنها اليبوسيون. أما المرحلة الثانية فتتمثل في الحملة التي تشكلت في جنوب فلسطين، والتي أدت إلى احتلال كامل المنطقة الجنوبية ما عدا القدس، وكانت الحملة التي اتجهت إلى الشمال هي المرحلة الأخيرة للهجوم (Wright 1960: 42-43).

يدّعي Wright أن الحملات الهجومية حدثت بشكل منفصل، ولم تكن شاملة لكل الأراضي الكنعانية، إذ أنّ المجموعات الإسرائيلية قد احتلت بعض المناطق بشكل منفرد عن طريق النزاعات. أما الحملة الأكبر فقد تمت خلال القرن الثالث عشر ق.م والتي تمكن يَشُوعَ من خلالها من السيطرة على مناطق المرتفعات الفلسطينية الوسطى. إضافة إلى اعتقاده بأن

الحملة استمرت على شكل نزاعات خلال القرنين الثاني عشر والحادي عشر ق.م؛ إذ تشير الحفريات إلى وجود عدة مراحل من التدمير في الطبقات الأثرية لهذه المواقع (1960: 43-44).

يعتقد Wright أن تل بلاطة (شخيم) لم يتعرض لهجوم يَشُوعَ على المنطقة، ويعزو ذلك إلى أن هذا الموقع كان مسكوناً من قبل الإسرائيليين أصلاً، ولم يذهبوا إلى مصر أبداً، أو ربما جاؤوا إلى تل بلاطة في مرحلة خروج مبكرة صاحبت ربما عملية طرد الهكسوس من مصر. من ثم استقرت هذه الجماعات في تل بلاطة في ذلك الوقت (1960: 46-47) مع العلم أن Wright قد نقب في موقع تل بلاطة.

أما بما يخص موقع تل السلطان، فقد ذكر Wright الحفريات التي أجرتها كاثلين كنيون Kathleen Kenyon والتي كشفت أن الجدارين اللذين اكتشفهما Garstang وأرخهما إلى القرن الخامس عشر ق.م، واللذين دُمرا في القرن الثالث عشر ق.م يعودان في واقع الأمر إلى حوالي ألف عام إلى الوراء، من التأريخ الذي وضعه Garstang (Wright 1960: 47-48). ويلاحظ مما تقدم التأثر الكبير الذي يبديه Wright بنصوص العهد القديم أولاً، وبمعلمه Albright ثانياً. وبالإضافة لهما، فقد تبنى بعض علماء الآثار الإسرائيليون مثل يغال يادين Yigael Yadin وأبراهام ملامات Abraham Malamat فكرة الهجوم المذكور في سفر يَشُوعَ كما أشير أعلاه وسنستعرض هنا ما قدمه Yadin.

قدم Yadin بعض الأفكار، التي تسلط الضوء على فكرة الهجوم الإسرائيلي على المنطقة، والمستقاة من سفري يَشُوعَ والقضاة، في المقالة المنشورة له في العام 1982م بعنوان: *Is the Biblical Account of the Israelite Conquest of Canaan Historically Reliable?* والتي تناول فيها بدايةً، نظريتي الهجوم الإسرائيلي والتسرب

السلمي إلى أرض كنعان، ويستشهد بـــالفكرة التـــي قـــدمها مانفريـــد فـــايبيرت Manfred Weippert، والتي تقول بأن الدليل الأثري لا يقدم شواهد متماسكة حول عملية الغزو، وانـــه من المستحسن النظر في عملية التسرب السلمي، وقراءة النصوص التي تُعنى بهـــذه الفكـــرة لإثبات عملية الدخول الإسرائيلي للمنطقة. أما وقد علمنا بأن Yadin من المناصرين لفكـــرة الهجوم العسكري، فهو يركز على بعض الأفكار التي تدعم فكرة الغزو، وهي بالتالي تعارض ما يطرحه Weippert فيما يخص تأييده لنظرية التسرب السلمي. وينـــوه Yadin إلـــى أن الأعمال الأثرية خلال الخمسين عام الماضية –التي سبقت عهده– أثبتت رواية العهد القديم إلا في بعض الحالات البسيطة، ويضيف بأن السجل الأثري يتفق وبشكل عام مع سفري يَشُـــوعَ والقضاة (Yadin 1982: 17-18).

يبدأ Yadin في إعطاء الدلائل التي تقوي ما يرنو إليه في أن السجل الأثري متفق مع روايات العهد القديم كما ذكر أعلاه، ويؤكد بأن من الشواهد التي يتفق فيها النص التوراتي مع الدلائل الأثرية هي أن الإسرائيليين في نهاية العصر البرونزي المتأخر كـــانوا ذوي طبيعـــة بدوية، يهاجمون المدن الكنعانية في مرحلة التشكل الأولى لهم. أما في مرحلة أكثر تقدما فقـــد بدأت ملامح التاريخ الإسرائيلي بالتبلور؛ إذ أنهم سكنوا المواقع الكنعانية المـــدمرة. وضـــرب مثلاً موقع تل وقاص الذي كان موقعاً ضخماً في العصر البرونزي المتأخر، والـــذي تشـــير الدلائل أيضا إلى انه دُمر في بدايات العصر الحديدي، وتحول إلى قرية صغيرة الحجم غيـــر مسورة، وهذا في رأي Yadin دليل أثري على طبيعة الإسرائيليين الشبه بدوية، فضلا عـــن أن هذا الدليل يسلط الضوء على الهجوم الذي قاده يَشُوعَ على المدن الكنعانية (19 :1982).

وفي فكرة أخرى حول الدفاع عن نظرية الغزو العسكري، طرح Yadin موضـــوع تأريخ الدمار الذي حل بموقع تل وقاص، والذي يعيده إلى القرن الثالث عشر ق.م، من خلال

ما تم العثور عليه من أنواع الفخار التي كانت مستعملة في ذلك الوقت وهو الفخار المايسني IIIB، والذي وجد في طبقة الدمار التي حاقت بالموقع. إن السبب في وجود الخلاف حول هذا الموضوع هو ما قدمه عالم الآثار الإسرائيلي يوحنان أهروني Yohanan Aharoni الذي يؤيد نظرية التسرب السلمي التي أطلقها ألبرشت ألت Albrecht Alt؛ إذ أن Aharoni، وفي وجهة نظر Yadin يعيد هذا الدمار إلى نهاية القرن الثاني عشر ق.م باعتبار أن دمار تل وقاص كان متأخراً عن الهجوم الذي قاده يَشُوعَ، هذا، مع اعتبار أن المواقع التي اكتشفها Aharoni في المسوحات التي أجراها في منطقة الجليل، والتي تبين التأريخ الأقدم لهذه المواقع عن الدمار الذي حل بتل وقاص، وهذا بالتالي يقوي نظرية التسرب السلمي – التي سنتناولها في سياق لاحق من هذا الفصل – ويضعف نظرية الهجوم العسكري من جهة أخرى. إلا أن Yadin يؤكد على هذا الدمار على اعتبار أن آخر طبقة أثرية للمدينة الكنعانية تعود إلى القرن الثالث عشر ق.م، وبعدها ظهرت القرية الإسرائيلية على أنقاض هذه الطبقة، بعكس ما طرحه Aharoni حول وجود طبقات للمدينة الكنعانية في القرن الثاني عشر ق.م (Yadin 1982: 19-21). وعلى أية حال، فأن من الضروري في هذا المقام الإشارة إلى أن Yadin و Aharoni كانا المنقبين لهذا الموقع المهم.

قدم Yadin فكرة جديدة حول عملية الغزو العسكري، وهي أن المدن الكنعانية خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق.م كانت تتعرض لهجمات مصرية كثيرة، أدت إلى ضعف هذه المدن بشكل تدريجي، فأصبحت أهداف سهلة لما يصفهم Yadin بالإسرائيليين أشباه البدو، وخلال هذا الضعف تمكن الإسرائيليون من الإطاحة بهذه المدن وتدميرها والسيطرة عليها (1982: 22).

أما فيما يتعلق بموقع تل السلطان فيشير Yadin إلى واحدة من أهم المشاكل التي يتعارض فيها السجل الأثري مع نصوص العهد القديم، وذكر هنا الاكتشافات التي حققتها Kathleen Kenyon والتأريخ الذي وضعته لجدران تل السلطان وذلك في القرن السادس عشر ق.م في حين أن Yadin اعتقد بأنها دمرت مع نهاية القرن الثالث عشر ق.م. وهنا يحاول الأخير إيجاد حل لهذه المشكلة باقتراحه أن الناس واصلوا استخدام تحصينات العصر البرونزي المتوسط خلال العصر البرونزي المتأخر. وبهذا فهو يعتقد أن الدمار الذي حل بموقع تل السلطان خلال نهاية العصر البرونزي المتأخر حقيقي (Yadin 1982: 22).

يَتبعُ Yadin فكرة Albright في وضع حل مناسب لمشكلة تل التل، فهو يعزو الدمار الذي ذكر عن تل التل في سفر يَشُوعَ، إلى موقع بيتين القريب منه، وذلك في إشارة منه إلى مشكلة أخرى من المشاكل التي تتعارض فيها السجلات الأثرية ونصوص العهد القديم (Yadin 1982: 22-23).

ركز Yadin في المؤتمر الذي عقد في القدس في عام 1984م بعنوان *Biblical Archaeology Today* والمنشور في عام 1985 على أنه من الضرورة بمكان استعمال العهد القديم في ميدان البحث والتحليل الأثري في منطقة فلسطين، وقد سلط الضوء على فكرتين يعتبرهما مهمتين في تحديد طبيعة السكن في العصر الحديدي الأول في فلسطين؛ أما الأولى فتشير إلى الصعوبة في معرفة المتسبب في الدمار والحريق الذي حل بالمدن الكنعانية في نهاية العصر البرونزي المتأخر. بالرغم من ذلك فهو يؤرخ هذا الحدث إلى النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م ويعزو الدمار إلى كل من شعوب البحر، والمصريين، والإسرائيليين. علاوة على ذلك، فإنه يؤكد على عدم وجود استمرارية حضارية ما بين العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، وذلك لأن كل المدن الكنعانية تعرضت للدمار. أما فيما

يتعلق بالفكرة الثانية، فيستعرض Yadin المسوحات الأثرية التي أجراها علماء الآثار الإسرائيليون في النصف الثاني من القرن العشرين، ويشير إلى ظهور مواقع استيطانية جديدة لم تظهر قبل نهاية العصر البرونزي المتأخر، وذلك يدل في رأيه على أن الهجوم كان سريعاً مقارنة بعملية الاستيطان التي تبعته. إلا أنه وفي موضع آخر يتساءل فيما إذا كان الاستيطان الإسرائيلي صحيحاً أم لا، وذلك أنه لا يوجد مواد حضارية تدل على وجود الإسرائيليين في الأرضي الكنعانية في العصر البرونزي المتأخر (1985: 22-24).

يتضح مما سبق أن فكرة الهجوم العسكري بقيادة يَشُوعَ بن نون التي تبناها كل من Albright وWright وYadin ارتكزت بشكل أساسي على ما ورد في نصوص العهد القديم، فضلاً عن أنها مناقضة لنظرية التسرب السلمي التي أوجدها علماء العهد القديم في ألمانيا بقيادة عالم التوراة الألماني ألبرشت آلت Albrecht Alt. وفي ما يأتي نتعرف على مضمون أفكار هذه المدرسة.

2-1 نظرية التسرب السلمي (Peaceful Infiltration)

تحاول هذه النظرية تأريخ وبناء تسلسل أحداث دخول الإسرائيليين إلى الأراضي الكنعانية بشكل تدريجي وسلمي في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية الحديدي الأول. وفي ما يأتي نتعرف على هذه النظرية وأهم العلماء الذين قاموا ببلورتها ومن ثم تطويرها.

نشر العالم الألماني ألبرشت آلت Albrecht Alt المقالة الأولى له باللغة الألمانية في العام 1925م المترجمة إلى الانجليزية في عام 1966م بعنوان: *The Settlement of the Israelites in Palestine*، وهي تعالج موضوع السكن في الأراضي الكنعانية، ركز Alt في هذه المقالة على محاولة فهم ما جاء في أسفار العهد القديم التي تروي قصة دخول وسكن

المجموعات الإسرائيلية في المنطقة. وقد اعتمد Alt في دراسته لهذه القصة على التقسيمات الجغرافية للأراضي الكنعانية، وعدّها حجر الأساس في فهم طبيعة المنطقة في فترة ما قبل دخول الإسرائيليين إليها، وذلك أنها تعكس الظروف التي أثرت في التوزيع الإسرائيلي أثناء الاستيطان. ومن أجل هذا الغرض اعتمد Alt على المصادر المصرية في التعرف على هذه التقسيمات وعدها مصدراً مهماً، لأنها تحوي سرداً شبه كامل لما كان يدور على الأرض الكنعانية في ما قبل دخول الإسرائيليين، إضافة إلى اعتماده على نصوص العهد القديم في فترة ما بعد الدخول (1925: 175-78).

بدأ Alt الحديث حول التقسيمات الجغرافية للمناطق الكنعانية منذ زمن المملكة المصرية الوسطى التي كانت تسيطر على هذه المنطقة، ويشير إلى أنه مع ظهور الهكسوس لم تتغير تقسيمات البلاد كثيراً. وهكذا فإن هناك نظاماً جديداً بدأ في حكم هذه المقاطعات الجغرافية، وهو أن الهكسوس نصبوا حكاماً محليين لحكم هذه المقاطعات استمروا في إدارتها حتى بعد زوال الهكسوس، وهم باعتقاده من أعراق متنوعة (Alt 1925: 179-185).

أما فيما يتعلق بالمملكة المصرية الحديثة، أي في فترة ما بعد طرد الهكسوس، فيشير Alt إلى وجود نفس النظام القائم، وهو أن مقاطعات الأراضي الكنعانية كان يسيطر عليها أمراء يتحكمون في المناطق بشكل كامل، بالإضافة إلى أنهم يخضعون لسلطة الفرعون المصري. بالإضافة إلى هذا، فقد نشأ نظام دول المدن City States والذي كانت الأرض من خلاله مقسمة إلى مقاطعات بعضها كبير وبعضها أصغر مساحة. ويبدو من خلال ما يشير إليه Alt بأن دول المدن، كانت منتشرة في مناطق السهل الساحلي الفلسطيني من الشمال وحتى الجنوب، وكانت قدرة الفراعنة على التحكم بهذه المناطق كبيرة. أما في ما يتعلق بالمرتفعات الفلسطينية شرقي السهل الساحلي، فيصفها Alt بأنها اقل ملائمة للسكن أو الزراعة أو حتى

السيطرة، وهكذا فقد كانت هذه المرتفعات قليلة السكان وغنية بالغطاء النباتي الكثيف الذي يسمح للرعي، بالإضافة إلى أنه من الصعوبة بمكان على السلطات متابعة هذه المناطق بسبب وعورة جبالها وتضاريسها القاسية التي لا تسمح للعربات الحربية بالتحرك فيها، وهكذا فإن المصادر المصرية في الفترة الواقعة بين عهدي تحتمس الثالث وأمنحوتب الرابع (أخناتون) لا تدلل على وجود دول مدن في المرتفعات الفلسطينية في ذلك الوقت بعكس المناطق الساحلية. ويَعزو Alt أسباب عدم ذكر المرتفعات الفلسطينية في قوائم تحتمس الثالث ورسائل أمنحوتب الثالث والرابع إلا بشكل طفيف جداً لأسباب مثل بُعد هذه المرتفعات عن مسرح نشاطات المصريين في السهل الساحلي، إضافة إلى اعتقاده بأن هذه المناطق قد شكلت وحدات سياسية مستقلة خارجة عن النظام المصري في ذلك الوقت (Alt 1925: 185-197).

يبدو كذلك في رسائل أمنحوتب الرابع أن هناك بعض النزاعات بين المصريين وسكان المرتفعات الفلسطينية، كما هو الحال في تل بلاطة على سبيل المثال، الذي تمرد حاكمه على المصريين، أما القدس فتظهر كدولة مدينة وحيدة في الجنوب. لم تتغير ظروف التقسيمات الجغرافية في المرتفعات الفلسطينية في الفترة التي ضعفت فيها سيطرة المصريين على المنطقة بشكل كامل، أي بعد حوالي مائتي عام من حكم أمنحوتب الرابع. ويصل Alt بعد ذلك إلى نتيجة وهي أن مناطق السهل الساحلي من خلال النصوص الكتابية كانت تحتوي على مدن وقرى كثيرة في العصر البرونزي المتوسط، أما مناطق المرتفعات فقد كانت قليلة المواقع الأثرية خلال العصر البرونزي المتوسط، وأن المواقع الأثرية فيها بدأت بالظهور خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، والسبب في ذلك يعود في رأي Alt إلى التطور السياسي في المرتفعات والعنصر البيئي بطبيعة الحال (Alt 1925: 199-204).

ويتابع Alt الحديث حول التقسيمات الجغرافية في فترة ما بعد تراجع الحكم المصري في زمن تحتمس الثالث، ويعتقد أن هذه الفترة شهدت تحولات جذرية في التقسيمات الجغرافية من خلال انتشار دول المدن والمدن في المرتفعات الفلسطينية، بالإضافة إلى أن هذه المقاطعات أو دول المدن أصبحت تسمى بأسماء القبائل التي تقطنها، وهذا بالاعتماد على السرد القصصي للعهد القديم؛ إذ يعتمد Alt على ما جاء في أسفار القضاة، ويَشُوعَ، وصاموئيل والتي تذكر التقسيمات التي أخذت حيزاً في مناطق المرتفعات الفلسطينية، والتي سميت بأسماء القبائل الإسرائيلية، وبحسب رأي Alt فإنها استمرت إلى فترات متأخرة تلت العصر الحديدي الأول وحتى زمن الملك داود (1925: 205-215).

يصل Alt إلى النتيجة التي عكستها التقسيمات الجغرافية في المرتفعات الفلسطينية بعد مقارنتها بما كان قائماً في مناطق السهل الساحلي، وبالاعتماد على النصوص المصرية القديمة التي ذكرت أن القبائل الإسرائيلية تواجدت في المرتفعات الفلسطينية منذ زمن أمنحوتب الثالث والرابع، ويَعتبر أن النزاعات التي قامت بين المصريين وسكان المرتفعات تعود في واقع الأمر على الإسرائيليين الذين بدءوا بالتدفق إلى هذه المرتفعات، كونها أكثر ملائمة لاستقبال القبائل بسبب قلة قاطنيها، وأنها أكثر بعداً عن الحكم المصري في السهل الساحلي (1925: 216-221).

يصف Alt طريقة دخول الإسرائيليين بأنها تدريجية طويلة الأمد وتُعبر عن طبيعة هذه القبائل التي لم تخض معارك ضد مدن المرتفعات، على العكس من ذلك فهو يؤكد طبيعتهم شبه البدوية، والتي تحولت تدريجياً إلى زراعية. ويُلخص Alt بعد ذلك المقالة في إشارته إلى أن التقسيمات الجغرافية استمرت منذ ما قبل دخول الإسرائيليين إلى المنطقة وحتى ما بعد ذلك، ويفترض أن الجماعات التي كانت تحكم المنطقة في زمن أمنحوتب الثالث

والرابع هي جماعات ما يسمى العبيرو، والذين كانوا من أكثر الجماعات المناوئة للحكم المصري في المرتفعات الفلسطينية (1925: 216-221).

ومن خلال ما قدمه Alt في نظريته حول الطريقة السلمية التدريجية التي تسربت من خلالها القبائل الإسرائيلية إلى المرتفعات الفلسطينية، بدا واضحاً في ما بعد أن هذه النظرية لاقت قبولاً من تلاميذه ومناصريه، والذين بدورهم ذهبوا لحدود أبعد في تفسيراتهم لهذه الظاهرة؛ فقد كتب ثيوفيل ميك Theophile Meek في العام 1936م مقالة بعنوان: *The Israelite Conquest of Ephraim*، تناول فيها نظريتي التسرب السلمي والغزو العسكري بقيادة يَشُوعَ، وأكد Meek فيها أن ما ورد في العهد القديم من وصف لعملية الهجوم لم يكن إلا عملية تسرب تدريجي أخذت وقتاً طويلاً عبر الزمن. لذلك فهو يعتمد على ما كُتب في رسائل تل العمارنة التي تشير إلى أن كثيراً من المواقع الكنعانية لم تدمر إثر دخول الإسرائيليين إليها، وبذلك فإن الهجوم العسكري الذي يتحدث عنه Albright لم يكن في رأي Meek كاملاً أو مباغتاً. فهو يؤرخ هذا الحدث إلى عام 1400 ق.م، ويذكر بعد ذلك مسلة الفرعون سيتي الأول التي عثر عليها في موقع تل الحصن (بيت شان) القريب من بيسان والمؤرخة إلى العام 1300 ق.م، والتي ظهر فيها أن العبيرو كانوا يسكنون إلى الشرق من المرتفعات الفلسطينية. علاوة على ذلك، فقد أشار إلى موقعي تل السلطان وتل التل ويذكر أنهما دمرا في فترة لاحقة لعملية الاستقرار الإسرائيلي، وفي هذا السياق أكد Meek عدم الأخذ بما جاء في العهد القديم، وعدم الاعتماد عليه بشكل حرفي (1936: 17-19) ولم يكن الوحيد الذي تبع Alt في نظريته، لذلك ففي ما يأتي سنستعرض أراء بعض العلماء من تلاميذ ومناصري هذه النظرية، أي الترسب السلمي.

بدا وبشكل واضح أن العالم الألماني مارتن نوت Martin Noth كان متأثراً بشــكل واضح جداً بأستاذه مبتكر نظرية التسرب السلمي Alt، ويلاحظ هذا التأثر من خلال الكتابات التي نشرها باللغة الألمانية، والمُترجَم القليل منها إلى الإنجليزية. فهذه الكتابات تسلط الضوء على نظرية التسرب السلمي التي اعتمدت في كثير من فصولها علــى النقــوش والرســائل المصرية التي ذكرت منطقة كنعان، وتقسيماتها الجغرافية. ففي عام 1948م تحدث Noth في كتاب له بعنوان: *History of Pentateuchal Traditions* عن القبائل الإســرائيلية التــي شكلت تحالفات أساسية اعتمدت على القبيلة الكبيرة في قيادة القبائل الصغيرة الأخــرى فــي الوصول إلى أرض الميعاد بناء على وعد الإله يهوه لهم بعد خروجهم من مصر، كما ذُكر في نصوص العهد القديم، وكل ذلك في رأي Noth كان من خــلال المنــاطق الواقعــة شــرق المرتفعات الفلسطينية أي غربي الأردن. أما خلال فترة الــدخول والســكن التــدريجي فــي المرتفعات فقد كانت هذه القبائل باعتقاده متفرقة ما بين دول المدن، ثم بدأت تدريجياً بتشــكيل تحالفات مركزية أدت إلى انتشارهم على كافة الأرض بمساعدة القبائل المركزيــة المتواجــدة أصلا (Noth 1948: 51, 71-74).

أما في عام 1958 فقد نشر Noth كتاباً بعنوان: *The History of Israel* تنــاول في الجزء الأول منه موضوع الوحدة التي تمت بين القبائل الإسرائيلية، وأكد فيه أن الوحدة لم تحدث إلا بعد دخولهم الأرض الكنعانية، وقد اعتمد Noth في ذلك على نصوص العهد القديم التي تذكر أسماء هذه القبائل والمواقع الجغرافية التي انتشرت فيها، ويشــير إلــى أن قبيلــة (يهودا) التي سكنت المناطق الجنوبية (أي في القدس وبيت لحم) بدأ أفرادها بالانتشــار فــي المدن والمواقع المجاورة والعمل على إنشاء علاقات سلمية مع الكنعانيين، السكان الأصــليين

لهذه المواقع، بالإضافة إلى القبائل الأخرى التي سُكنت في مناطق مختلفة من المرتفعات، مثل مناطق النقب ورام الله ونابلس والجليل (68-53 :1958).

يشير Noth إلى أن القبائل الإسرائيلية دخلت إلى المناطق القليلة السكان أو الخالية منها، وهو يقصد من ذلك أنه لم يحدث حروب بين السكان الأصليين والقادمين الجدد، بل كانت الطريقة سلمية تدريجية لم تأثر على السكان الكنعانيين في المناطق التي تسرب إليها الإسرائيليون. ويعد Noth هذه القبائل شبه بدوية تعتمد على رعي المواشي، أقامت علاقات مع المجتمعات الزراعية المستقرة، وتحولت حياتهم تدريجياً من التنقل إلى الاستقرار الدائم في المناطق القريبة من المدن والقرى، ثم باشرت بعد ذلك نشاطات التوسع والانتشار في المناطق المجاورة والمحاذية لأماكن سكناهم، وكانت بعض القبائل تسبق الأخرى في ذلك. أما فيما يتعلق بالهجوم الذي ذكر في سفر يَشُوعَ فإن Noth يعتقد بحدوثه في منطقة صغيرة، ومع قبيلة واحدة، وأن هذا الغزو لم يكن تقليداً سارت عليه كل القبائل، وأن دخولها إلى الأراضي الكنعانية تم من الاتجاهات الجنوبية والشرقية لها ودليله على ذلك أن القبائل التي سكنت منطقة الخليل جاءت في واقع الأمر من منطقة النقب في الجنوب. ويؤكد أن بدايات تواجد الإسرائيليين في الأراضي الكنعانية صاحب تواجد الهكسوس في المنطقة بشكل عام (:1958 .(68-84

وأكد مانفريد فايبرت Manfred Weippert في كتابه المترجم للغة الانجليزية عام 1971؛ بعنوان: *The Settlement of the Israelite Tribes in Palestine* ما طرحه Alt عام 1925م حول سكن الإسرائيليين في المرتفعات الفلسطينية والطريقة التي تمت من خلالها عملية الدخول. فقد استهل طرحه للدراسات السابقة التي حاولت وضع حل للمشكلة التي سارت فيها أحداث استقرار الإسرائيليين في المنطقة، وانتشارهم في كامل الأرض بعد

ذلك، فهو يتناول بدايةً وحدة القبائل، والتي في اعتقاده لم تكن كما وصفها سفر يَشُوعَ بأنها حدثت قبل الدخول إلى الأرض الكنعانية، وأنها لم تنشأ من أجل الهجوم على المنطقة، ولم تجتمع القبائل لغزو المدن الكنعانية، ولم تقتل الرجال والنساء وتحرق المدن، بل حدثت الوحدة بعد الدخول إلى الأرض، ويصف هذه الجماعات بأنها عشائر ومجموعات صغيرة بدوية مع قطعان ماشيتها تعيش في فصول الشتاء والربيع على الحدود بين الصحراء والأراضي الزراعية الخصبة، أما في فصل الصيف ومع الجفاف وانقطاع الغطاء النباتي فقد كانت تجبر على النزوح نحو المناطق الزراعية، ومع الوقت أوجدت هذه الجماعات اتفاقاً مع مالكي الأراضي الزراعية الذين بدورهم سمحوا لهم بالرعي في أراضيهم، ومن ثم بدأت هذه المجموعات بالاستقرار التدريجي في تلك المناطق التي وصفها Weippert بأنها قليلة السكان، وذات غطاء نباتي كثيف من ناحية، وبعيدة عن المراكز الكنعانية والهيمنة المصرية من ناحية أخرى. وما كان من هذه المجموعات والعشائر في رأيه إلا البدء بممارسة الزراعة بعد تهيئة الأرض، وبالتالي تحولت إلى مناطق زراعية حقيقية. وفي رأي Weippert فإن هذه المرحلة الانتقالية في حياة الإسرائيليين التي تراوحت ما بين البداوة والاستقرار والزراعة هي العملية المسماة بالاستقرار الإسرائيلي في الأراضي الكنعانية، وهي عملية امتلاك الأرض بشكل سلمي. وفي مرحلة لاحقة بدأ الإسرائيليون في التوسع والانتشار في كامل الأراضي الكنعانية في ذلك الوقت. ويشير أيضاً إلى أن الهجمات والحروب الإسرائيلية حدثت بشكل جزئي، أي أنهم لم يكونوا المنتصرين في كل الحروب التي خاضوها، بل فاز الكنعانيون في بعض المعارك، وذلك أنهم كانوا يمتلكون الأسلحة والعربات الحربية، أما في بعض الحالات الأخرى فقد تمكن الإسرائيليون من السيطرة على بعض المدن المحصنة، وبالتالي امتلكوا الأراضي التابعة لها. تُعبر هذه العلمية باعتقاد Weippert عن التوسع

والانتشار الذي خاضته المجموعات الإسرائيلية أثناء استقرارها في المنطقة، وأشار بعد ذلك إلى العنصرين الذين ركز عليهما Alt في فهم هذه العلمية وهما: التقسيمات الجغرافية، والنصوص الكتابية من خارج العهد القديم (Weippert 1971: 5-6).

وأظهر Weippert في مقالة له في العام 1982م بعنوان: *Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan during the Early Iron Age*، الأخطاء التي تعتري العمل الأثري والنتائج التي توصل إليها نلسون غلوك Nelson Glueck من خلال المسوحات التي أجراها في وسط وجنوب الأردن، والتي دفعته إلى اعتبار أن السكن هذه المناطق بدأ في بدايات العصر الحديدي الأول، وذلك بالاعتماد على نصوص العهد القديم. وهكذا يؤكد Weippert بالاعتماد على الحفريات التي أجريت في ذلك الوقت في نفس المناطق التي عمل فيها Glueck بأن الكثير من المواقع الأثرية ظهرت في فترات متأخرة مما استنتجه الأخير أثناء تحليله لفخار المنطقة، إضافة إلى وجود مواقع سُكنت في العصور البرونزية. وبعبارة أخرى يحاول Weippert الاستفادة من تلك الحفريات ليؤكد نظرية التسرب السلمي، وذلك من خلال إشارته إلى أن نصوص العهد القديم لا تتفق والاكتشافات الأثرية الجديدة، لان ما جاء في العهد القديم من إشارات حول الدخول والهجوم السريع للإسرائيليين لا يعكس طبيعة سكن المنطقة التي مسحها Glueck أثرياً، فهي تحتوي مواقع أثرية من العصر البرونزي المتوسط وحتى العصر الحديدي الثاني وما بعده، ويعتقد Weippert أن عمليات السكن في جنوب الأردن ووسطه كانت تدريجية ولم تكن مفاجئة (Weippert 1982: 153-158). يُلاحظ أن Weippert حاول في هذه المقالة أن يطبق نظرية التسرب التدريجي السلمي على بدايات الممالك التي ظهرت في الأردن في العصر الحديدي الأول وأهمها إدوم في الجنوب، وأكد أنها بدأت منذ العصر البرونزي المتوسط

واستمرت إلى فترات زمنية متأخرة، وشكلت هذه المناطق ممراً للقبائل الإسرائيلية في العبور إلى الأراضي الكنعانية. على أية حال، كان عـــالم الآثـــار الإســـرائيلي يوحنـــان أهرونـــي Yohanan Aharoni من علماء الآثار المناصرين لنظرية الترسب السلمي، والذي انصـــبت جل أعماله الأثرية من حفريات ومسوحات نحو تأكيد نظرية Alt.

ركز Aharoni على ما أشرنا إليه أعلاه، من خلال المقالات والكتب التي نشرها في أعوام متلاحقة واكبت ما نشره يغال يادين Yigael Yadin حول نظرية الهجوم العســكري. ففي العام 1967م تناول Aharoni في كتابه: *The Land of the Bible: A Historical Geography.* عمليات دخول الإسرائيليين إلى الأراضي الكنعانية، وأشار إلى أن طريقــة دخولهم كانت تدفقاً باتجاه الشمال والجنوب في المرتفعات الفلسطينية الوسطى، ويستند في ذلك إلى ما ورد في رسائل تل العمارنة التي شكا فيها حكام هذه المناطق من توسع العبيرو فـــي مناطق نفوذهم، علاوة على ذلك، فإن Aharoni يشير أيضاً إلى أن بعض القبائل توجهت إلى سهل مرج بن عامر من خلال الخضوع لسلطة الكنعانيين، بعكس ما حدث فـــي المرتفعـــات الوسطى. ينتقل Aharoni بعد ذلك إلى منطقة الجليل، ويشير إلى أن هذه المنطقـــة شـــهدت بعض النزاعات بين السكان الأصليين في موقع تل وقاص، والقادمين الجدد الذين اســـتطاعوا بسط سيطرتهم على المدينة في ذلك الوقت (1967: 191-192).

إضافة إلى اعتقاده أن الإسرائيليين قد أسسوا بعض المواقع الجديدة لهم فـــي بعـــض الأحيان، وسكنوا على أنقاض المواقع التي تعرضت للدمار في أحيـــان أخـــرى (Aharoni 1967: 193). وكان هذا حال مناطق شمال غرب الأردن (جلعاد) التي ظهـــر فيهـــا مئـــات المستعمرات السكنية خلال العصر الحديدي الأول بالاستناد إلى المســـوحات التـــي أجراهـــا

Glueck. يرى Aharoni أن هذه الظاهرة تعبر عن ظهور كل من إدوم ومـــؤآب وعمـــون وإسرائيل بطبيعة الحال.

تناول Aharoni بعد ذلك مناطق الجليل التي يعتقد أنهـــا شـــهدت ظهـــور بعـــض المستعمرات التي تتميز بصغرها، وبقربها من بعضها البعض، مما يدل في رأيه علـــى أنهـــا تعكس أوليات مرحلة الاستقرار الإسرائيلي التي تألفت من عائلات صغيرة تعيش كـــل منهـــا بجوار الأخرى، وأنها كانت ظاهرة طبيعية تدل على أن القبائل كانت تتنقـــل فـــي المنـــاطق الصالحة للرعي الموسمي، وبالتالي فإن البدايات كانت بهذه الطريقة الطبيعية والبسيطة، وهم بهذا الوصف وحسب Aharoni ليسوا إلا أشباه بدو توفرت لهم ظروف الرعي المثالية فـــي المرتفعات الفلسطينية خلال موسم الصيف بما تتضمن هذه المناطق من أشجار وغطاء نباتي كثيف. ويؤكد أنهم كانوا يدخلون المناطق بشكل تدريجي بطيء حتى استقروا مع الزمن فـــي المنطقة، إضافة إلى أن بعضهم كان يغزو المواقع النائية ويسيطر عليها (195-194 :1967).

يصف Aharoni الطريقة التي دخل من خلالها الإسرائيليون إلى المنطقة أنها محاولة تسرب جرت من جنوب الأراضي الكنعانية عند تل عراد وبـــاقي المواقـــع المجـــاورة لـــه، بالإضافة إلى توجه بعض القبائل إلى مناطق الشرق في إدوم، ومؤآب، وعمون، أما الســـبب في التوجه نحو الشرق حسب رأيه أن بعض المواقع المحصنة في جنوب النقب حالـــت دون قدرة الإسرائيليين على العبور منها. يستند في ذلك على ما وصفه بأنه شـــبكة مـــن المواقـــع الأثرية التي تمتد من أواسط النقب غرباً وحتى المناطق الإدومية في الشرق، وصـــولاً إلـــى مناطق مؤآب في الشمال الشرقي، في خضم هذا الوصف يذكر Aharoni الصراعات التـــي وقعت بين الإسرائيليين والمؤآبيين في موقع حُسبان (حشبون). يؤكد بعد ذلك أن الطريق التي قادت هذه المجموعات من أواسط النقب وحتى مؤآب كانت طريقاً مســـتقيمة (-200 :1967

205). يبدو أن هناك تناقضاً واضحاً بين ما يصفه Aharoni والطريقة التي يتحـدث فيهـا حول دخول هذه القبائل إلى الشرق، فيظهر من خلال مـا يقدمـه حـول الخـط المسـتقيم للمستوطنات بأنها كانت منظمة وبناءاً على خطة مسبقة وليست بطريقـة طبيعيـة وبطيئـة وتدريجية وموسمية.

ذكر Aharoni موجتين لدخول الإسرائيليين إلى البلاد، تعود الموجة الأولـى إلـى القرن الرابع عشر ق.م، في الوقت الذي لم يكن فيه حدود تفصل بين إدوم، ومؤآب، وعمون، حيث أن هذه المناطق في رأيه كانت مفتوحة، تمكن خلالها (بيت يوسف) من المـرور إلـى فلسطين، أما الموجة الثانية فتلك التي يصف حدوثها في القرن الثالث عشـر ق.م وخلالهـا واجهت القبائل الإسرائيلية محاولات منع من المرور مـن قِبـل الإدوميـين، والمـؤآبيين، والعمونيين. يشير Aharoni بعد ذلك إلى ظاهرة خلو بعض المناطق مثل السهل الساحلي من الإسرائيليين، ويُرجع السبب في ذلك إلى وجود قوة كنعانية حالت دون تمكُن الإسرائيليين من الوصول إلى هذه المناطق، إضافة إلى غنى الكنعانيين بالأسلحة والعربات القتاليـة (1967: 205-209).

تحدث Aharoni في العام 1976م فـي مقالـة بعنـوان: *Nothing Early and Nothing Late: Re-Writing Israel's Conquest* حول الأحداث التي يرويهـا سـفر يَشُوعَ في الهجوم الذي تعرضت له مناطق النقب وبئـر السـبع بشـكل محـدد، ويستشـهد بالنشاطات الأثرية التي قام بها في المنطقة، والتي أظهرت عدم وجود تحصينات في موقع بئر السبع لكي يتم الدفاع عنه في الزمن الذي يشير إليه سفر يَشُوعَ، إضافة إلى ذلك فإنه لم يـتم كشف أي موقع أثري في النقب محصن ضد الهجوم في العصر الحديـدي (1976: 71). ولا يوجد في رأيه علاقة بين الحدث التاريخي والمعارك المذكورة في سفر يَشُوعَ، وذلك بسـبب

عدم وجود بقايا للعصر البرونزي المتأخر في النقب، وينوه Aharoni إلى أن ما جاء في سفر يَشُوعَ ربما عكس ما كان موجوداً في تلك المنطقة خلال العصر البرونزي المتوسط، أي قبل حوالي ثلاثمائة عام مما هو مذكور في سفر يَشُوعَ. ويركز على أن روايات العهد القديم تعكس كثيراً من أحداث ما قبل الهجوم وما بعده، لذلك، فهو يقصد أنه لا يوجد ما هو قديم أو جديد في العهد القديم، وبهذا يجب النظر في جميع الأحداث التي دارت في المنطقة، وعبر فترات زمنية تتعدى العصر الحديدي الأول حتى يتم الوصول إلى نتائج حسب اعتقاده تزيد من فهم ما جرى في ذلك الوقت (1976: 73-74).

ونتيجة لما تقدم، فقد عبر Aharoni عن الصعوبة في الحديث حول الهجوم والذي تعرضت له مناطق النقب في العصر البرونزي المتأخر، وعلى العكس من ذلك فهو يشير وبشكل واضح إلى أن هذه المناطق غير المأهولة وغير القابلة للهجوم سُكنت من خلال عمليات التكيُف. وحتى أن هذه المواقع لم تكن محصنة كما اشرنا أعلاه بسبب عدم وجود خطر يداهمها. وذكر أيضا أن الإسرائيليين وفي ظل قوة الكنعانيين والأسلحة التي يمتلكونها اضطروا إلى السكن في المناطق المعزولة ذات التضاريس الصعبة والكثيفة الأشجار مثل مناطق نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم وبالتالي النقب (1976: 74-75).

شدد Aharoni على ما جاء في الكتابات السابقة له من خلال ما نشره له في العام 1982م؛ تحت عنوان: *The Archaeology of the Land of Israel: From the Prehistoric Beginnings to the End of the First Temple Period*، إذ عاد وذكر عملية نزول الإسرائيليين في المناطق الخالية من السكان عبر الشمال وحتى جنوب فلسطين أي في الجليل، ومناطق الجبال الوسطى ومناطق النقب. وركز على العملية السلمية في التسرب والتدفق إلى هذه المناطق، وصاحب ذلك ظهور مستقرات جديدة في مناطق جنوب

الأردن والنقب، وكانت طبيعة هذه المستقرات في رأيه مؤقتة تعبر عن الطابع شـبه البـدوي للقبائل الإسرائيلية، وذلك أن هذه المستقرات كانت تختفي ولا تحتوي على بقايا حضارية، إلا أنها تدل كما أكد Aharoni على أماكن سكن الإسرائيليين في فترة الدخول للأرض الكنعانية. أما سبب اختيار هذه المناطق النائية فهو عدم قدرة الإسرائيليين على مواجهة القوة الكنعانيـة من أجل ذلك اختاروا أماكن تحميهم من كل شيء عدا العوامل البيئية التي تحيط بهـم. وقـد شهدت مناطق جنوب وشمال الأردن ظهور الكثير من المواقع الأثرية خلال تلك الفترة نسبها Aharoni وبحسب مسـوحات Glueck إلـى الإسـرائيليين، والإدوميـين، والمـؤآبيين، والعمونيين. أما مناطق الجليل فقد وجدت فيها مستقرات جديدة تعبر عن السكّان الجدد الـذين حلوا بالمنطقة. وقد ألقى Aharoni الضوء على مرتفعات نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل التي وجدت في كل منها بعض المستقرات الصغيرة حيـث أجريـت فيهـا بعـض الحفريات التي دلت على أن بعضها سُكن لأول مرة وبعضها الآخر عكس فجوة في السـكن لمئات السنين قبل أن تسكن مجدداً خلال العصر الحديدي (1982a: 158-161).

بعد النشاطات الأثرية التي قادها في النقب يشير Aharoni إلى ظهور بعض المواقع الجديدة في المنطقة، أي المواقع التي تم سكنها لأول مرة، أو تلك التي شهدت فجوة سكنية ما بين العصر الحديدي والفترات السابقة له، مثل تل المشاش (تل مشوش) وتل بئر السبع وتـل عراد، وتل الملح (تل ملحاته). ويذكر كذلك أن السكن في هذه المناطق ربما بدأ فـي القـرن الرابع عشر ق.م، وذلك أن العبيرو كانوا يتدفقون إلى هذه المنطقة خلال هذه الفترة من الزمن (1982a: 162-174). أما في ما يتعلق بموقع تل السلطان، فيفتـرض Aharoni أن هـذا الموقع ربما دمر من قبل الإسرائيليين في القرن الرابع عشـر ق.م بالاعتمـاد علـى نتـائج

الحفريات الأثرية. وركز Aharoni على الطريقة التدريجية عبر الزمن لدخول الإسـرائيليين ويرفض الفكرة القائلة بالدخول السريع والمباغت (1982a: 177-191).

أرخ Aharoni بداية ظهور الإسرائيليين في المناطق الكنعانية إلى القرن الرابع عشر ق.م، وهو بذلك يخالف علماء الآثار الذين يعتبرون أن الدخول قد حدث في القرن الثالث عشر ق.م (1982b: 14). وينوه Aharoni إلى أن الانهيار الذي أصاب حضارات الشرق القديم، سببته في اعتقاده تحركات الإسرائيليين في الأراضي الكنعانية، ومجموعات أخرى في مناطق أخرى خارجها في مدى أوسع (15).

أعطى Aharoni مثالاً على ما أشرنا إليه أعلاه، وهو تل المشاش والتي سُكنت لمدة مائتي عام، ولم تكن محصنة في تلك المدة، مما يدل على الظروف السلمية، والأمـان الـذي عاشه سكان هذا الموقع، وكان سبب ذلك في رأيه هو انهماك القوى الكبرى فـي الحـروب والصراعات الذي مكن القبائل الإسرائيلية من الدخول والاستقرار، من غير تـأثير السـكان الأصليين عليهم، أما بشأن السكن في المواقع الكنعانية فلم يتم إلا في فترات متأخرة من القرن الثالث عشر ق.م. (1982b: 17, 19).

بعد تأكيد Aharoni لمناصرته نظرية التسرب السلمي التي ابتكرها Alt في بـدايات القرن العشرين، والتي تتعارض في رأي الباحث إلى حد مع نظرية الغزو العسـكري بقيـادة يَشُوعَ التي تبناها معسكر Albright والتي واكب ظهورها لظهور النظريـة الأولـى وبعـد حوالي أربعين عام على ظهور هاتين النظريتين أطلت علينا النظرية الثالث، والتي تختلف عن تلك النظريتين في المضمون، وترى بالإضافة لهذا فشل كل منهما في حل المشكلة المتعلقـة بعمليات سكن الإسرائيليين في المنطقة. لذا سنتعرف في الفصل الثاني على المضمون الـذي جاءت به هذه النظرية وغيرها من النظريات الأخرى.

الفصل الثاني

نظريات الثورة الاجتماعية، والبداوة الرعوية، والخليط المتعدد

1-2 نظرية الثورة الاجتماعية (Social Revolution Theory)

قام جورج مندنهول George Mendenhall عالم اللاهوت الأمريكي بابتكار نظرية جديدة في عام 1962م اعتمدت بشكل أساسي على علم الاجتماع الذي يدرس المجتمع الكنعاني في نهايات العصر البرونزي المتأخر وبدايات العصر الحديدي الأول، ويسلط الضـوء علـى التغيرات التي طرأت على هذا المجتمع، إضافة إلى التركيز على دراسة الطبقات الاجتماعية التي نشأ منها المجتمع الإسرائيلي الجديد باعتباره من إفرازات هذا المجتمع.

استهل Mendenhall مقالتـه المنشـورة عـام 1962م بعنـوان: *The Hebrew Conquest of Palestine* بالإشارة إلى إدخال علم الاجتماع والاقتصاد والسياسة في دراسة ظواهر التاريخ القديم، بالإضافة إلى التنويه إلى الأخطاء التي ارتكبها مناصرو نظريتي الغزو العسكري والتسرب السلمي في مشابهة وقائع التاريخ الحديث والتاريخ القديم؛ إذ يعتبر أن تلك التشبيهات أنتجت اختلافاً بين الأحداث القديمة والجديدة (66 :1962). وذكر بعد ذلك الأفكار التي تتفق فيها نظريتا التسرب السلمي والهجوم العسكري والتي تتنـاقض ونظريتـه. وهـذه العناصر هي (1) أن القبائل الإسرائيلية دخلت إلى الأراضي الكنعانية من الخـارج، (2) أن القبائل الإسرائيلية كانت بدوية أو شبه بدوية الطابع، وهكذا (3) فإن التماسك بين هذه القبائـل كان على أساس عرقي وأن صلات القرابة لعبت دوراً محورياً في التفريق بين الإسـرائيليين من جهة، والكنعانيين من جهة أخرى. ويوافق Mendenhall على النقطة الأولـى والثالثـة جزئياً ويرفض النقطة الثانية، ويعلل ذلك في أنه لا يمكن الربط بين الإسـرائيليين الأوائـل والنمط البدوي، وذلك أن البدو يتنقلون بشكل موسمي وتضعف بينهم الروابط الاجتماعية وأنهم مجتمعات هامشية كما هو الحال في هذه الأيـام (69-67 :1962) مـن هنـا تبـدأ نظريـة

Mendenhall بالانعطاف إلى مفهوم جديد حول طريقة ظهور الإسرائيليين وطبيعة نمط تجمعهم واستقرارهم.

وهكذا، يطرح Mendenhall فكرته حول ظهور الإسرائيليون وينفي أن يكون ما جرى من أحداث مثل التغير السكاني أو الإبادة الجماعية، وحتى أنه لم يكن هناك طرد للسكان، ويستنتج بعد ذلك أنه لم يكن هناك هجوم حقيقي على الأراضي الكنعانية بشكل عام وأن ما حدث بالمقابل يمكن تسميته باعتقاده ثورة فلاحين ضد نظام دول المدن الكنعانية، بالتالي فإن ذلك يُشير في مفهوم Mendenhall إلى أنهم قبائل توحدت في مجابهة الأوضاع المعيشية التي سادت دول المدن الكنعانية، في نهاية العصر البرونزي المتأخر، مما دعا هذه القبائل إلى التجمع والتوحد بهدف خلق خطر حقيقي يهدد المدن الكنعانية. أدت هذه العملية في نهاية المطاف في وجهة نظر Mendenhall إلى إيجاد مجموعات إسرائيلية توحدت على عبادة إله واحد هو "يهوه"، نشأ على إثر ذلك ميثاق ودين جديد بين هذه المجموعات، قادهم إلى رفض النظم الدينية والسياسة والاقتصادية السابقة وبهذه الطريقة ظهر الإسرائيليين في التاريخ لأول مرة (1962: 73-76).

ومما ساعد على خلق الثورة بين الفلاحين، بحسب Mendenhall، الاختلافات والصراعات بين دول المدن في ذلك الوقت، والتي عصفت بالطبقات الدنيا فيها، ويستشهد على ذلك برسائل تل العمارنة التي تروي مثل هذه الأحداث في دول المدن، وقد دفع ذلك بالفلاحين إلى الثورة ضدها (1962: 77). وبالتالي كانت نتيجة هذا التجمع والميثاق تشكل بدايات ما سماه Mendenhall "الهجوم". وقد ساعد تطور العلاقات الاجتماعية التي أثرت في الجماعات الأخرى التي لم تنضم في البداية إلى هذا الميثاق إلى الانضمام إليه لاحقاً على أمل التحرر من الظلم السائد والمسارعة إلى تشكيل جيش لمواجهة حكام هذه الدول. من هنا وقف

الحكام ضد جيش الثورة، وبدأت الحرب التي دُمرت فيها بعض المدن (84-83 ,79 :1962)، بهذا يكون Mendenhall وضع كل المفاهيم المتعلقة بنظريته، والتي تابع في تفسيرها في السنوات اللاحقة.

نشر Mendenhall في العام 1973م كتاباً بعنوان: *The Tenth Generation: The Origins of the Biblical Tradition* جاء فيه أن الخلاف مع الكنعانيين والثورة التي نمت بذورها بين الإسرائيليين قد تعدت المستويات الحربية أو العرقية، وكانت بذلك ثورة زراعية وصناعية وفلسفية، يمكن من خلال النصوص الكتابية والمواد الحضارية الأخرى كتابة أحداثها التاريخية وذلك للاقتراب أكثر من فهم الظروف السياسية والاجتماعية التي قادت إلى هذا النوع من الثورة (19 ,17 :1973). ويتساءل Mendenhall فيما إذ كان هناك هجوم إسرائيلي أصلاً وإذا حدث فعلاً، هل كان ذلك في النصف الثاني من القرن الثالث عشر ق.م؟ وذكر أن ما يسمى بالهجوم على هذه المنطقة كان دماراً حل في جميع مناطق الشرق القديم في ذلك الوقت (22 :1973). بالإضافة إلى حديثه حول مسلة مرنبتاح والتي ذُكر فيها اسم إسرائيل، ويعتقد بأن الفرعون المصري مرنبتاح كان المسؤول عن خروج بعض الجماعات الإسرائيلية من مصر (Mendenhall 1973: 23).

ناقش Mendenhall بعد ذلك موضوع الوحدة والتحرر التي جمعت الإسرائيليين للتخلص من سطوة الملوك ورؤساء العشائر الكنعانية (27 :1973)، ففي بداية أحداث الثورة لم تكن هناك عرقية (أثنية) تميز الإسرائيليين، وإنما نشأت هذه العرقية في اعتقاده مع الوقت، ويشير إلى أن نشوء العرقية لم يذكر في العهد القديم، وإنما وجد من خلال الاتفاق بين الباحثين في الموضوع الذين أكدوا ظهورها عبر فترات من الزمن وعبر الاستمرارية التي ولّدت بين الإسرائيليين الشعور بالتميز العرقي. ويَعتبر Mendenhall أن الإسرائيليين أتباع

(يهوه) يتشكلون من عائلات وأشخاص مختلفين ولهجات مختلفة، شكلوا بالتالي نمطاً اجتماعياً جديداً تأكد من خلال العهد والاتفاق وقبول حكم (يهوه) لهم. وهكذا أشار Mendenhall إلى أن (يهوه) كان رافعاً للظلم وجالباً للعدالة بقيادته تلك الثورة (1973: 27-29).

تحدث Mendenhall في مقالة المنشورة عـام 1976م بعنـوان: *"Change and Decay in All around I See": Conquest, Covenant, and The Tenth Generation* عن انهيار الحضارات في نهاية العصر البرونزي المتأخر، وأشار إلى حدوث انهيار كامل لحضارات الشرق القديم، وذلك أن معظم الحضارات تقريباً تصـل إلـى النهاية ومن ثم الانهيار. أما بالنسبة لعلاقة الإسرائيليين بهذا الحدث فهو يؤكد أن ظهورهم كان أحد نتائج ما حدث في الشرق القديم في ذلك الوقت، وبذلك فإن نشأة الإسرائيليين لم تكن سبباً في الانهيار الحضاري في الأرض الكنعانية، وإنما نتيجة لهذا الحدث (1976: 154). ونتيجة لما تقدم يستنتج Mendenhall أن اثنتي عشرة قبيلة من أصول كنعانية قد تشكلت ودليله على هذا أولا: اللغة؛ إذ أن لغة العهد القديم هي نفسها لغة الكنعانيين، وربما كانت تختلـف لهجـة علية القوم الكنعاني عن المجتمع البسيط، وخاصة في المناطق البعيدة نسبياً عن المركز. ثانياً: البيئة؛ إذ يُظهر عامل البيئة في رأي Mendenhall، الظروف المعيشـية المتشـابهة بـين الإسرائيليين والكنعانيين، والاستعمال المتشابه لاقتصاد سبل العيش، مثل الحبوب، والحيوانات. أفاد هذا العامل باعتقاده أن الإسرائيليين لم يكونوا بدواً، ولم يكن (موسى) بدوياً أثناء التيه؛ فقد كانت المعجزات تحميه ومن معه في سيناء. ثالثاً: وجود استمرارية في التقاليد الكنعانية لـدى الإسرائيليين يتجلى ذلك من خلال القصص التي تروى من جيل لآخر عبر عملية التـوارث. رابعاً: ممارسة الطقوس الدينية، ويفسر Mendenhall ذلك أن المعتقدات لدى سكان القرى لا تتغير بسهولة، وذلك أن العهد القديم يحتوي الكثير من الأفكار الكنعانية التي ربما تطورت بعد

ذلك. أدى كل ذلك إلى التغير في أفكار الإسرائيليين عن الأفكار الكنعانية من خلال اتفاقـاتهم والعهد الذي قطعوه ما بينهم وهذه هي الفكرة السادسة (1976: 156-157).

لخص Mendenhall مقالته في عدة نقاط. أولاً: إن ظاهرة نشوء القبائـل ظـاهرة طبيعية في الشرق القديم، ولا يجب أن تأخذ بشكل جدي. ثانياً: تغير في نمط التفكير في نهاية العصر البرونزي المتأخر بسبب الدمار الواسع الذي أصاب حضاراته. ثالثـاً: أن الحـروب الإسرائيلية الكنعانية التي حدثت في الفترة الانتقالية بين العصرين البرونزي المتأخر والحديدي الأول كان سببها الوحدة التي جمعت بين أفراد القرى البعيدة عن المركز في شكل اثني عشرة قبيلة بقيادة (يهوه) الإله والملك. رابعاً: كانت نتيجة هذا الحراك الحرية التي جنـت ثمارهـا القرى المتحدة التي تخلصت من النظام الإقطاعي الذي مُورسَ ضدها. وتطورت القرى بعـد ذلك تطوراً كبيراً نتج عنه زيادة سكانية سببت إنشاء مستقرات جديدة، لأن الزيادة السـكانية باعتقاد Mendenhall تستنزف الموارد الطبيعية المتوفرة مما يؤدي بالمجتمعات إلى البحث عن مناطق بديلة يهاجر إليها جزء من المجتمع. وتتميز هذه المناطق الجديـدة بقربهـا مـن المواقع الأصلية، وبتالي تصبح المواقع الجديدة وليداً طبيعيا للموقع الأصلي. خامساً: إن مـا سماه Mendenhall الجيش الذي يوفر السلام في ظروف معينة، هو ذاته الذي يـؤدي إلـى الحروب في ظروف أخرى (157 :1976).

لاقت نظرية Mendenhall الاجتماعية قبولاً واسعاً في الوسط العلمي، والتي وجـد البعض فيها ضالته، وهكذا فما كان من بعض العلماء إلا الأخذ بما فيهـا كأسـاس لدراسـة المجتمع الإسرائيلي الذي تشكل باعتقادهم من داخل المجتمع الكنعاني، فمنهم من طور عليهـا وذهب فيها لحدودٍ أبعد في التفسير والتطبيق. ومن أوائل العلماء الذين طوروا هذه النظريـة وأخذوها بالدراسة نورمان غوتوالد Norman Gottwald، ونيلس لِمكه Niels Lemche،

الذين طوروا مفهوماً آخراً لهذه النظرية سنتناوله في ما بعد. ومنهم أيضا عالم الآثار التواري وليم ديفر William Dever.

بعد نقده لنظريتي التسرب السلمي والهجوم العسكري في كتابه *Tribes of Yahweh* في العام 1979م تحدث Gottwald حول نظرية الثورة الاجتماعية التي يعتبرها موازية لمفهوم الغزو بقيادة يَشُوعَ، وقد استند في ذلك إلى الدمار الذي ألمّ بالمنطقة، ويصف الإسرائيليين بأنهم تجمع كبير تحت سيادة دين واحد (1979: 210)، ويعتقد أن نظرية الثورة الاجتماعية تتميز في كونها تربط بين العنصر الديني المتعلق بالإله يهوه من جهة والوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الأراضي الكنعانية من جهة أخرى. ويشير إلى أن نظريتي التسرب السلمي والغزو العسكري لم تلتفت إلى هذين الرابطين، إضافة إلى أنه يشير إلى عنصر هام ساعد في نجاح الثورة التي أدت إلى ظهور الإسرائيليين، ويتلخص هذا العنصر في أن هناك جماعات صغيرة (عبيد) قررت الرحيل من مصر إلى الأراضي الكنعانية في فترة سبقت الثورة الاجتماعية، وهكذا فإن الجماعات التي سببت تلك الثورة ترجع في اعتقاده إلى تلك الجماعات المهاجرة التي انصهرت في الطبقات الدنيا للمجتمع الكنعاني وتفاعلت معها وشجعتها على الثورة، وكانت نتيجة هذا التفاعل بحسب Gottwald اندلاع الثورة ضد الاستغلال الذي مارسته علية القوم على الطبقات البسيطة في المجتمع (1979: 211, 213-214).

يشير Gottwald إلى أن نظرية الثورة الاجتماعية يمكن أن تتلاءم بشكل أكبر من النظريتين السابقتين مع الدمار الذي حل بالمنطقة في نهاية القرن الثالث عشر ق.م، لأنه يعتبر أن سقوط المدن الكنعانية سببه الهجوم الإسرائيلي أثناء الثورة، بالإضافة إلى سقوط بعض المدن الأخرى على يد المصريين. ومن الجدير بالذكر في رأيه أنه في تلك الفترة ظهرت مواد

حضارية جديدة كالفخار تختلف عما سبقها، الذي كان مرده إلى أن صانعي الفخار إما قتلوا أو هربوا أثناء الثورة (217 :1979).

ذهب Gottwald إلى حدود أبعد في تفسير المجتمع الذي ولدت في ثناياه الثورة، فقد أدخل نمط البداوة إلى نظريته و Mendenhall، مع العلم أن Mendenhall يرفض النمط البدوي في نظريته. وعلى أية حال فقد فرّق Gottwald بين مفهومي البداوة الرعوية والبداوة بشكل عام، وأشار إلى أن البداوة الرعوية مرتبطة ارتباطاً وثيقا بالزراعة، وأن البدوي يمكن أن يكون مزارعاً في نفس الوقت، وبذلك فإن البداوة تعتمد على المناطق التي يعيش فيها السكان وعلى نوع الحيوانات التي تربى فيها، فهو أي Gottwald لا يفرق إن كان المأوى خيمةً أو بيتاً طينياً، لذلك فإن المزارع في رأيه يمكن أن يعيش في الخيمة والتي تعبر في بعض الأحيان عن العوامل الاقتصادية التي يخضع لها المزارع (441-435 :1979).

استعرض Gottwald آراء بعض العلماء في إشارتهم إلى أن البداوة الرعوية سبقت الزراعة في الظروف التي نشأت من خلالها القبائل الإسرائيلية، وأن هذه القبائل تحولت إلى الزراعة بعد الاستقرار. ويستشهد Gottwald برأي علماء ما قبل التاريخ الذين يؤكدون أن الزراعة سبقت البداوة، وبالتالي فإن البداوة نشأت من المراكز الزراعية وتوسعت نحو المناطق الحدودية والمتاخمة، لذا فإن البداوة من وجهة نظره وليد طبيعي للزراعة، وأن تحرك البدو الرعويين نحو الاستقرار هو في واقع الأمر عودة له، أما الهجمات التي تحدث من قِبل البدو فهي نزاعات داخلية في الخليط الرعوي الزراعي للسيطرة على الطرق التجارية وليس هجوماً من مجموعات غريبة عن المجتمع. علاوة على ذلك، فإن نسبة البدو في تلك الفترة كما يشير لم تتعد 10% من مجموع سكان الشرق القديم، لذا لا يمكن في رأي Gottwald أن تكون هذه النسبة قادرة على الهجوم والتسلل إلى مراكز التمدن الكنعانية (443-442 :1979).

تحدث Gottwald عن علاقة البدو الرعاة بالثورة الاجتماعية التي نشأ منها المجتمع الإسرائيلي، فهو يعتبر ما حدث على النحو الآتي: كان النظام السياسي في حوالي العام 2000 ق.م يضطهد الفلاحين والرعاة على حد سواء، وكان هذا النظام يستغل جميع مقدرات المجتمع من النواحي الزراعية، ولّد ذلك برأيه رفضا للظلم وتطلعاً نحو الحرية التي لا تتأتى إلا من خلال الثورة، الأمر الذي سبب ضغطاً كبيراً عليهم، دفع بعضهم إلى الالتجاء للرعي في المناطق النائية حيث لا تستطيع السلطات الوصول إليها؛ فكانت فرصهم في الغزو ضد مستغليهم أكبر من فرصة المجتمعات المستقرة والقريبة إلى مراكز السلطة. وبعد نجاح ثورتهم يعتقد Gottwald أنهم عادوا للاستقرار والاعتماد على الزراعة في عيشهم (:1979 448-451).

يصف بعد ذلك ما سماه الآباء The Patriarchs ويصبغ عليهم صفة البدو الرعاة وذلك في فترة التيه التي عاشوها في صحراء سيناء، وهناك بعض الدلائل الاقتصادية والاجتماعية في رأي Gottwald تشير إلى أن معظم أو كل المجموعات التي تتضمنها حركة الآباء كانت تستخدم نمط الانتجاع Transhumant (أي الاستقرار في مكان ما لمدة نصف عام ومن الانتقال إلى أماكن أخرى في النصف الثاني منه). وقد استخدم Gottwald هذا المفهوم للتفريق بين المجموعات التي تستخدم البداوة أو الزراعة بشكل كامل، وتلك التي مارستها بشكل جزئي (1979: 452).

يربط Gottwald بين الجماعات المنتجعة والقبائل التي خرجت من مصر، ويعتبر أن هذه الجماعات تبلورت من داخل الطبقة الدنيا للمجتمع المصري ثم توحدت بشكل تدريجي على عبادة إله واحد، ومن ثم توجهت إلى الأراضي الكنعانية عبر الأردن، ويطلق على هذه الجماعات ما عرف باسم قبائل الشاسو Shosu وليس العبيرو. ففي رأيه أن العبيرو هم .

مجموعات خارجة عن القانون، أما الشاسو فيقطنون في مكان ما جنوب إدوم (-455 :1979 458).

طرح Gottwald في عام 1983م فكرة جديدة في مقالة له بعنوان: *Tow Models for the Origins of Ancient Israel: Social Revolution or Frontier Development* تتناقض وجوهر حديثه حول المحرك الأساسي للثورة الاجتماعية التي أسند فيها دوراً كبيرا للبدو الرعاة. أما الجديد في هذه النظرية فهو إيجاده لمحرك آخر للثورة؛ فقد اعتبر أن الثورة قامت لعوامل التوسع الريفي الزراعي المرتبط بعلاقات عائلية حقيقية ضمن العائلة نفسها وجيرانها وسكان الإقليم تخلل ذلك تعاون مشترك بينهم، زرع فيهم روح الحكم الذاتي سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وبذلك نما فيهم تعريف ثقافي ذاتي لهم، والذي في اعتقاده أعطى دينهم دوراً أساسياً شجعهم على التفكير بشكل مستقل، فدفعتهم هذه العملية إلى محاولة جعل الطبقات الاجتماعية متساوية عن طريق ثورة دلت عليها نصوص العهد القديم والنصوص الكتابية الأخرى والمادة الحضارية لهم، إضافة إلى حقول علمية أخرى، مثل المقارنات الأنثروبولوجية والدراسات الاجتماعية (7-6 :1983).

على أية حال قدم Gottwald بعد ذلك في مؤتمر *Biblical Archaeology Today* عام 1984م أربعة نماذج يحتمل كل منها تفسير الطريقة التي حدثت من خلالها الثورة الاجتماعية ونشوء إسرائيل. دعا Gottwald النموذج الأول بثورة الفلاحين؛ إذ كانت مجموعة من الثورات شملت الفلاحين والتجار وقطاع الطرق والبدو الرعاة وبعض الأشخاص المنتمين للطبقات العليا الذين قادوا هذه التحركات. أما النموذج الثاني فسمي بالثورة الاجتماعية الذي كان النتيجة المحتومة للنموذج الأول، وفيه ظهرت أنماط جديدة لسبل العيش في المرتفعات الفلسطينية تساوى فيها المجتمع الجديد. استمرت هذه الثورة لمدة قرنين من

الزمان. وهكذا قام Gottwald بالتفريق بين ثورة الفلاحين والثورة الاجتماعية؛ إذ ليس كل ثورة فلاحين تعد ثورة اجتماعية، وذلك في رأيه أن ثورات الفلاحين لا تقود كلها إلى التغيير في المجتمع بشكل كامل بعكس الثورة الاجتماعية. يُدخل Gottwald بعد ذلك نموذج تطور التخوم أو المناطق الهامشية، وقد نتّج هذا النموذج من خلال الثورة الاجتماعية التي أثرت على تلك المناطق من خلال التغير الذي حدث في النظم القائمة فيها، فأفرز ذلك نظاماً تكنولوجياً معقداً وصراعات داخلية وتوازناً عسكرياً، وخلق حدود بين المناطق التي تعتمد على الاستراتيجيات والتكتيكات الثورية. يقودنا ذلك إلى النموذج الرابع المسمى باللصوصية الاجتماعية، أي أن الارتباكات السياسية والعسكرية وعدم استقرار الأوضاع في المنطقة بسبب الثورة الاجتماعية أدت إلى خلق نشاط لقطّاع الطرق واللصوص من قبل الأفراد والمجموعات الصغيرة، وكانت نشاطات هذه المجموعات تنصب باتجاه تدمير نظام دول المدن. وفي رأيه فإن ظاهرة اللصوصية كانت مصاحبة دائما للثورات (1985: 37-38).

يرجح Gottwald النموذج الثالث والرابع في حال اعتماد فكرة انهيار نظام دول المدن من داخل أو خارج الأراضي الكنعانية، أما إذا افتُرض أن نظام الدول المدن تم من خلال عملية تجمع واتحاد الإسرائيليين معاً فإنه بذلك يرجح كفة النموذج الأول والثاني. ويُعقب Gottwald في النهاية بأن كل هذه النماذج مجتمعة تعبر عن التكامل والشمولية في الطريقة التي ظهرت من خلالها إسرائيل (1985: 38).

بعد المراجعة التي تناولت نظرية الثورة الاجتماعية لكل من Mendenhall وGottwald المؤسسان لها، وبعد الاطلاع على التطور الذي أحدثه Gottwald فيها، لابد من النظر في كتابات بعض العلماء الذين اشتقوا وجهات نظرهم حول نشوء إسرائيل من خلال هذه النظرية، ومنهم نيلس لمكه Niels Lemche الذي اعتمد في الحكم على مسألة

نشوء إسرائيل على نظرية الثورة الاجتماعية، مع العلم أنه اتجه في منحى آخر مختلف عما طرحه Mendenhall و Gottwald.

تناول نيلس لمكه Niels Lemche ظهور إسرائيل من الناحية الاجتماعية في كتابه المنشور في العام 1985م بعنوان *Early Israel: Anthropological and Historical Studies on the Israelite Society Before the Monarchy*. إذ قيم Lemche فيه العلاقات التي تجمع بين ثلاثة مفاهيم وهي: الهجرة، ومعلومات العهد القديم، والنصوص الكتابية من خارج العهد القديم. فيبدو بالتالي أن عملية الدخول الإسرائيلي إلى الأرض الكنعانية بطريقة أشباه البدو ليس لها أساس داخل العهد القديم، وبذلك فإن هذه الفكرة تتصف بالضعف الشديد. والغريب في رأيه أن الكثير من العلماء أخذوا بهذه الفكرة لإثبات تاريخ إسرائيل القديم. ويشير إلى عدم وجود أية دلائل أثرية تثبت دخول عدد كبير من السكان إلى كنعان في بدايات العصر الحديدي الأول، بالإضافة إلى أن المعلومات المشتقة من العهد القديم كتبت في منتصف القرن الأول ق.م، يدل ذلك في رأيه على أن معلومات العهد القديم خيالية (Lemche 1985: 411-412). هذا بما يخص نظرية الهجوم العسكري.

يفترض Lemche بعد ذلك أن أصل الإسرائيليين كان شبه بدوي، ويؤكد أنهم لو كانوا حقاً كذلك فإنهم لن يتركوا آثاراً خلفهم تدل عليهم، وهكذا تكون نظرية التسرب السلمي أكثر ملائمة، إلا أنه ومن ناحية أخرى يشير إلى أن تطور البدو نحو الحياة المستقرة كان تطوراً غير طبيعي، وخاصة إذا حدث ذلك في مناطق لا يوجد فيها سلطة مركزية كما هو الحال في الأراضي الكنعانية في ذلك الوقت. ومن الجدير بالذكر أن هذه الفرضية لا ترتكز على أسس كتابية أو أثرية، فهي بالتالي غير منطقية، ويجب البحث عن بديل.

يفترض Lemche بعد ذلك أن ظهور إسرائيل كان على شكل دخول للمرتفعات من الخارج أو من الداخل. أما إذا كان من الخارج فستكون نظرية Albright في تقديره صحيحة، إلا أن هذه النظرية لا ترتكز على دلائل أثرية، من أجل ذلك رفضها العلماء في السنوات الأخيرة. وأما إذا كان من الداخل فستكون فرضية الثورة الاجتماعية هي الأكثر ملائمة لوضع تاريخ الإسرائيليين، إلا أنها بحسب Lemche ليس لها أساس في العهد القديم، لهذا يذهب إلى اعتبار أن التاريخ الإسرائيلي القديم بني على أساس تقاليد العهد القديم، من هنا جاء التشابه بين تلك النظريات. إلا أنه ومن ناحية أخرى يعد العهد القديم أساطير يجب الاستغناء عنها، ويجب الاعتماد على قواعد علمية في تفسير الكيفية التي نشأت من خلالها إسرائيل (1985: 412-416).

يؤكد Lemche بعد ذلك أن من الأمور المهمة هو معرفة التاريخ الصحيح لبداية إسرائيل، والذي يحتاج في اعتقاده إلى مزيد من التوضيح. ويؤكد أنه لا يجب اعتبار العصر البرونزي المتأخر هي فترة ما قبل تاريخ الإسرائيليين، وذلك لأنها تحتوي على مصادر مصرية ودلائل أثرية يفيدان في فهم الفترة الانتقالية بين نهاية العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، مثل رسائل تل العمارنة وبعض النصوص المصرية المتفرقة ونصوص رأس الشمرة (أوجاريت) وتل العطشانة (آلالاخ) التي تعود مجتمعة بالفائدة في بناء تاريخ الإسرائيليين، مع تأكيده الحذر في التعامل مع هذه النصوص، وذلك لأن ما ينطبق على مكان ربما لا ينطبق على آخر، مع اعتماد Lemche على دراسة حياة الفلاحين في شمال وجنوب بلاد الشام في التوصل لفهم تاريخ الإسرائيليين (416 :1985). حاول بعد ذلك وضع نموذج للفلاحين غير المستقلين، ويشير إلى أن المعلومات المتوفرة حول علية القوم أكثر من المعلومات التي تتناول حياة الفلاحين، ويقترح لذلك دراسة التطور الاجتماعي، والاقتصادي،

والثقافي، والسياسي في الأراضي الكنعانية مع نهاية العصر البرونزي المتأخر، وهذا يساعد كثيراً على وضع تصورات قريبة إلى الوضع العام في ذلك الوقت، مع استخدام المواد الأثرية للمساعدة في ذلك. وهكذا لا يمكن اعتبار تقاليد العهد القديم تاريخية تروي حدثاً واحداً جرى خلال مائتي عام، لهذا يستشهد Lemche بفكرة Aharoni حول عدم إمكانية وضع التاريخ الإسرائيلي بهذه الطريقة ولفترة واحدة فقط، وبعكس ذلك يجب التعامل معه كأحداث طويلة الأمد لا تحاصر المشتغلين في هذا المجال. يربط Lemche هذا القول بنموذج الفلاحين غير المستقلين الذين كانوا يعملون لدى حاكم له سلطة مطلقة عليهم، وفي ذلك إشارة لما كان عليه وضع الفلاحين في العصر البرونزي المتأخر القريبين من مراكز السلطة (1985: 416-419).

يتناول بعد ذلك المناطق البعيدة عن السلطة المركزية، فقد كان هناك نوعان من المجموعات السكانية هما: العبيرو والبدو. ويفرق Lemche بعد ذلك بين ثلاثة أنواع من العبيرو؛ النوع الأول منهم يعتبره المجموعة الخارجة عن القانون حيث يعيشون في مناطق خارجة عن سلطة دول المدن. ويعد اللاجئين الذين يسعون إلى كسب الحماية من دول مدن أخرى النوع الثاني فقد كانت المنطقة مقسمة إلى دويلات مدن إقليمية. أما النوع الثالث فظهر في رسائل تل العمارنة التي تصف بعض الأمراء بهذا الوصف في فترات النزاعات التي كانت تحدث بينهم. ويعتقد أن فهم مصطلح عبيرو يساعد على فهم ظروف نشوء وتطور الإسرائيليين في المنطقة (1985: 421).

ناقش Lemche مصطلح الشاسو Shosu، وهم في وجهة نظره بدو يعيشون في جنوب وشرق الأردن، ولا يتواجدون في أماكن وجود العبيرو. ولم يكن دورهم كبيراً في مجريات الحروب التي جرت بين دول المدن في المنطقة. ويصف طبيعة حياتهم البدوية التي

لا تتوافق والسكن في المناطق الجبلية حيث الأشجار والغطاء النباتي الكثيف. من هنا يمكن الحديث عن دورهم في انهيار نظام الدولة المدينة المقتصر على قطع الطرق بين هذا النظام ومصر في نهاية العصر البرونزي المتأخر (1985: 421-422).

ويعلل Lemche ظاهرة انهيار الحضارات في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية الحديدي الأول بقلة البضائع المصدرة ورداءة الأنواع المصنعة محلياً بسبب الحرب، ومعوقات التجارة، والأمراض الوبائية، والتحولات المناخية، والمشاكل الاجتماعية، والضغط المصري على الموارد الطبيعية المحدودة في المنطقة (1985: 422-423). وفي اعتقاده أنه عندما كانت الأراضي الكنعانية تحت السيطرة المصرية كان تقدم المصريين يتم من التخوم والحدود الكنعانية، أدى ذلك إلى هبوط وتراجع في كميات الموارد الطبيعية للبلاد في العصر البرونزي المتأخر مقارنة بالعصر البرونزي المتوسط. تعبر هذه العملية عن المشاكل الاقتصادية التي عانت منها المدن الكنعانية في ذلك الوقت. أما بما يخص المناخ فيقارنه Lemche بما هو موجود في مناطق الأناضول، ويستنتج أن المنطقة شهدت موجة جفاف خلال الألف الثاني قبل الميلاد، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يعلق الكثير من الدور على هذا العامل، ولا يعتبره عنصراً أساسياً من أسباب الانهيار. ثم يعرج بعد ذلك على الأمراض الوبائية ويشير إلى وجود دلائل حول هذا العنصر من المصادر الحثية، فتذكر هذه المصادر ظهور بعض الأوبئة في نهاية كل حرب. وهناك إشارات كثيرة حول الحروب والصراعات التي حلت بالمنطقة سواء بين الحضارات الكبرى كالحثيين والمصريين، أو الصراعات الداخلية بين دول المدن نفسها، يدل على ذلك بحسب Lemche ما ورد من نصوص في رسائل تل العمارنة. فقد ركز Lemche على المفهوم الاجتماعي الذي برأيه لا يمكن التعامل معه ودراسته بمعزل عن العناصر السابقة. وأشار بعد ذلك إلى مناطق المرتفعات الفلسطينية التي يَذكر أنها كانت

مسكونة خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر ق.م من قبل عنصر اجتماعي هامشي وهو العبيرو الذين قسمهم إلى الفلاحين غير المستقلين، والجماعات الخارجة عن قانون دول المدن، إذ أن فرار هذين النوعين من السكان أدى باعتقاده إلى ضعف في تلك الدول، وقد استمر هذا الوضع إلى نهاية العصر البرونزي المتأخر، وتسمى هذه العملية بالمجتمع الهامشي أو بالخارج عن القانون. قامت هذه المجموعات بحسب Lemche بإنشاء مستعمرات جديدة لها للاستفادة من المواد الطبيعية الموجودة في المرتفعات في بدايات العصر الحديدي. ويؤكد أيضاً أن منطقة المرتفعات كانت مغطاة بالأشجار الكثيفة في العصر البرونزي المتأخر، فكان لابد من افتعال حرائق لإزالة هذه الأشجار، وليس معدن الحديد كما هو متداول بين بعض العلماء، ومما زاد من صعوبة الوضع قلة الأمطار التي زادت من انحسار الغطاء النباتي تدريجياً، أدى ذلك بالتالي إلى انجراف التربة، الأمر الذي دفع السكان إلى الاستعانة بتقنية بناء السلاسل الحجرية لحماية التربة من خطر الانجراف، بالإضافة إلى بناء الآبار المقصورة التي توفر لهم المياه في مواسم الجفاف. أما بشأن خروج هذه المجموعات إلى المرتفعات الجبلية وانتشارها فيعبر في رأي Lemche عن تركيبة الأسرة النووية (النَسَبية) التي ينمو من خلالها المجتمع ويمتد إلى المناطق المجاورة للموقع الأصلي، فيصبح هناك مستوطنة كبيرة ومستوطنات أصغر تنتمي إلى الأكبر، وقد حدث ذلك في رأيه في نهاية القرن الثالث عشر ق.م (1985: 422-432).

في النهاية يعلق Lemche على أن التفسيرات المتعلقة بظهور إسرائيل لا تعني أن أصلهم من خارج البلاد، ولا تعني أيضًا أنهم شعباً مميزاً، أما نظرية الثورة فقد جمعت بين فكرة الدين الإسرائيلي النادر والمجتمع القبلي الذي لعب دوراً مميزاً في ذلك الوقت، وهكذا فهو يؤكد على وجوب التعامل مع إسرائيل باعتبارها واحدةً من المجتمعات الأخرى التي

ظهرت في نهاية العصر البرونزي المتأخر مثل العمونيين، والآراميين، والإدوميين. وبالرغم من العملية المعقدة التي نشأت من خلالها إسرائيل إلا أنه في وجهة نظره ركز علـــى عـــدم التعامل معها بشكل مختلف عن جارتها في الجانب الشرقي لنهر الأردن. وبالتالي وقع الكثير من الدارسين في الأخطاء التي حالت دون مقدرة التاريخ الإسرائيلي على إبراز نفسه بنفســـه، وعلاوة على ذلك، قام هؤلاء الباحثين وحسب وصف Lemche بتهويل الأفكار والفرضيات حول الموضوع، ونتيجة لهذا الحال فقد شدد على عدم اعتبار أي فكرة مصطنعة أن تصـــبح حقيقية إلا في حال إثبات نفسها من الواقع الملموس وليس بالاعتماد على الظواهر المتـــأخرة مثل كتابة العهد القديم. ويؤكد Lemche أنه لا يجب أن تفسر التقاليد القديمـــة مـــن خـــلال افتراضات وأحكام معروفة مسبقاً (Lemche 1985: 432-435).

بعد مراجعة الفكرة التي قدمها Lemche وبعد الاستعراض لبعض أهم الكتابات حول نظرية الثورة الاجتماعية يظهر بشكل واضح أهمية هذه النظرية من خلال دراسة المجتمـــع الذي عاش في الأرض الكنعانية مع نهاية العصر البرونزي المتأخر والحديـــدي الأول مـــن النواحي الاجتماعية والعرقية وكل ما تقود إليه هذه المفاهيم، فمن الضروري التعـــرف علـــى الفكرة التي استنبطها وليم ديفير William Dever عالم الآثار الأمريكي الذي يختلـــف فـــي استعماله للنظرية عن الباقين من نواحي خبرته في المجال الأثري الميـــداني، وهـــذا يقودنـــا بالضرورة إلى استعراض ما جلبه إلى حقل هذه القضية.

بدأ Dever حديثه بالتأكيد في مقالته المعنونة: *Cultural Continuity, Ethnicity, in the Archaeological Record and the Question of Israelite Origins* علـــى أمرين مهمين، الأول: الاستمرارية الثقافية بين العصر البرونزي المتأخر والحديـــدي الأول، والتي توضحت بشكل أكبر مما سبق، ثانياً: إن ظهور إسرائيل في الأراضي الكنعانية يجب أن

يفسر من نواح طبيعية وتغيرات اجتماعية اقتصادية، وليس من خلال فرضيات الغزو العسكري أو الدخول من خارج البلاد بشتى أنواعه (22 :1993).

بعد تأكيده على ما ذكر أعلاه، تناول Dever علم الآثار وقدرته في التعرف على الإثنية من خلال عمليات الاستمرارية والانقطاع الثقافي، وبذلك فقد وضع بعض الشروط التي تُحقق ظهور الإثنية جديدة، وهي في اعتقاده أنه توجد وحدة بيولوجية خاصة تربط بين أفراد العرقية الجديدة، وتشترك في مجموعة من القيم الثقافية الأساسية المتعارف عليها ومن ضمنها اللغة، والتي تُنتج عمليات تفاعلية مشتركة، وتخلق علامات مميزة لهم، وتكون معروفة لدى المجموعات الأخرى، ويجب أن يكون هناك وحدة في الشعور بالهوية المنفردة من خلال تطوير بعض القوانين، وذلك من خلال صنع حدود إثنية اجتماعية متعارف عليها. ومن هنا يذكر Dever بعض مظاهر العصر الحديدي الأول في الأرض الكنعانية ذات الصلة بالشروط السابقة، أما هذه المظاهر فهي، أولاً: ظهور مجموعة سكانية جديدة في المرتفعات الفلسطينية يمكن تمييزها من خلال البقايا الأثرية، وهكذا يمكن التفريق بينها وبين الكنعانيين والفلسطينيين، ثانياً: ربما كانت هذه المجموعة في رأيه قد تواجدت خلال القرن الثالث عشر ق.م، وأصبحت تعرف بعد ذلك بالإسرائيليين الذين جاء ذكرهم في مسلة مرنبتاح العائدة إلى تلك الفترة. ثالثاً: تَميزت المواد الحضارية في تلك الفترة وتطورت مع الزمن وصولاً إلى القرن العاشر ق.م. وبهذا فإن علم الآثار من خلال دراسته للبقايا من وجهة نظر Dever سيكون أكثر واقعية ومصداقية من نصوص العهد القديم التي كتبت في فترات متأخرة جداً عن الأحداث الحقيقية (Dever 1993: 23-24).

أكد Dever أن فهم عملية ظهور إسرائيل يتخلله صعوبات جمة، إلا انه بالإمكان حلها بالاعتماد على المواد الحضارية والنصوص الكتابية. فالمادة الحضارية بالنسبة له تعكس

الحقيقة، أما المادة المكتوبة فتعكس الأيدولوجيا (الفكر)، فالحقيقة تترجم من خلال العناصر الاجتماعية والاقتصادية، والاقتصادية بشكل خاص التي تعرف من خلال معاني الإنتاج والطبقة التي تسيطر عليه، أما الأيدولوجيا باعتقاده فتتمحور حول الدين الذي يشكل الستارة التي تلف الحقيقة، وقد ترجم Dever هذه الفلسفة بالإشارة إلى العهد القديم الذي يذكر ظهور إسرائيل وندرتها في التاريخ، فقد كانت هذه الحقيقة مطلوبة بشكل حرفي باعتقاده للكيان الإسرائيلي في ذلك الوقت، ويعبر ذلك عن الوجه الأيدلوجي للموضوع. أما الحقيقة فتظهر من خلال الأبحاث الأثرية المستقلة التي تلقي الضوء على ما يصطلح عليه Dever بالإسرائيليين الأوائل Proto Israelite، وأنهم كانوا موجودين بشكل طبيعي في المرتفعات الفلسطينية، وأنهم الكنعانيون المطرودين أنفسهم، إذ لم تُدفع هذه المجموعات بأي نوع من الأيدولوجيا ولا حتى بالحماسة العرقية، وإنما بشكل بسيط يعبر عن حاجاتهم الاقتصادية التي دعت إلى أن يستوطنوا المناطق الهامشية في المرتفعات، لذلك فإن إسرائيل في رأيه لم تكن نتيجة التحرك الاجتماعي المتساوي على أساس عرقي، ولم تكن نتيجة ثورة الفلاحين، وإنما كانت من خلال قوة التوافق والتكافل الاقتصادي والاجتماعي، مع الشعور المشترك بالقرابة (الهوية الإثنية) والتي أشرنا إليها أعلاه، لذلك فان إسرائيل وحسب رؤية Dever تفهم على أنها تحرك زراعي، واجتماعي، واقتصادي تلاقى ذلك مع أفكار حالمة في التشكل الجديد. ومثل أي ثورة من هذا النوع يأتي العامل الديني متأخراً، ويركز Dever على أن الدين لذلك لم يظهر إلا في فترات ما دعاه (الملكية) فقد شكل الناس في هذه الفترة كلاً من الدين والثقافة (1993: 24-25).

يتابع Dever أنه إذا ما اعتبر ظهور العرقية قبل الدين في حالة إسرائيل فيمكن توقع أن الإسرائيليين قد تشكلوا أساساً من عناصر من المجتمع الكنعاني، وهي مجموعة متنوعة من

اللاجئين، والعبيرو، والمزارعين، ومربي قطعان الماشية، والبدو الرعاة، وبعض المجموعات الأخرى. ويجب أن تكون هذه المجموعات في تصوره قد عاشت على تخوم المجتمع الكنعاني في نهاية العصر البرونزي المتأخر لفترة من الزمن ربما امتدت لعدة أجيال (25 :1993).

وفي حديثه عن الاستمرارية والانقطاع الثقافي، تناول Dever المادة الحضارية ليتوصل إلى نتيجة معينة بشأن العرقية الإسرائيلية، ويشير إلى أنه في النظر إلى المادة الحضارية من الناحية الاجتماعية الحقيقية، فسيتم إيجاد بعض العناصر التي تعبر عن الاستمرارية، ويعبر بعضها الآخر عن الانقطاع الثقافي، ففي الحالة الأولى تظهر الشروط باعتقاده إما من خلال تكنولوجيا صناعة الفخار على سبيل المثال، – فقد أشار Dever إلى الاستمرارية في صناعة الفخار ما بين العصر البرونزي المتأخر الثاني ب (LB IIB) مع وجود بعض الفروقات الوظيفية الطفيفة– وإما من خلال الدين أو اللغة، وتدل هذه العناصر على تفرع الإسرائيليين من خلفية ثقافية كنعانية، وأن الفخار وحده يمكن أن يحسم هذه المسألة. أما بشأن العناصر التي تعبر عن الانقطاع الثقافي والتي تعتبر أكثر أهمية لدى Dever في التحليل والتفسير، فتتضمن: (1) أنواع وتوزيع الاستيطان (2) أنماط سبل العيش (3) التعداد السكاني (الديموغرافيا) (4) البناء الاجتماعي الاقتصادي (5) التنظيم السياسي (6) بعض الابتكارات التكنولوجية التي تتمحور جميعها حول تقنيات الزراعة في المرتفعات الفلسطينية (7) نوعية ونمط الحياة والذي وصف بالعزلة (25 :1993).

يتحدث Dever بعد ذلك عن المشاكل التي وقع فيها إسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein في الدراسة التي أجراها على فخار موقع عزبة صرطة (عزبة سارتة) الذي قام بمقارنة فخارها بمواقع أخرى، والتي تعتبر في رأي Dever متأخرة زمنياً عن هذا الموقع، وبعضها الآخر لم يحفر أثرياً بشكل جيد. ويعتقد أن تل أبو شوشه (تل الجزر) يمكن

مقارنته بما هو موجود في موقع عزبة صرطة، ويؤكد من خلال هذه المقارنة تشابه فخار هذين الموقعين، مع العلم أن موقع تل أبو شوشه كان مأهولاً بالكنعانيين في العصر البرونزي المتأخر، أما عزبة صرطة فتعتبر في رأيه إسرائيلية الطابع، إلا أن ما يحاول إيصاله Dever أن هناك استمرارية في المادة الحضارية للمواقع الكنعانية والمواقع الإسرائيلية مثل عزبة صرطة (Dever 1993: 27).

ويشير Dever أيضاً إلى أن الفخار الذي عثر عليه من مواقع الجليل الأسفل وحتى مناطق النقب يعكس النمط المحلي للصناعة والتشابه، ويشير إلى أن التغيرات في الفخار تدل على التغيرات التي طرأت على المجتمع الكنعاني بشكل عام، ومن خلال ذلك ينوه Dever إلى أن سكان المرتفعات الفلسطينية كانوا في واقع الأمر كنعانيين، واستمروا في استعمال التقاليد الثقافية التي سادت في العصر البرونزي المتأخر، إلا أنهم طوروا تقنيات زراعية جديدة، وبنوا نظماً اجتماعية واقتصادية مختلفة، هذا بالتالي جعلهم يشعرون بالتميز عن غيرهم (1993: 30).

يصل Dever في نهاية مقالته إلى الاستنتاجات التالية، فهو يعتبر البدايات الأولى للإسرائيليين كانت عملية تغير حدثت في المنطقة على صعيد واسع، وأنهم كانوا مزارعين، وبدواً رعاة، وربما كان بعضهم من المهاجرين من الشرق (الأردن)، وبغض النظر عن ذلك فإن معظمهم كان لهم جذور كنعانية، وبعضهم الآخر هاجر من مصر إلى الأرض الكنعانية (Dever 1993:31).

لقد رأينا أن جورج مندنهول George Mendenhall و نورمان غوتوالد Norman Gottwald قد ركزا على عنصر الفلاحين في ظهور إسرائيل، وبالرغم من أن Gottwald لم يستبعد العنصر البدوي في طرحه إلا انه رأى في البدو عنصراً وليداً لطبقة الفلاحين

والمزارعين، وأنهم لم يكونوا أساساً شريحة اجتماعية ارتكزت عليها أحداث الثورة. وهكـــذا، بنيت نظرية الثورة الاجتماعية على الفلاحين والمزارعين الذين انضم إليهم بعـــض الفئـــات الأخرى. ونجد أن لورنس ستيجر Lawrence Stager قد استعمل مفهوم الفلاحين في وضع نموذجه حول ظهور إسرائيل، والمسمى النموذج الريفي Ruralization، فهو يشير إلـــى أن نشوء إسرائيل حدث من خلال هروب الفلاحين من المناطق المنخفضة إلى المرتفعات وذلـــك للبعد عن سيطرة دول المدن وعن حكم المصريين الذي كان نشيطاً في مناطق المنخفضـــات، وقد طوروا السلاسل الحجرية والآبار المقصورة لتنشيط اقتصادهم الزراعي (Stager 1985: 5-10, Younker 2003: 371). وفي رأي الباحث فإنه لم يبتعد نموذج Stager عـــن مـــا قصده كل من Mendenhall وGottwald في نظريتهما التي بسبب ما ذكر حول الفلاحـــين والدور الكبير الذي لعبوه في نظريتهما وافتقارها للدليل الأثري، ظهـــرت نظريـــة إســـرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein عالم الآثار الإسرائيلي الذي وضع البدو الرعاة أساساً ترتكز عليه نظريته.

2-2 نظرية البداوة الرعوية (Pastoral Nomads Theory)

وضع إسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein نظريته المتعلقة بنشوء إسرائيل عام 1988م في كتابه: *The Archaeology of the Israelite Settlement* معتمـــداً بشـــكل مباشر على العنصر المسمى (البدو الرعاة) الذين كانوا ينتشرون في منـــاطق التخـــوم التـــي تفصل بين الصحراء والمناطق الزراعية الخصبة. وقد ابتكر Finkelstein هذه النظرية من خلال النشاطات الأثرية التي أجراها في المرتفعات الفلسطينية المركزيـــة، وتضـــمنت هـــذه النشاطات مسوحات أثرية شاملة لبعض أجزاء المناطق المذكورة (شـــمال رام الله)، وبعـــض

الحفريات في أهم المواقع الأثرية في تلك المنطقة، إضافة إلى معارضته لنظرية Mendenhall وGottwald، إلا أنه يتفق معها في أمر مهم في رأيه، وهو أنه في فترة ما قبل تدجين الجمال لم يكن باستطاعة الناس العيش في عمق الصحراء لهذا فإن الفئة البدوية الرعوية التي تربي الماشية من جهة، والفئة المستقرة من الناس من جهة أخرى، يشكلان جزأين متخصصين في المجتمع، وتعيش هاتان المجموعتان بالقرب من بعضهما، الأمر الذي أدى إلى إنشاء علاقات اقتصادية واجتماعية صُبغت بطابع التعايش وليس التحدي. فمن أجل التعرف على مجموعة معينة وتتبع أصولها يجب الاعتماد على ثلاثة عناصر دراسية هي، أولاً: المصادر التاريخية التي تفيد في معرفة البعد التاريخي للمجموعة، ثانياً: المادة الحضارية للفترة التي سبقت ظهور هذه المجموعة، وأخيراً: أنماط السكن لمجموعة معينة مقارنة بمجموعات أخرى ظهرت بعدها. وقد عقب Finkelstein على هذه العناصر من خلال إشارته إلى أن العنصر الأول وهو العهد القديم لا يفيد كثيراً في التعرف على الإسرائيليين؛ لأن كتابته متأخرة عن الأحداث الفعلية، أما بشأن العنصرين الثاني والثالث، فيؤكد Finkelstein أن الناس كانوا في بداية العصر الحديدي يتصفون بالرعوية، ودليله على ذلك البيت ذو الغرفة المستعرضة Broad Room House الذي كان تطوراً طبيعياً للخيام من وجهة نظره، بالإضافة إلى آبار المياه المقصورة، والتي تدل على مجتمع في طريقه للاستقرار، أما فيما يخص أنماط السكن فهي تتضح من خلال الكثافة السكانية في المناطق المناسبة لزراعة الحبوب والرعي (Finkelstein 1988: 336-337).

وفي نقطة متصلة بالمواد الثقافية يسأل Finkelstein حول الاستمرارية والانقطاع فيها، ولكي يستطيع الإجابة عن هذا السؤال، يرى أن هناك بعض العناصر التي يجب أخذها بالحسبان لتوضيح المسألة، وللوصول لنتائج تتعلق بسؤاله وهي أولاً: إشارته إلى عدم وجود

فوارق كبيرة بين المواد الحضارية حتى وإن دخل البلاد بعض المجموعات السكانية الخارجية فهي في اعتقاده تتأثر بما هو حاصل في البلاد. ثانياً: تتأثر المواد الحضارية بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية، وبالظروف البيئية. فالاختلاف ربما يظهر في مناطق المرتفعات والمناطق المنخفضة من خلال البيئة والاقتصاد والطبيعة الاجتماعية للسكان، إضافة إلى الفروقات الزمنية، لهذا السبب يجب أن تقارن في وجهة نظره المواد الحضارية للإسرائيليين بالمواد الحضارية الكنعانية، وفي المواقع التي سكنتها كلتا المجموعتين. قادت هذه العناصر Finkelstein إلى اعتبار سكان المرتفعات رعاة لا ينتمون للكنعانيين، وهؤلاء الرعاة لم يسكنوا أعماق الصحراء، وذلك لأنهم ربوا المواشي ولم يستعملوا الجمال، وعاشوا على أطراف المناطق المأهولة بالسكان المستقرين. من هنا تميزت في اعتقاده المواد الحضارية المنسوبة لهم عن المواد الحضارية للكنعانيين (1988: 338).

وحتى يدعم Finkelstein ما يصبو إليه، فقد قسم الأراضي الكنعانية إلى قسمين، احتوى القسم الأول على المناطق السهلية الخصبة، مثل السهل الساحلي، والتي تحتوي على كثافة سكانية عالية، أما القسم الثاني فقد أطلق عليه اسم مناطق التخوم، وهي المرتفعات الفلسطينية متذبذبة السكن، وتشتمل على المناطق الجافة، مثل مرتفعات النقب ومرتفعات الخليل وبيت لحم، والقدس (يهوذا)، ومرتفعات رام الله ونابلس (إفرايم) بالإضافة إلى مرتفعات الجليل، التي وصفها بوقوعها تحت ظروف بيئية وجيولوجية ومناخية وجيومروفلوجيا قاسية. استنتج Finkelstein مما تقدم أن الناس كانوا يعيشون في المناطق الخصبة، أما سبب دخولهم إلى التخوم فيعتمد في رأيه على الكثافة السكانية التي دفعت بعض الجماعات إلى التدفق نحو المناطق الأقل سكاناً، والتي تحتوي على موارد معيشية أكثر وفرة من المناطق المزدحمة. ركز Finkelstein بعد ذلك على تاريخ السكن في المرتفعات الفلسطينية، والتي

يعتبرها مكان نشوء إسرائيل، ويبدأ باستعراض استيطان هذه المناطق منذ العصر البرونـــزي المتوسط الثاني (MB II)، ويذكر أن هذه العملية تساعد في فهم فكرة السكن في هذه المنطقة، بالإضافة إلى تسليط الضوء على أصول الإسرائيليين، ففي العصر البرونزي المتوسط الثاني ب (MB IIB)، يشير Finkelstein إلى كون السكن كثيفاً في هذه المناطق، مقارنة بالفترات السابقة حيث وجدت مئات المواقع تعود إلى هذه الفترة، وكان انتشار الســكان فـــي القــرى والمواقع غير المحصنة، أما في العصر البرونزي المتوسط الثاني ج (MB IIC) فقد هُجرت تلك المواقع، وظهرت أخرى محصنة دمرت في نهاية هذه الفترة باعتقاده مـــن جديـــد. أمـــا العصر البرونزي المتأخر فقد شهد تغيراً حاداً في الطبيعة السكانية؛ إذ نقص عـــدد المواقـــع الأثرية في تلك الفترة وبقيت بعض المواقع مستمرة من العصر البرونزي المتوسط، ولكن مع تقلص حجمها واستبدلت بمواقع مساحتها أصغر مما قبل. أما نشاطات السكان فقـــد تركـــزت على المناطق المنخفضة. وقد وصف Finkelstein ما جرى خلال العصر الحديـــدي الأول بالتحول الدراماتيكي السريع في سكن مناطق المرتفعات، فزادت المواقع فيها. من هنا يطرح Finkelstein سؤالين هما: "أين ذهب سكان العصر البرونزي المتوسط؟ ومن أيـــن ظهـــر سكان العصر الحديدي الأول في المرتفعات؟" (340-339 :1988).

حاول Finkelstein الإجابة على هذه الأسئلة من خلال الآتي: إشارته إلى حـــدوث هبوط في عدد السكان في العصر البرونزي، الذي يرجعه إلى ما قبل نهاية العصر البرونزي المتوسط؛ إذ كانت هذه العملية تدريجية وسريعة، ويشير إلى أن أسباب هـــذا الهبـــوط غيـــر واضحة، ففي تصوره أن السبب هو الهجوم المصري في بداية الأسرة الحديثة التي تطلعـــت إلى السيطرة على المنطقة، إلا أنه لا يرجح هذا السبب، لأنه لا يقود إلى هجـــران المواقـــع المسكونة بهذه الطريقة. لذلك افترض أن النظام الاجتماعي والسياسي الكنعاني لعـــب الـــدور

الأكبر في هذه الظاهرة، لأن الجماعات التي رجعت إلى نمط البداوة تأثرت بالضغط السكاني على الموارد الطبيعية الخام وبالأمراض وسطوة السلطات وفرض الضرائب الثقيلة وانعـدام الأمان في تلك الفترة. ثم يتحول بعد ذلك للحديث عن نوعين من المنشآت المقدسة، أما النوع الأول فهو المكان البعيد والمنعزل عن المواقع المأهولة بالسكان مثل المنشأة التي عثر عليها في مطار عمان ودير علا وتل سيلون (شيلو)، أما النوع الثاني فهو المكان القريب من الموقع المأهول ولكنه ليس من مكونات الموقع الأصلية مثل المنشأة التي عثر عليها في تل الـدوير، وتلك المكتشفة في جبال نابلس. يذكر Finkelstein أن هذه المنشئات تعبر عن الجماعـات غير المستقرة من خلال "(1) أن هذه الظاهرة غير معروفة في مراكز التمدن الكنعـاني (2) ومن خلال تحليل البقايا الحيوانية في تل سيلون ظهر أن مستعملي هذا الموقع من الرعاة (3) لم تعرف وظائف المنشئات المكتشفة في تل الدوير ونابلس (4) وإن كل المناطق المـذكورة أعلاه تقع في واقع الأمر في مناطق التخوم. وهناك ظاهرة أخرى حـول المجتمعـات غيـر المستقرة (الرعوية) في العصر البرونزي المتأخر، وهي وجود عدد كبير من المقابر التي تقع في مواضع بعيدة عن أماكن السكن الدائم، حيث وجدت هذه المقابر في المرتفعات، ولم تكـن موجودة في أماكن السكن الموصوف بالمستقر" (1988: 341-344).

من الدلائل على وجود ارتباطات معينة بين الرعاة والسكان المستقرين فـي اعتقـاد Finkelstein ما وجد في المعابد من الأدوات التي تدل على ذلك، إضافة إلى أن بعض هذه المعابد ربما تعبّد فيها بعض السكان المستقرين في هذه المواقع. ولم يخل الوضع من وجـود بعض الرعاة الذين أقاموا بشكل مؤقت بالقرب من مناطق الاستقرار، فقـد اكتسـبوا بعـض العادات من نمط الحياة المستقرة. أما من الناحية التاريخية فقد أشار Finkelstein إلى وجود

بعض المصادر التي تذكر الشاسو وبعض المجموعات الأخرى، ويعتقد أن هذا الذكر يدل على أن العلاقات بين الشاسو والإسرائيليين كانت ممكنة في ذلك الوقت (1988: 344-345).

يشير Finkelstein بعد ذلك أنه في نهاية القرن الثالث عشر ق.م بـدأت الـروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بالعودة إلى ما كانت عليه في العصر البرونزي المتوسط، وأصبحت الظروف مناسبة أمام الرعاة للاستقرار، بالرغم من ذلك فإنه من الصعب التعـرف على أسباب ذلك على حد قوله. وأن أفضل وسيلة لمعرفة أسباب ذلك التغير يمكن الوصـول إليها من خلال مقارنته بالأوضاع التي تواجهها بعض الثقافات الحديثة، ومن خـلال دراسـة المجتمعات الحديثة التي تستقر بين الحين والآخر يتبين أن أسباب ذلك تبرز من خلال عـودة الأمان وتأثير الثقافات المجاورة، ووجود بدائل داخلية لسبل العيش مثـل تربيـة الحيوانـات وتسلح السلطات المركزية، والتغيرات المناخية، والصعوبات التـي تواجههـا المجموعـات الرعوية التي تمنعهم من ممارسة الرعي، وانهيار النظام الاجتماعي السياسـي للمجتمعـات المجاورة. ويعتقد Finkelstein أن الأسباب الأربعة الأولى لم تكن متوفرة خـلال العصـر البرونزي المتأخر، وذلك بسبب ضعف السلطات المصرية والكنعانيـة، وعـدم الاسـتقرار السياسي وزيادة في سوء الظروف الأمنية من جهة، وعدم وجود دلائل على التغير المنـاخي من جهة أخرى. إلا أنه يرجح السببين الأخيرين، وربما بعض الأسباب لم يأت على ذكرها.

يشير Finkelstein إلى أنه مع نهاية العصر البرونزي المتأخر شـهدت الأراضـي الكنعانية أحداثاً أثرت على معظم الأنماط المعيشية فيها والسبب في رأيه يعود إلى الحمـلات العسكرية المصرية التي هدفت إلى استغلال الموارد الاقتصـادية للكنعـانيين، إضـافة إلـى الصراعات التي شهدتها دول المدن الكنعانية، وربما مرت المنطقة بفترة جفاف طويلة سبقت العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، وذلك لأن Finkelstein يؤكـد عـدم تعـرض

المنطقة لتغيرات مناخية في العصر الحديدي الأول. ولا يستثني التأثير الذي أحدثته هجرات شعوب البحر إلى المنطقة. كل هذه الأسباب مجتمعة أدت باعتقاده إلى إحداث خلل في النظام السياسي والاقتصادي للكنعانيين انعكس سلباً على قوة القرى والمدن على حد سواء، وهي نفسها الأسباب التي أدت في اعتقاده إلى استقرار بعض المجموعات، وذلك من خلال الارتباطات بين الرعاة والمستقرين القائمة على مبدأ تبادل المنتجات؛ إذ أن الرعاة يزودون المستقرين بالحيوانات ومنتجاتها، أما المستقرون فيزودونهم بالمنتجات الزراعية. وعندما اضطرب اقتصاد المجتمعات المستقرة اضطر الرعاة إلى ممارسة زراعة الحبوب بشكل خاص، الأمر الذي أدى بهم إلى الاستقرار التدريجي (Finkelstein 1988: 345-346).

يعقب Finkelstein بعد ذلك أنه إذا لم تُفسر الأسباب المذكورة أعلاه استقرار الإسرائيليين فإن الدمار الذي أصاب المدن الكنعانية يقوم بذلك؛ إذ أن ذلك دفع المجتمع إلى الانكباب على الزراعة، الأمر الذي ساعد على عمل موازنة بين المستقرين والرعاة أوصلت الرعاة إلى البدء في الاستقرار، ويعتبر Finkelstein أن الاستغلال المصري للكنعانيين ساعد على الاستقرار؛ إذ أن ذلك الاستغلال زاد الإنتاج الزراعي للسكان المستقرين الأمر الذي دفعهم إلى تشغيل الرعاة في حقولهم للمساعدة في الأعمال الزراعية لزيادة ذلك الإنتاج، ومع مرور الوقت استقر الإسرائيليون أيضاً (1988: 346-348).

تعكس المواد الحضارية في المرتفعات الفلسطينية تأثر الإسرائيليين بثقافة الكنعانيين، ويظهر ذلك جلياً حسب Finkelstein من خلال الفخار الذي دلت أنماطه على الفترة الطويلة التي استغرقها الإسرائيليون في عملية الاستقرار، ويعتقد أنه يمكن تمييز هذه المواد عن غيرها لأنها صنعت في ظروف قاسية في المرتفعات تتلاءم والحياة اليومية لكسب الرزق، والدليل على ذلك هو غياب المواد الثمينة مقارنة مع بقايا الكنعانيين التي تشير إلى الفقر والحياة

البدائية للإسرائيليين في تلك المناطق. ويعتقد مثل كثير من الباحثين أن هناك مجموعة من السكان دخلت من المناطق الجنوبية ربما من مصر، وأن البعض الآخر كان من جذور كنعانية، وهذه الحقيقة لا يثبتها باعتقاده إلا علم الآثار إن استطاع. يفيد ذلك من وجهة نظره في الافتراض أن معظم السكان نبعوا من أصل واحد هو القرى التي تواجدت في القرن السادس عشر ق.م وعاشوا في نمط بدوي رعوي خلال العصر البرونزي المتأخر، وربما تواجدوا في معظم الأراضي الكنعانية، إلا أن تركيزهم كان في المناطق الهامشية المناسبة جداً للرعي، وقد استخدموا لذلك نمط الانتجاع الموسمي وأقاموا علاقات اقتصادية مع المجتمع المستقر في المناطق المركزية في المنخفضات، ومع نهاية العصر البرونزي المتأخر بدأت هذه الفئة السكانية بالاستقرار الأمر الذي استغرق منهم حوالي مائتي عام أدت في النهاية إلى نشوء إسرائيل (1988: 346-348).

يعتقد Finkelstein أن المجموعات الرعوية بدأت في الاستقرار في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية العصر الحديدي الأول بعد تركيزهم على استعمال النمط الانتجاعي، وكانت المرتفعات الفلسطينية أفضل المناطق لهذا الغرض، فمارس الإسرائيليون زراعة الحبوب والرعي بمعزل عن الكنعانيين. من أجل ذلك توزع الإسرائيليون على مناطق نابلس ورام الله والجليل الأسفل ومرتفعات النقب ولم يصلوا مبكراً إلى مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل، إضافة إلى أنهم سكنوا بالقرب من المراكز الكنعانية النشطة، وقد اعتمدت بعض هذه المجموعات في ما قبل الاستقرار برأيه على رعي مواشيها بالقرب من المراكز الكنعانية في أيام الصيف وكانوا ربما يزرعون الحبوب في الشتاء. وقد أصبحت هذه المجموعات ومع مرور الزمن تعيش في مناطق أكثر خصوبة، وأصبحوا أقل اعتماداً على تربية المواشي، وزاد إقبالهم على الزراعة، وقد تطلب ذلك منهم تنظيف المناطق ذات الغطاء النباتي الكثيف.

وقد أدت زيادة السكان إلى خلق صراعات مع الكنعانيين محورها الأرض الزراعيــة قــادت بالتالي إلى انهيار بعض المدن البعيدة عن المركز الكنعاني؛ فقد هجرت بعض المدن الأخرى بسبب الضغط الذي استنزف مواردها الطبيعية، وبقيت مدنا أخرى عامرة بالسكان مثــل تــل بلاطة التي كان الكنعانيون فيها ذوي بأس. ويعتقد Finkelstein أن كل منطقة من منــاطق استقرار الإسرائيليين قد تميزت عن الأخرى، وذلك باعتماده على دراسة المناخ والظــروف الجغرافية والاقتصادية وقوة أو ضعف الكنعانيين القريبين مــن أمــاكن الاســتقرار الجديــد (1988: 348-350).

بعد انتشار الإسرائيليين في مناطق مختلفة من المرتفعات الفلسطينية، وبعد أن أصبحوا قبائل قوية، توسعوا نحو المناطق الأكثر عزلة، فبدأت صراعاتهم ضد الكنعانيين، وشــعوب البحر، وهذا ولد شعور بينهم بالوحدة الوطنية والدينية، وكانت نتيجة ذلــك وكمــا وضــعها Finkelstein الوحدة الإقليمية بين المناطق، التي كانت الدولة الإسرائيلية الموحــدة والتــي ظهرت لأول مرة في التاريخ في القرن العاشر ق.م، ذروتها الأخيرة (1988: 350-351).

بعد التعرف على صُلب النظرية التي طرحها Finkelstein عام 1988م أخــذ فــي السنوات التالية بالعمل على تطويرها وتوسيع الآفاق أمامها من خلال التفكير فــي مجــالات أوسع يمكن أن تُطبق النظرية في سياقها تقويها وتدعمها لكي يصل Finkelstein إلى هدفــه الأساسي وهو إثبات ظهور ووجود الإسرائيليين في الأراضي الكنعانية في بــدايات العصــر الحديدي الأول أو قبل ذلك بكثير. من أجل ذلك سنراجع بعض المقالات التي نشرها، والتــي تُظهر الكيفية التي طور من خلالها نظريته.

في حديثه عن الشعوب الرعوية، نشر Finkelstein عام 1992م مقالــة بعنــوان:

Pastoralism in the Highlands of Canaan in the Third and Second

Millennia، وصف فيها المجتمعات التي كانت تسكن المنطقة بأنها مرنة، وذلك لأنها استطاعت أن تتأقلم مع الظروف السياسية بشكل سريع، ففي بعض الأحيان قد تتحول بعض الجماعات المستقرة في مرحلة ما إلى رعوية والعكس صحيح. لذا فمن الصعب التفريق بين المواقع التي تعود إلى المستقرين أو الرعويين، لهذا يطرح فكرة يحاول من خلالها إيجاد مشابهات لما حدث في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية الحديدي الأول من خلال مقارنتها مع العصور الأقدم. ويشير إلى أن المرتفعات الفلسطينية لم تكن مسكونة بشكل مكثف بسبب طبيعة بيئيتها القاسية، لذا فهي في وجهة نظره صالحة للرعي أكثر من أي شيء آخر، فشكلت هذه المناطق مكاناً مفتوحاً لرعاة الألفين الثاني والأول ق.م، ولهذا يشير Finkelstein إلى وجود ثلاث موجات سكنية في المرتفعات الفلسطينية خلال العصر البرونزي المبكر، والمتوسط، والحديدي الأول، ويقول أن مصدر الموجة الأولى والثانية هي المناطق المنخفضة، أما الثالثة فكان سببها استقرار الرعاة في مناطق التخوم، ومن ثم اتحادهم وإنشاء إسرائيل بعد ذلك. يعتبر Finkelstein أن الانهيار الذي أصاب المنطقة في نهاية العصر البرونزي المتوسط يشبه كثيراً ما جرى في نهاية العصر البرونزي المبكر، وأن السكان كانوا يتحولون إلى بدو رعاة في كل مرة (1992: 134-138).

يؤكد Finkelstein بعد ذلك على وجود دلائل على تحول السكان في العصر البرونزي المتأخر إلى النمط الرعوي في المرتفعات الفلسطينية وذلك من خلال عدة عوامل. أولاً: المنشآت المقدسة التي لا يرافقها وحدات سكانية، ثانياً: المقابر المعزولة والبعيدة عن أي موقع أثري، ثالثاً: التغير في أنواع الحيوانات التي دلت على تغير نمط حياة السكان، رابعاً: بعض أشكال المواقع الأثرية والتي تعكس مجموعات سكانية في طريقها للاستقرار، خامساً:

المصادر الكتابية التي تذكر الشاسو والعبيرو في الأراضي الكنعانية بشكل عام والتخوم بشكل خاص (Finkelstein 1992: 139).

نشر Finkelstein في عام 1994م كتاباً بالتعاون مع نادف نعمان Nadav Na'aman بعنوان: *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*، وقد اشترك في كتابة فصوله بعض علماء الآثار الإسرائيليين. ويظهر من خلال عنوان هذا الكتاب ما يحاول Finkelstein الوصول إليه في اعتباره أن أصل الإسرائيليين القدماء كان رعوي الطابع، وقد كتب فصلاً كاملاً عن الموضوع في هذا الكتاب، بلور فيه فكرة الدورة التاريخية للمنطقة والتي شهدت مراحل سكنية متذبذبة في أحيان وكثيفة في أحيان أخرى في المرتفعات الفلسطينية وذلك منذ العصر البرونزي المبكر وحتى الحديدي الأول، فكانت كل مرحلة تزدهر فيها الظروف المعيشية في الأراضي الكنعانية تتبعها فترة من الانحلال العام في المنطقة، ولذلك يَعتبر Finkelstein أن السكان بعد كل مرحلة الازدهار يتحولون إلى النمط الرعوي، وهو بذلك يشير إلى العصر البرونزي المبكر الأول ونهاية العصر البرونزي المتوسط الثاني والعصر الحديدي الأول، التي كانت في رأيه مراحل ازدهار في المناطق الكنعانية. أما العصر البرونزي المبكر الرابع ونهاية العصر البرونزي المتوسط فقد شهدت انهياراً للحضارات الموجودة في المنطقة، كان يسبب دائماً تغييراً في النظم الاقتصادية إلى نظم مختلطة بين الزراعة والرعي، أما المميز في تلك الدورات فهي الدورة الأخيرة أي بداية العصر الحديدي حيث نشأت إسرائيل. لهذا السبب يعتبر Finkelstein أن ما حدث عبر العصور كان سببه عوامل محلية، وبعضها الآخر خارجية أدت إلى الازدهار في بعض الحالات والانهيار في حالات أخرى. وهكذا فإن ظهور

إسرائيل هو حَدَثٌ تم ضمن هذه الدورة التاريخية، أي أن الإسرائيليين في رأيه محليين ونشأوا بشكل طبيعي في المنطقة (Finkelstein 1994: 151-177).

ركز Finkelstein في مقالته المنشورة في عام 1995م بعنوان: *The Great Transformation: The 'Conquest' of the Highlands Frontiers and the Rise of the Territorial States* على أن السكان المحليين هم الذين شاركوا في كل عملية ازدهار شهدتها المناطق الكنعانية، ولا يوجد دلائل قوية على أنهم كانوا من خارج البلاد، وأكد مرة أخرى وجود النمط الرعوي في الفترات الانتقالية ما بين فترات الازدهار، من خلال المقابر المعزولة والأماكن المقدسة البعيدة والتي أشرنا في مكان آخر من هذا النص أنها برأي Finkelstein تدل على النمط الرعوي وهو ما يؤكده دائماً. وقد لعبت العوامل البيئية دوراً هاماً في رأيه في التوزيع السكاني في المرتفعات، فهو يرى أن الكثافة السكانية العالية واضحة في المناطق الشمالية، أما التذبذب السكاني فيظهر في المناطق الجنوبية، وهذا ينطبق على حجم المواقع أيضاً (1995a: 355-357). يعتقد Finkelstein أيضاً أن المواد الحضارية في المرتفعات الفلسطينية خلال العصر الحديدي يجب أن لا تُفسَّر من خلال العنصر الإثني، وإنما من خلال الخلفية البيئية للسكان والمنطقة في إطارها الاقتصادي والاجتماعي (1995a: 359).

وفي رده على مقالة وليم ديفير William Dever المنشورة عام 1993م والتي شجع فيها على نظرية الثورة الاجتماعية، رأى Finkelstein في مقالته المعنونة: *Ethnicity and Origin of the Iron I Settlers in the Highlands of Canaan: Can the Real Israel Stand Up?* أن Dever يحاول إيجاد فروق بين الموجات السكانية في العصر البرونزي المبكر، والمتوسط، والحديدي الأول؛ فهو يعتبر أن ما جرى في الموجة الأولى

والثانية سببه تغيرات بيئية واجتماعية وسياسية، أما سبب الموجة الأخيرة فكان سببه ظهور إسرائيل (Finkelstein 1996: 198-200)، وبعبارة أخرى فإن Finkelstein يرى أن ظهور إسرائيل كان حدثاً طبيعياً صاحب عمليات التغير الاجتماعي والبيئي والسياسي كما في المراحل الأقدم. أما Dever فيرى أن الثورة الاجتماعية هي وحدها التي أنتجت الإثنية الإسرائيلية في المنطقة، ولا يشبه ذلك ما جرى في الفترات الأقدم.

يناقش Finkelstein بعد ذلك مسلة مرنبتاح في تأكيده أن ظهور الإسرائيليين في المنطقة كان حدثاً عادياً، لأن Dever أشار أنه من الصعب التعرف على الإسرائيليين المذكورين فيها والمكان الذي تشير إليه (Dever 1995: 209). لهذا يرى Finkelstein أن ما طرحه Dever ضعيف ولا يرتكز إلى دلائل قوية (1996: 200). وقد حاول Finkelstein إصباغ هذه الفكرة على المناطق الأردنية كذلك، بالإشارة إلى وجود مقابر وأماكن مقدسة معزولة بعيدة عن أماكن السكن الدائم (1996: 207-208). وقد أكد Finkelstein على هذه الأفكار في المقالة المنشورة له عام 1997م بعنوان: *Pots and People Revisited: Ethnic Boundaries in Iron I*، بالإضافة إلى أنه بدأ في محاولة تمييز بعض المواد التي تعود للإسرائيليين والتي سنتحدث عنها في ما يأتي.

وحول الفترة الزمنية التي استغرقتها عملية استقرار الرعاة، في العصر الحديدي، فإن Finkelstein؛ أرخها في مقالته بعنوان: *Bible Archaeology or Archaeology of Palestine in the Iron Age? A Rejoinder*، في مدة تراوحت حوالي مائتي عام، وبحسب ما يذكر، فأن هذه العملية كانت تدريجية، ويعتقد أن هذه العملية بدأت في نهاية العصر البرونزي المتأخر، وحتى نهاية العصر الحديدي الأول، يؤكد ذلك في رده على أمحاي مزار Amihai Mazar، والذي يعتبر أن العملية امتدت لحوالي ثلاثة قرون؛ يعلل

Finkelstein ما يشير إليه من خلال التطور السريع في المواد الحضارية، والتي أصـــبحت تتسارع في إثبات الاستقرار (Finkelstein 1998: 171-172)، قـــدم Finkelstein هـــذا التأريخ، من خلال المشكلة التي تتعلق بخفض التأريخ المتعلق بالقرن العاشـــر ق.م، وجعـــل أحداث هذا القرن، تؤرخ إلى القرن التاسع ق.م، الذي دعا إليه Finkelstein، والـــذي ولـــد جدل بينه وبين Mazar، على أية حال، فأن هذه المشكلة خارج نطاق الدراسة الحالية.

تناول كل من إسرائيل فنكلشتاين Israel Finkelstein وآشـــير زلبرمـــان Asher Silberman أصول الإسرائيليين في كتابهما المنشور عـــام 2001م بعنـــوان: *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Israel and the Origin of Its Sacred Texts*، وقد وجها نقداً لنظريات الغزو العســـكري والتســـرب الســـلمي والثـــورة الاجتماعية. أما بالنسبة لنظرية الغزو العسكري فقد تأكد في وجهة نظرهمـــا ومـــن خـــلال الحفريات الأثرية أن قصص الخروج والآباء لم تكن إلا أساطير تم كتابتها في فترات متأخرة؛ إذ لا يوجد دلائل حول الهجوم العسكري بقيادة يَشُوعَ. وهكذا فإن علم الآثار وحـــده برأيهمـــا يستطيع كتابة تاريخ الإسرائيليين من خلال المواد الحضارية التي يتم اكتشافها، وأن الســـكان الذين عاشوا في مواقع المرتفعات الفلسطينية هم أنفسهم الكنعانيون الذين طوروا تدريجياً هوية الإثنية جديدة يطلق عليها اسم إسرائيل (Finkelstein and Silberman 2001: 98). أمـــا فيما يخص نظرية التسرب السلمي فيشيرا إلى تعارضها مع نظرية الثورة الاجتماعية، وكـــان تعارضها يستند إلى نظريات الاثنلوجيا والأنثروبولوجيا التي درست العلاقات التي تربط البدو الذين وصفهم Alt بالمجتمعات المستقرة. وهكذا فإن نظرية الثورة الاجتماعية حلـــت محـــل نظرية التسرب السلمي في سبعينات القرن الماضي ميلادياً (Finkelstein and Silberman 2001: 103). أما في ما يتعلـــق بنظريـــة الثـــورة الاجتماعيـــة فقـــد أكـــد Finkelstein

وSilberman عدم وجود دلائل أثرية مقنعة تدعم هذه النظرية، إضافة إلـــى تميـــز المـــواد الحضارية المكتشفة في المرتفعات الفلسطينية، والتي تثبت أن الإسرائيليين ليسوا الكنعــانيين بعكس ما وصفهم Mendenhall وGottwald، كمـــا لـــم يـــر كـــل مـــن Finkelstein وSilberman داعياً لهجرة الفلاحين من قرى الأراضي المنخفضة وبحثهم عن مناطق عيش أفضل في الجبال والمناطق ذات الطبيعة القاسية (105 :2001). وقد أشارا بعـــد ذلـــك إلـــى الأخطاء التي كان علماء الآثار يرتكبونها في بحثهم عن أصول الإســـرائيليين مـــن خـــلال اعتمادهم على العهد القديم وتنقيبهم في المواقع الكبيرة التي تعكس ثقافة العصـــر البرونـــزي المتأخر. أما بعد التطور الذي شهده علم الآثار لدى العلماء الإسرائيليين فقد بـــدأت عمليـــات بحث منظمة عن أصل الإسرائيليين في مناطق المرتفعات، وقد ظهرت مواقع أثرية لا تعكس المفهوم القديم للغزو العسكري أو التسرب السلمي، بل عكست في المقابل ثورة في نمط الحياة اختلفت في مجملها عما هو موجود في المواقع الكنعانية (107-105 :2001).

أما فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية فيعتقد كل من Finkelstein وSilberman بأنهـــا كانت مجهولة لدى سكان المرتفعات خلال العصر الحديدي الأول؛ إذ لم يظهـــر فـــي هـــذه المناطق منشآت تعتبر مقدسة سوى موقع الثور (Bull Site) بالقرب من جنين، حيث وجـــد تمثال لثور يعبر عن العبادة التقليدية للكنعانيين، أما الموقع الثاني فهو المنشأة المكتشـــفة فـــي جبل عيبال في نابلس، والتي لم تتأكد ماهية وظيفتها. أما القرى ففي وجهة نظرهما تبدو أنها عاشت بسلام بسبب عدم العثور على أي موقع محصن أو أية أدوات حربية، ولا يوجـــد أي دليل على وجود دمار أو حريق فيها. وهكذا فقد قامت حياة الإسرائيليين في هذه القرى حسب رأي Finkelstein وSilberman على نظام الاقتيات الزراعي والحيواني، واتصفت حياتهم بالبسيطة (110-109 :2001).

حاول بعد ذلك Finkelstein وSilberman وضع حلول لمشكلة ظهور إسـرائيل، وفي تأكيدهما أصل السكان البدوي الرعوي في قرى المرتفعات قدما مثالاً من موقـع عزبـة صرطة التي وجد فيها بيوت شبه بيضاوية تحيط بساحة واسعة فارغة، وأكدا أن هذا النمط من البيوت قد تطور من شكل الخيام التي بناها البدو في الفترات القديمة وحتى القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ويدل هذا في رأيهما على التحول من النمط البدوي إلى الاستقرار – إذ أن هذه الجماعات احتفظت بأسلوب ونمط السكن المعتمد على شكل الخيام ولكـن باسـتخدام الحجارة – ويشيرا كذلك إلى أن هذه المجموعات قد سكنت المنـاطق الشـرقية للمرتفعـات الفلسطينية، الأمر الذي سمح لهم القدرة على الرعي وزراعة الحبوب، يُؤكد هذا باعتقادهما أن الإسرائيليين مارسوا الزراعة من جهة، والرعي كعنصر مهم من جهة أخرى. وبانتقالهم إلى المناطق الغربية للمرتفعات اعتمدوا على أعمال البسـتنة (Finkelstein and Silberman 2001: 112-113).

استنتج Finkelstein وSilberman أن هذه العملية تختلف كل الاختلاف عما هـو مذكور في العهد القديم من حيث أن نشوء إسرائيل القديمة تطلب انهيار الحضارة الكنعانيـة، ولم يكن الإسرائيليون سبب هذا الانهيار، وبالتالي لم يأت الإسرائيليون من خـارج المنـاطق الكنعانية، إنما كانوا من داخلها، يؤدي ذلك إلى استنتاج أنه لم يكن هناك خروج مـن مصـر أصلاً، ولا حتى غزو عسكري، ويعتبر كل منهما أن إسرائيل تشكلت من أصول محلية عاشت في المرتفعات الفلسطينية في العصور البرونزية والحديدية (2001: 118).

قارن Finkelstein وSilberman الظروف السكنية في مناطق الأردن وما جـرى في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي، فقد أشارا إلى أن نفس العمليات التي جرت في المرتفعات الفلسطينية كانت تدور في المناطق الأردنية، إلا أن هناك عنصراً واحداً لوحظ في

المرتفعات الفلسطينية لم يكن موجوداً في المناطق الأردنية، وهو البقايا العظمية للخنازير، حيث لم يعثر على بقايا للخنازير في المرتفعات الفلسطينية بعكس المناطق الأردنية حيث توفرت هذه البقايا، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل في رأيهما على التميز الإثني الوحيد للإسرائيليين، وذلك لأنه كان محرماً عليهم، أو أن عدم أكلهم لحم الخنزير ربما كان نابعاً من رغبتهم في الاختلاف عن الآخرين الذين كانوا يأكلونه بكثرة (2001: 118-120).

ناقش Finkelstein في عام 2007م قصتي الخروج والهجوم اللتين ذكرتا في العهد القديم. أما بما يتعلق بالخروج The Exodus فقد رأى أنه من الصعوبة بمكان إثبات هذا الحدث الذي دارت أحداثه في زمن رمسيس الثاني في نهاية القرن الثالث عشر ق.م، وأشار أيضاً إلى الصعوبات الحقيقية التي تواجه هذه القصة من حيث أنه لم تذكر في المصادر المصرية المكتوبة أي إشارات لمثل هذا الحدث، ولا يوجد تتبع تاريخي للإسرائيليين في الأراضي المصرية، وذلك برأي Finkelstein بسبب وجود الحدود في سيناء التي كانت محمية بالقلاع التي تمنع هروب الجماعات من جهة، وعدم العثور على بقايا أثرية تعود للعصر البرونزي المتأخر، ولا حتى في موقع تل القديرات (قادش برنيع) من جهة أخرى، التي من المفترض أن الجماعات الإسرائيلية قد خيمت فيه، فقد تبين من خلال الحفريات الأثرية أنها كانت مسكونة في القرنين الثامن والسابع ق.م (2007a: 51-52). أما فيما يخص الغزو فيذكر Finkelstein أن نتائج الحفريات الأثرية خلال القرن العشرين والقرن الحالي تشير إلى أن المواقع المذكورة في العهد القديم، والتي تعرضت للهجوم لم تكن مسكونة في العصر البرونزي المتأخر مثل تل السلطان، وتل التل، والجيب، وتل عراد في فلسطين، وحُسبان في الأردن، أما دمار تل الدوير وتل المتسلم فكان تدريجياً طويل الأمد، وأن السيطرة المصرية منعت أي هجوم يشير إليه العهد القديم، وكان الانهيار الحضاري الذي أصاب

الأراضي الكنعانية جزءاً من ظاهرة أوسع أصابت الشرق القديم بشكل كامل. وأخيرا يشير Finkelstein إلى أن المسوحات الأثرية التي أجراها الإسرائيليين في القرن الماضي تدل على أن ظهور الإسرائيليون القدماء كان حدثاً ضمن دورة تاريخية ما بين الاستقرار في بعض الفترات والعودة إلى النمط البدوي الرعوي في فترات أخرى (Finkelstein 2007a: 53).

يؤكد Finkelstein أن قصص العهد القديم تعبر عن أساطير ليس لها وجود في الواقع الإسرائيلي القديم، فيجب لذلك برأيه الاستعانة بعلم النقوش وعلم الآثار. وفي إشارة منه إلى مسلة مرنبتاح فقد عدها Finkelstein ضعيفة من النواحي الأثرية لأنها تذكر كلمة إسرائيل فقط ولا تذكر طبيعة الكلمة إن كانت تدل على مجموعة من الناس، وإن كانت كذلك فهي لا تذكر حجم هذه المجموعة ولا مكانها، فهي تذكر فقط أن مجموعة ما كانت متواجدة في الأراضي الكنعانية في القرن الثالث عشر ق.م. إلا أن الحفريات والمسوحات الأثرية تبين في رأيه أن هناك موجة سكنية حدثت في المرتفعات الفلسطينية خلال العصر الحديدي الأول، تظهر من خلال حوالي 250 موقعاً أثرياً انتشرت في المرتفعات واستمرت حتى العصر الحديدي الثاني. ويؤكد مرة أخرى أن الأصل الحقيقي للإسرائيليين هو عملية التحول من البداوة الرعوية إلى الاستقرار (Finkelstein 2007b: 74-76). أما سبب عدم اعتبار أن أصل تلك المجموعات من المناطق المنخفضة فيرجع في رأيه إلى عدم تعرض هذه المناطق للمجاعة أو الوصول إلى درجة الازدحام السكاني الكثيف. وهكذا فإنه ما من سبب يجعل سكان المناطق المنخفضة ينتقلون للعيش في مناطق أكثر صعوبة وقسوة من النواحي البيئية (2007b: 80-81). على أية حال، فبعد المراجعة المطولة لنظرية البدو الرعاة لآبد الآن من

مراجعة آخر خيار يحاول حل مشكلة نشأة وتطور الإسرائيليين في الأراضي الكنعانية، والذي قدمته آن كاليبريو Ann Killebrew في العام 2005م.

3-2 نظرية الخليط المتعدد (The Mixed Multitude Theory)

وضعت آن كاليبريو Ann Killebrew مؤخراً نظرية أطلقت عليها اسم الخليط المتعدد في كتابها المعنون: *Biblical Peoples and Ethnicity: An Archaeological Study of Egyptians, Canaanites, Philistines, and Israel, 1300-1100 B.C.E.*، وهي تحاول من خلالها الجمع بين النظريات السابقة وصبغها بمفهوم جديد من خلال قصص العهد القديم التي تعتبر في وجهة نظرها رابطاً نادراً يقوم على الأحداث البطولية للإسرائيليين في رحلتهم نحو التخلص من العبودية ومن ثمة الوصول إلى أرض الميعاد التي وعدهم إياها الإله يهوه، أما الإثنية فتظهر من نواحي الارتباط بهذه الأحداث والتجمع على عبادة إله واحد عبرت عنها Killebrew بالنادرة من ناحية العلاقة بين العبادة من جهة والفكر من جهة أخرى، وشكل ذلك قلب الهوية الإسرائيلية بمساعدة علوم الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، وعلم الآثار. وتعرف Killebrew الخليط المتعدد من خلال مجموعة من النظم التي تتضمن المفهوم القبلي بوجود مجموعات مبنية على أساس النسب والقرابة، ويكون لهذه المجموعات حدود مسامية تسمح بتدفق أفراد أو مجموعات أقل فيها، بالإضافة إلى احتواء هذا الخليط على عناصر اجتماعية من العصر البرونزي المتأخر وهم القرويون والفلاحون والرعاة المطرودون من المجتمع والشاسو والعبيرو، الذين هربوا من ظلم المملكة المصرية، بالإضافة إلى مجموعات ذكرت في العهد القديم مثل الميدانيين. كل هذه المجموعات ساهمت في التكوين الإثني الإسرائيلي القديم، وتشير Killebrew إلى أن

علم الآثار يثبت أن هذا الخليط تم في قرى المرتفعات الفلسطينية التي تم التعرف على أماكنها من خلال العهد القديم، وتتميز هذه المجموعات عن غيرها بعناصر كثيـرة منهـا الأنمـاط الاستيطانية، والتعدد السكاني، والأبنية، والاقتصاد، والبناء الاجتماعي، والنظـام السياسـي، وعادات الدفن، وملامح العبادة، والفخار الذي يتميز برأيها عما كان موجـوداً فـي العصـر البرونزي المتأخر. وكان لعمليات التحلل والتفسخ لحضارات العصر البرونزي المتأخر كثير من الأثر على ظهور هذه الإثنية الجديدة. وتشابه Killebrew ما حـدث بهـذا الخصـوص بالانهيار الحضاري الذي أصاب العالم المايسيني الذي أنتج شعوب البحر وجعلهـم يتـدفقون على المنطقة (Killebrew 2005: 184-185). يتجلى بوضوح أن هذه النظرية تجمع بـين كثير من المفاهيم التي وردت في النظريات السابقة، وربما تحتاج Killebrew إلـى النظـر بشكل أكثر مركز فيما تدعو إليه، ويبقى ما قدمته رهن الأبحاث الأثرية المستقبلية.

وفي رأي الباحث فإنه لآبد من التعرف على عنصر هام لمحاولة الوصول إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة، وهو التعرف على التأريخ الذي وضعه علماء الآثار فـي القـرن العشرين للعصر الحديدي الأول. وهذا ما سنتحدث عنه في الفصل التالي من هذه الدراسة.

الفصل الثالث

تأريخ العصر الحديدي الأول

مقدمة:

يرى معظم الباحثين أن هناك "دخولاً" إلى أرض فلسطين الكنعانية في العصر الحديدي الأول، بينما يرى آخرون أنه حدث في أواخر العصر البرونزي المتـأخر والحديـدي الأول. ولكل فريق نظرياته الخاصة به والمتعلقة بزمان وكيفية دخول فلسـطين، وطريقـة دخـول الجماعات إليها، أو عمليات التحول والتطور من حالة البداوة وعدم الاستقرار إلى الاستقرار. من هنا كان لآبد من التعرف على العصر الحديدي الأول، والذي تدور خلالـه معظـم هـذه الأحداث، وذلك باستعراض التأريخ الزمني لهذه الحقبة من التاريخ، ومعرفة سبب تسميته بهذا الاسم، وكيف وضع التأريخ لها؟ من أجل هذا خصص الفصل الثاني لغرض التعـرف علـى العصر الحديدي وهذا ما نورده أدناه.

الجدول الزمني للعصر الحديدي (تأريخ العصر الحديدي):

ارتبطت تسمية العصور والفترات الأثرية بالمواد الثقافية السائدة فيها منـذ مـا قبـل التاريخ، فسميت العصور الحجرية بهذا الاسم نسبة إلى الحجر الـذي كـان أداة الاسـتعمال اليومية. أما في العصر الحجري النحاسي فقد استعمل الإنسان ولأول مرة معدن النحاس الذي استُعمل في تلك الفترة، وبالانتقال إلى العصر البرونزي (العصور التاريخيـة) فـإن سـبيكة البرونز أصبح الأكثر استعمالاً وانتشاراً في بلاد الشام، وقد قسم العصر البرونزي إلى ثلاث مراحل وهي البرونزي المبكر، والمتوسط، والمتأخر، وذلك اعتماداً على أحـداث تاريخيـة حصلت في مصر الفرعونية ميزت كل فترة عن الأخرى. أما فيما يخص العصر الحديـدي، فإن الأمر لا يختلف كثيراً، فقد أصبح معدن الحديد المادة الأكثر استعمالاً وانتشاراً في بـلاد الشام بشكل عام في حوالي القرن العاشر ق.م، علماً بأن العصر الحديدي يبدأ وبحسب الكثير

من العلماء في القرن الثاني عشر ق.م، ويرى البعض منهم أنه لا يوجد أحداث مفاجِـأة أدت إلى انتهاء العصر البرونزي المتأخر، وبالتالي فإنه لا يوجد تغير سريع في المواد الحضارية بين العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول (Robbins 2001: 244).

على أية حال، يقسم العصر الحديدي إلى مراحل تاريخية معينة وذلك اعتمادا علـى الأحداث التي ترويها أسفار العهد القديم، والتفسيرات والربط الذي يتوصل إليه دارسـو هـذه الأسفار (إبراهيم 1990: 111). فبالإضافة إلى التحول الذي شهده الشرق الأدنى القديم مـع نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية القرن الثاني عشر ق.م، تراجعت قوة الدول المصرية، والحثية، والكاشية، وظهرت نظم سياسية جديدة، وحدثت تحولات في المظاهر الاقتصـادية، والتجارية. لذا يقسم العصر الحديدي إلى قسمين وهما: الحديدي الأول والثاني (كفافي 2006: 58).

عندما بدأ علم الآثار يعتمد على تقسيم الفترات بناءاً على تصنيف الفخـار؛ وضـعت مراكز البحوث الشرقية في القدس (المركز البريطاني، والمركز الفرنسي، والمركز الأمريكي) أول تأريخ للعصر الحديدي في عام 1921م، وكان التأريخ المعتمد لديهم هو العصر الحديدي المبكر (الفلسطيني) والذي يمتد من 1200 إلى 600 ق.م، وينقسم إلى: أ- الفترة الفلسطينية، ب- الفترة الإسرائيلية، أما القسم الثاني فكان العصر الحديدي المتوسط الذي يمتد من العـام 600 إلى 100 ق.م، ويتضمن: أ- الفترة اليهودية ب- الفترة الهلنستية (Albright 1949: 111-112). وقد قسم Albright العصر الحديدي المسمى بالمبكر إلى: الحديدي المبكر الأول (Early Iron I) الذي يمتد من حوالي العام 1200 إلى 900 ق.م، والعصر الحديدي المبكر الثاني (Early Iron II) من العام 900 إلى 600 ق.م، والعصر الحديـدي المبكـر الثالـث (Early Iron III) الذي يغطي الفترتين البابلية والفارسـية. ويـذكر Albright أيضـاً أن

كليرنس فيشر Clarence S. Fisher قد استبدل هذا النظام الذي كان متبعاً من قبل المجتمع الأثري بمصطلحات العصر الحديدي المبكر (Early Iron) من العام 1200 إلى 900 ق.م، والعصر الحديدي المتوسط (Middle Iron) من العام 900 إلى 600 ق.م، والعصر الحديدي المتأخر (Late Iron) من العام 600 إلى 300 ق.م. وقد سبب هذا التقسيم بحسب Albright بعض الالتباس لدى العاملين في الحقل الميداني الأثري في تأريخ المواقع التي تم التنقيب فيها آنذاك. لهذا السبب قام Albright بإلغاء تلك مصطلحات واستبدلها بمصطلحات العصر الحديدي الأول، والثاني، والثالث؛ إذ يمتد العصر الحديدي الأول (Iron I) من العام 1200 إلى 900 ق.م، والحديدي الثاني (Iron II) من العام 900 إلى 550، أما العصر الحديدي الثالث (Iron III) فيمتد من العام 550 إلى 330 ق.م (Albright 1949: 111-112).

ويُعد وليم أولبرايت William Albright عالم الآثار الأول الذي وضع تقسيمات واضحة للعصر الذي سماه بالحديدي، وقد قسم العصر الحديدي الأول إلى ثلاثة أقسام معتمداً على تقسيم الطبقات الأثرية في موقع تل بيت مرسم (دبير)، فقد أعطى طبقة الدمار التي عثر عليها هناك والعائدة إلى نهاية العصر البرونزي المتأخر الرمز (C)، وقد تُبعت هذه الطبقة بفترة سكن انتقالية سماها (B_1)، وأعطى الرمز (B_2) للطبقة التي ظهر فيها الفخار المسمى بالفلسطيني المؤرخ إلى الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثاني عشر ومعظم القرن الحادي عشر ق.م، وأطلق الرمز (B_3) على الطبقة المؤرخة للقرن العاشر ق.م بناءاً على الفخار المسمى بالإسرائيلي برأي Albright نفسه وتلاميذه (Wright: 1961: 115). أما بالنسبة لتأريخ هذه الطبقات فقد اعتمد فيها Albright على أسفار العهد القديم، وبعض الدلائل المصرية على بداية ونهاية هذه الفترة، ثم قام Wright بتتبع التقسيم الذي وضعه أستاذه Albright بتصنيفه كالآتي: يوازي العصر الحديدي الأول أ (Iron I A) الطبقة (B_1) في

بيت مرسم، والتي أرخت من قبل Albright إلى النصف الأول من القرن الثاني عشـر ق.م أي 1200-1150 ق.م، ويوازي العصر الحديدي الأول ب (Iron I B) الطبقة (B_2) التـي تؤرخ إلى حوالي النصف الثاني من القرن الثاني عشر ومعظم القرن الحادي عشر ق.م، أي 1150- 1000 ق.م، ويوازي العصر الحديدي الأول ج (Iron I C) الطبقة (B_3)، وتشـمل معظم القرن العاشر ق.م، أي 1000- 918 ق.م. وينتهي العصر الحديدي الأول بحسب رأي كل من Albright و Wright من خلال الدمار الذي أحدثه الفرعون المصري شيشنق فـي المدن الفلسطينية عام 918 ق.م (Wright 1961: 115).

أما فيما يتعلق بالعصر الحديدي الثاني، فيمتد بحسب Albright وWright من العام 918 إلى 330 ق.م. وقد قسمت هذه الفترة إلى ثلاث فترات فرعية هي: العصـر الحديـدي الثاني أ (Iron II A) الممتدة من حوالي العام 918 إلى 721 ق.م، والعصر الحديدي الثـاني ب (Iron II B) وتمتد من العام 721 إلى العام 587 ق.م؛ أما الفترة الأخيرة وهي العصـر الحديدي الثاني ج (Iron II C) فهو يمتد من العام 587 إلـى 330 ق.م (Wright 1961: 117). وفي ما يلي نقدم الجدول رقم (1) لتوضيح الجدول التأريخي للعصر الحديدي بحسب Albright وWright.

نشر كل مـن يوحانـان أهـاروني Yohanan Aharoni وروث أميـران Ruth Amiran عام 1958م مقالة بعنـوان *A New Scheme for the Sub-Division of the Iron Age in Palestine*، اقترحا من خلالها تقسيماً جديداً للعصر الحديدي فـي فلسـطين يعتمد على استعمال مصطلحات جديدة لتحل محل المصطلحات القديمة، وكان اقتراحهمـا أن يُستبدل مفهوم العصر (الحديدي) بمفهوم العصر (الإسرائيلي)، وذلك أن نشوء مملكة إسرائيلية برأيهما كان في بداية القرن العاشر ق.م، وأن هذه المملكة (المملكة المتحدة) في تلك الأثناء

بيت مرسم	التأريخ	الفترة الزمنية بالانجليزية	الفترة الزمنية بالعربية
B1	1200 – 1150 ق.م	Iron I A	العصر الحديدي الأول أ
B2	1150 – 1000 ق.م	Iron I B	العصر الحديدي الأول ب
B3	1000 – 918 ق.م	Iron I C	العصر الحديدي الأول ج
	918 – 721 ق.م	Iron II A	العصر الحديدي الثاني أ
	721 – 587 ق.م	Iron II B	العصر الحديدي الثاني ب
	587 – 330 ق.م	Iron II C	العصر الحديدي الثاني ج

الجدول رقم (1) يبين التأريخ الزمني للعصر الحديدي مقسماً إلى الحديدي الأول، والحديدي الثاني بحسب Albright وWright (Wright 1961: 115, 117)

لعبت دوراً جوهرياً في الأراضي الكنعانية، لهذا حاولا وضع مفهوم (إسرائيلي) في سياق تاريخي أثري ينعكس على اسم العصر نفسه. من هنا قسما العصر الحديدي إلى ثلاث مراحل وهي: الإسرائيلي الأول (Israelite I) ويمتد من العام 1200 إلى 1000 ق.م، والإسرائيلي الثاني (Israelite II) ويمتد من العام 1000 إلى 840 ق.م، والإسرائيلي الثالث (Israelite III) الممتد برأيهما من العام 840 إلى 587 ق.م (Aharoni and Amiran 1958: 171-72).

على أية حال، ما يهم هنا هو العصر الحديدي الأول (أي الإسرائيلي الأول بحسب Aharoni وAmiran)، ويلاحظ أن التقسيم الجديد للعصر الحديدي الأول يمتد إلى 200 عام من حوالي 1200 إلى 1000 ق.م، وذلك برأي Aharoni وAmiran اعتمد على التقسيمات التي وضعها Albright سابقاً باعتباره أن الطبقة (B_2) العائدة إلى القرن الحادي عشر ق.م تختلف كلياً عن الطبقة (B_3) في بيت مرسم العائدة للقرن العاشر ق.م، والتي لا يعدها

Aharoni وAmiran من العصر الحديدي الأول بسبب اختلاف الفخار بين الطبقتين. ومن الجدير بالذكر أن كلاً من Aharoni وAmiran قاما بإدخال فخار تل وقاص في دراستيهما (Aharoni and Amiran 1958: 172). وحتى يكون التقسيم أوضح لما اقترحه كل من Aharoni وAmiran نقدم الجدول الزمني رقم (2) أدناه.

اسم الفترة	التأريخ الزمني
إسرائيلي أول	1200 -1000 ق.م
إسرائيلي ثان	1000 -840 ق.م
إسرائيلي ثالث	840 - 587 ق.م

الجدول رقم (2) يبين الجدول والمصطلحات الزمنية المقترحة من Aharoni وAmiran
(Aharoni and Amiran 1958: 172)

قام Aharoni بعد ذلك بنشر كتاب في العام 1967م بعنوان: *The Land of the Bible: A Historical Geography* وقد ظهر في نهاية هذا الكتاب تواريخ وتقسيمات للعصر الحديدي لا تتبع الجدول الذي اتفق عليه و Amiran عام 1958م؛ فقد ورد في الجدول الزمني استعمال تقسيمات وتسميات اعتمدت على ما اقترحه Albright و Wright في الأعوام التي سبقت نشر كتابه. ويظهر ذلك التأريخ في الجدول رقم (3) أدناه.

اسم الفترة	الاسم بالانجليزية	التأريخ
العصر الحديدي الأول أ	Iron I A	1200 -1150 ق.م
العصر الحديدي الأول ب	Iron I B	1150 - 1000 ق.م
العصر الحديدي الثاني أ	Iron II A	1000 - 900 ق.م
العصر الحديدي الثاني ب	Iron II B	900 - 800 ق.م
العصر الحديدي الثاني ج	Iron II C	800 - 587 ق.م

الجدول رقم (3) يظهر التقسيمات التي استعملها Aharoni في العام 1967 (Aharoni 1967: 226-28)

يُظهر الجدول السابق استخدام Aharoni لما وضعه كل مــن Albright وWright من مصطلحات وتقسيمات للعصر مع وجود بعض الاختلافات في التقسيمات الفرعية؛ إذ يمتد العصر الحديدي الأول ج (Iron I C) من العــام 1000 إلــى 918 ق.م لــدى Albright وWright، بينما امتد العصر الحديدي الثاني أ (Iron II A) حسب Aharoni مــن العــام 1000 إلى 900 ق.م (Aharoni 1967: 226-27)، وهكذا فإن Aharoni يُرجع العصــر الحديدي الثاني إلى القرن العاشر ق.م باعتماده على التقسيم الذي وضعه وAmiran في عام 1958م مع الفرق في التسميات المستخدمة من "إسرائيلي" عام 1958م، إلى "حديدي" في العام 1967م.

وفي العــام 1969م نشــرت Amiran كتابهــا *Ancient Pottery of the Holy Land*، الذي تناولت فيه دراسة الفخار منذ العصر الحجري الحديث وحتى العصر الحديــدي الثاني، وعند دراستها لفخار العصر الحديدي اعتمدت على التقسيمات والتأريخ الذي جاء في موســوعة (*Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land*) والتي نشرت في العام 1975م. وتظهر تواريخ العصر الحديدي فــي الكتــاب والموســوعة كالآتي: العصر الحديدي الأول أ (Iron I A) من العام 1200 إلــى 1150 ق.م، والعصــر الحديدي الأول ب (Iron I B) من العام 1150 إلى 1000 ق.م، والعصر الحديدي الثــاني أ (Iron II A) من العام 1000 إلى 918/ 900 ق.م، والعصر الحديدي الثــاني ب (Iron II B) من العام 900 إلى 800 ق.م، والعصر الحديدي الثاني ج (Iron II C) من العــام 800 إلى 587 ق.م (Amiran 1969: 191; Avi-Yonah 1975: 1: 340).

يظهر من خلال تلك التقسيمات والتسميات، عدم استخدام المصطلح "إسرائيلي" للعصر الحديدي على خلاف ما نشرته وAharoni عام 1958م، الأمر الذي يدل علــى اســتقرار

علماء الآثار الإسرائيليين والأمريكيين وحتى العرب على استخدام مصطلح العصر (الحديدي) في دراساتهم، إلا أن الفرق الجوهري الوحيد الذي بقي بين Aharoni وAmiran من جهة وAlbright وWright من جهة أخرى هو تحديد تأريخ نهاية العصر الحديدي الأول.

أما الجدول الزمني الذي وضعه فيليب كينغ Philip J. King عام 1983م في كتاب *American Archaeology in the Mideast*، فهو يقيّم نتائج وأعمال الباحثين الأمريكيين في الشرق القديم منذ بدايات القرن العشرين وحتى عام 1983م، وقد تأثر King بالتصنيف الذي وضعه كل من Albright وWright (King 1983: 282). وقد أعيد استعمال هذا الجدول في العام 1988م في تأكيد أهمية التقسيمات الموضوعة للعصر الحديدي من قبل علماء الآثار الأمريكيين (Drinkard; Mattingly; and Miller 1988).

نشر أمخاي مازار Amihai Mazar عام 1990م كتاباً بعنوان *Archaeology of the Land of the Bible. 10,000-586 B.C.E.* اعتمد فيه على Aharoni وAmiran في تقسيم العصر الحديدي؛ إذ قسمه إلى قسمين هما: العصر الحديدي الأول والعصر الحديدي الثاني (Mazar 1990: 296)، وقام بتأكيد الجدول المعتمد لديه في العام 1992م (Mazar 1992: 258) بالإضافة إلى اعتماد جبرييل بركاي Gabriel Barkay في دراسته للعصر الحديدي الثاني على نفس الجدول، مع إضافته مفهوم العصر الحديدي الثالث (Iron III) إلى ما بعد العام 840 ق.م، وذلك بالاعتماد على تحليل المواد الأثرية وليس الأحداث التاريخية للعصر الحديدي (Barkay 1992: 305). وفي ما يلي نقدم الجدول رقم (4) لنوضح ما استعمله Mazar عام 1990م:

التأريخ الزمني	اسم الفترة بالانجليزية	اسم الفترة بالعربية
1200 – 1150 ق.م	Iron I A	العصر الحديدي الأول أ
1150 – 1000 ق.م	Iron I B	العصر الحديدي الأول ب
1000 – 925 ق.م	Iron II A	العصر الحديدي الثاني أ
925 – 720 ق.م	Iron II B	العصر الحديدي الثاني ب
720 – 586 ق.م	Iron II C	العصر الحديدي الثاني ج

الجدول رقم (4) يبين التواريخ والتقسيمات التي استعملها Mazar في العام 1990م (Mazar 1990: 296)

استخدم وليم ديفر Dever التصنيف الذي استعمله علماء الآثار الإسرائيليون في الفصل بين العصر الحديدي الأول والعصر الحديدي الثاني. فقد ورد في الجدول الذي وضعه عام 2003م أن العصر الحديدي الأول (Iron I) يبدأ في العام 1200 ق.م وينتهي في العام 1000 ق.م ويبدأ العصر الحديدي الثاني (Iron II) في العام 1000 ق.م وينتهي في العام 586 ق.م، أما العصر الحديدي الثالث (Iron III) فيبدأ في العام 586 ق.م وينتهي في عام 539 ق.م. وهكذا فإن القرن العاشر ق.م وضع في سياق العصر الحديدي الثاني لدى Dever (2003: 83).

أشار Dever إلى أن علماء الآثار الأمريكيين يستخدمون التقسيم التالي: العصر الحديدي الأول أ (Iron I A) من العام 1200 إلى 1150 ق.م، والعصر الحديدي الأول ب (Iron I B) من العام 1150 إلى 1000 ق.م، بالإضافة إلى العصر الحديدي الأول ج (Iron I C) ويمتد من العام 1000 إلى 900 ق.م، وأن المرحلة الأولى منه تعكس بدايات سكن شعوب البحر من جهة، والإسرائيليين من جهة أخرى، أما المرحلة الثانية فتعكس فترة القضاة

Judges (حسب العهد القديم)، وتتمثل المرحلة الثالثة من العصر الحديدي الأول بنشوء المملكة المتحدة بقيادة داود وسليمان، واستمرت حتى موت الأخير (Dever 2003: 86).

وقام لاري هير Larry Herr ومحمد النجار بتقسيم العصر الحديدي في الأردن إلى قسمين: العصر الحديدي الأول (Iron I) ويمتد من 1200 إلى 1000 ق.م، أما العصر الحديدي الثاني (Iron II) فيمتد من 1000 إلى 600 ق.م (Herr and Najjar 2008: 314, 317). يبدو من هذا التقسيم أنهما استعملا نفس التقسيم الإسرائيلي في دراستهما.

على أية حال، فقد استعمل كفافي عام 2006م، التأريخ الذي نشر في معرض (وجوه من الشرق) الذي أقيم في ألمانيا في نهاية عام 2004 وبداية عام 2005م، فقد ورد تقسيم العصر الحديدي على النحو التالي: العصر الحديدي الأول (Iron I) الممتد من 1200 إلى 1000 ق.م، أما العصر الحديدي الثاني (Iron II) فيمتد من العام 1000 إلى 586 ق.م، علماً أن هذه التقسيم التأريخي قد اعتمد على الكربون المشع المعاير (Calibrated C 14) (كفافي 2006: م).

ما يهم في هذه الدراسة هو تحديد فترة العصر الحديدي الأول التي اتفق على تأريخها معظم الباحثين إلى الفترة الممتدة من عام 1200 إلى 1000 ق.م في المرتفعات الفلسطينية. ويوضح جدول رقم (5) تأريخ العصر الحديدي الأول والفترة الانتقالية بين العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول. بالإضافة إلى احتواء الجدول على فترة القرن العاشر ق.م، والتي تعد امتداداً للعصر الحديدي الأول لدى بعض العلماء، وبداية للعصر الحديدي الثاني لدى بعضهم الآخر، بالإضافة إلى كون هذا الجدول يقدم تأريخاً مقارناً للمناطق المحيطة بفلسطين.

التأريخ الزمني	جنوب بلاد الشام	شمال بلاد الشام والأناضول	وادي الرافدين	وادي النيل
1400 – 1300 ق.م	العصر البرونزي المتأخر الثاني (LB II)	الحثيون: توذخاليا III شوبليليوما I أرندوندا II مورسيل II	الكاشية: كوريغالزو I كاداش–إنليل كوريغالزو II	المملكة الحديثة: الأسرة 18 (رسائل تل العمارنة) أمونحتب IV
1300 – 1200 ق.م	العصر البرونزي المتأخر الثالث (LB III)	الحثيون: موتاللي حاتوشيل III توذخاليا IV أرندوندا III شوبليلوما II	الكاشية: كاداش–مان–تورغو كاداش إنليل كودور– إنليل أداد– شوما– أصر	الأسرة 19 رمسيس II 1270 – 1213 ق.م ميرنبتاح 1213 – 1203 ق.م سيتي II 1200 – 1194 ق.م
1200 – 1150 ق.م 1150 – 1000 ق.م	العصر الحديدي الأول أ (Iron I A) العصر الحديدي الأول ب (Iron I B)	أفيس VII أشور –كيتي –ليسير	تجلات–بلسر الأشورية الوسطى	رمسيس III 1184 – 1153 ق.م رمسيس IV-XI 1153 – 1070 ق.م نهاية المملكة الحديثة 1070 – 945 ق.م
1000 – 900 ق.م	العصر الحديدي الأول ج (Iron I C) أو العصر الحديدي الثاني أ (Iron II A)	سوكاس H2 مملكة كركميش	الأشورية الحديثة	نهاية المملكة الحديثة 1070 – 945 ق.م شوشناق 945 – 924 ق.م

الجدول رقم (5) يبين التأريخ المقارن لمناطق جنوب بلاد الشام، والحضارات التي تحيطها (كفافي 2006: 57: الشكل 11؛ Avi-Yonah: 1975: 1: 340; Akkermans and Schwarts 2003: 330: fig.10.2; Golden 2009: XVI-XVII; Stern 2008).

إن المتفحص في التأريخ المعطى لما يسمى العصر الحديدي يلاحظ خضوع هذه الفترة الزمنية لما جاء من سرد للأحداث في أسفار العهد القديم؛ إذ اعتمد Albright في تـأريخ العصـر البرونزي بشكل عام على النقوش الهيلوغريفية، والنقوش المسمارية الأكادية، وغيرهـا مـن

النقوش، وحاول أن يضع سياق الأحداث في فلسطين ضمن الأحداث الأوسع في المنطقة، إلا أنه اعتمد بشكل كبير على العهد القديم في تأريخ العصر الحديدي. وإن ما دفعه إلـــى تـأريخ العصر الحديدي الأول إلى نهاية القرن العاشر ق.م هو محاولة إرفاق ما يحكـــى عــن داود وسليمان من عظمة تقترن بظهور وتطور الإسرائيليين في المنطقة (:Chapman III 2009 157). وعلى أية حال، فإننا سوف نحاول الاعتماد في هذه الدراسة على الجدول رقم (5) في تأريخ العصر الحديدي. بالإضافة إلى أننا سنستخدم في هذه الدراسة تأريخ العصر الحديـدي الأول (Iron I A-B) الذي يمتد من العام 1200 ق.م إلى العـام 1150 ق.م، وأن العصـر الحديدي الثاني (Iron II) يبدأ في العام 1000 ق.م؛ وذلك حتى يتناسـب مـع المسـوحات الأثرية التي أجراها الإسرائيليون في ما بعد العام 1967م والذي قاموا على أساسـه بتـأريخ فخار المواقع وإعطاءها التأريخ النهائي.

ولابد بعد التعرف إلى تأريخ العصر الحديدي الأول في المرتفعات الفلسـطينية مـن التعرف إلى جغرافيا تلك المنطقة والتي دارت عليها الأحداث التي قام العلماء بوضع نظرياتهم لأنماط سكنها في العصر الحديدي الأول.

الفصل الرابع

جغرافيا المرتفعات الفلسطينية

مقدمة:

تركزت الدراسات التي تمت مراجعتها في ما سبق، حول عملية استيطان جماعية دخلت من خارج الأراضي الكنعانية أو نشأت داخلها في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية الحديدي الأول. وكان تركيز هذه الجماعات ونشاطاتها في الاستقرار باتجاه مناطق محددة لديهم مسبقاً، وهي تلك التي بدأ الاستيطان فيها قبل غيرها. وكان ذلك بإتباع أساليب متفاوتة هي: الدخول السلمي، أو الهجوم العسكري، أو الثورة الاجتماعية، أو البدو الرعاة الذين عاشوا على تخوم الأراضي الكنعانية. وكان يُسلّط الضوء في كل مرة على مرتفعات الأراضي الكنعانية (تلك السلسلة التي تمتد من شمال وحتى جنوب فلسطين) على أنها المنطقة المستهدفة، وذلك لعدة أسباب منها ما يتعلق بالمعلومات الواردة في نصوص العهد القديم، أو لأسباب بيئية، أو اجتماعية سياسية، أو حتى لأسباب اعتَبرت المناطق المرتفعة مناطق تخوم وهامشية للمجتمع الكنعاني لم يتواجد فيها استمرارية سكنية باستثناء بعض البدو الرعاة. لذلك سنتحدث في ما يأتي حول تلك المنطقة الجغرافيا من شمال فلسطين وحتى جنوبها.

4- جغرافية فلسطين (المرتفعات الفلسطينية):

يمكن تقسيم فلسطين من النواحي الجغرافية إلى عدة وحدات هي: الأراضي الساحلية المنخفضة، ومناطق المرتفعات الجبلية الغربية، والسيفلة، والمرتفعات الجبلية الشرقية، وصحراء النقب – التي تحتل نصف البلاد–، ومناطق الأغوار، (إبراهيم 1990: 15). وستخصص هذه الدراسة للمرتفعات الفلسطينية.

تعد المرتفعات الفلسطينية العمود الفقري للأرض الفلسطينية وتحتل ثلثيها (الدباغ 1965: 46؛ شراب 1987: 44؛ الكيالي 1990: 12). ويحد هذه المرتفعات من الجهة

الغربية السهل الساحلي (النحال 1966: 39) وتبدأ في نهايتها الشرقية ما يعرف بمنطقة السفلة حيث تأخذ بالارتفاع التدريجي نحو الشرق في مناطق أواسط تلك المرتفعات. أما من الجهة الشمالية فتعد المرتفعات امتداداً طبيعياً للجبال اللبنانية (الدباغ 1965: 46؛ النحال 1966: 39)، أما من الجنوب تقف صحراء النقب كنهاية لهذه المرتفعات (النحال 1965: 39، عابد 1990: 100؛ إبراهيم 2010: 41). تبدأ المرتفعات بالهبوط التدريجي السريع في الجهة الشرقية حيث غور الأردن يجري بشكل مواز لها من الشمال حتى الجنوب (النحال 1966: 39؛ عبد القادر وعيوش 1995: 30).

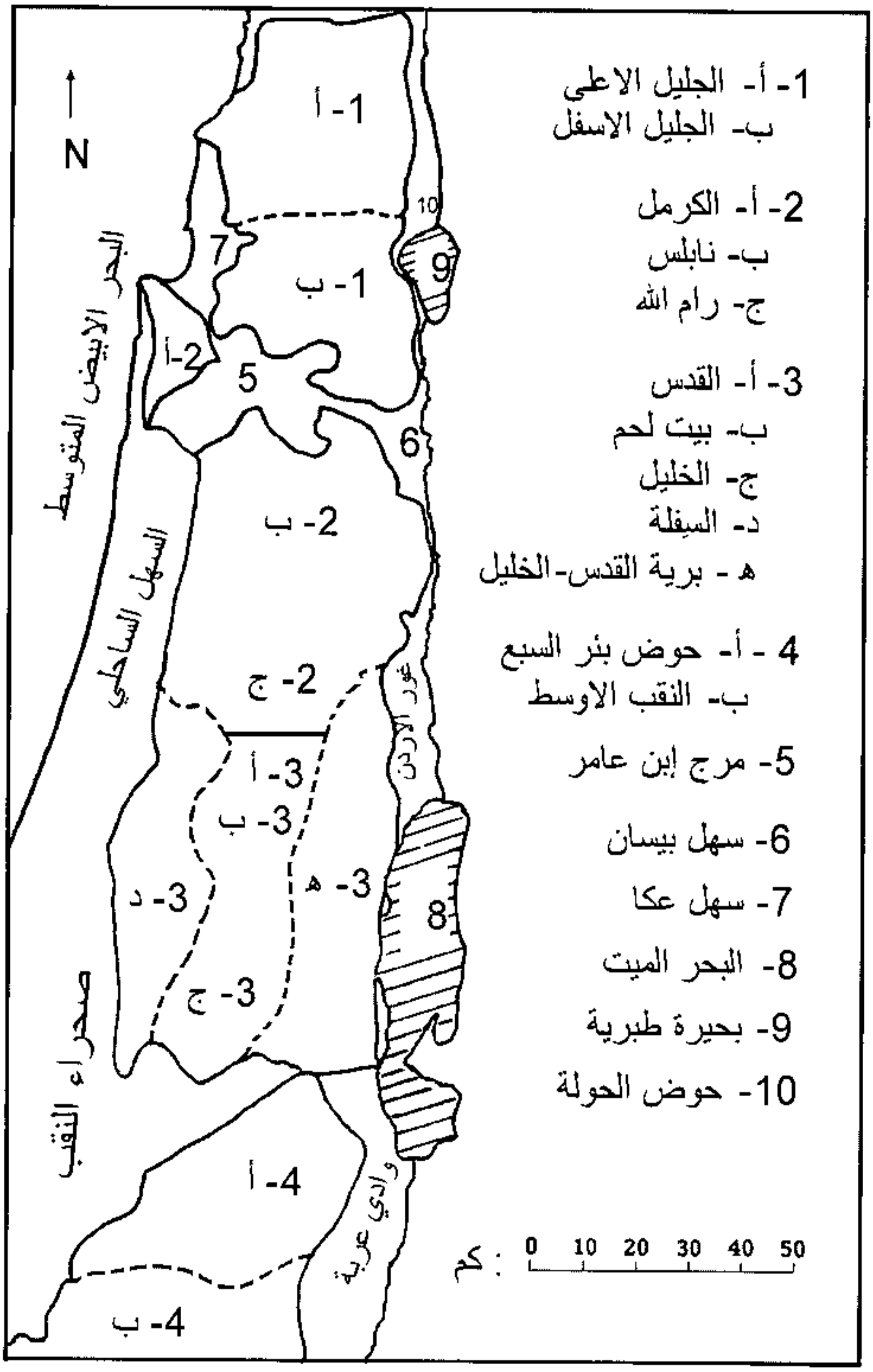
تشغل المرتفعات الفلسطينية مساحة تقدر بحوالي 8612 كم² من الأراضي الفلسطينية، وتمتد من شمال فلسطين عند الحدود اللبنانية وحتى أواسط البلاد عندما تبدأ صحراء ومرتفعات النقب بأخذ الحيز حتى مناطق أقصى الجنوب عند أم الرشراش (إيلات) (الدباغ 1965: 46؛ كفافي 2011: 24 ;Schattner 1973: 24-25).

وتقسم المرتفعات الفلسطينية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي: القسم الشمالي ويعرف بجبال الجليل، والقسم الأوسط ويعرف بالقسم الجنوبي ويتكون من جبال نابلس ورام الله والكرمل، أما القسم الثالث فيسمى بجبال القدس وبيت لحم والخليل (الدباغ 1965: 46؛ عابد 1990: 100؛ الكيالي 1990: 12؛ إبراهيم 2010: 41) يضاف للقسم الثالث مرتفعات النقب، والتي سنتحدث عنها بشكل منفصل في سياق هذا الفصل. وهناك بعض الأودية والسهول التي تتخلل سلاسل المرتفعات المذكورة من بدايتها في الشمال وحتى نهايتها في الجنوب حيث تقف في بعض الأحيان كفاصل طبيعي بين المرتفعات، وهي تشكل أيضاً مناطق وفسحاً للنشاطات الزراعية، فهي تتميز بخصوبة تربتها، بالإضافة إلى تشكيلها ممرات لطرق تجارية تربط مناطق وأقاليم فلسطين الجغرافية بعضها مع بعض، مثل مرج إبن عامر (النحال 1981: 31؛

إبراهيم 1990: 17، 2010: 41؛ عبد القادر وعيوش 1995: 30؛ كفافي 2011: 24-25؛ (Hopkins 1985: 56; Pritchard 1987: 58).

وتبدأ المرتفعات بالانحدار بالاتجاهين الشرقي والغربي بشكل تدريجي حتى الوصول إلى المناطق السهلية في الغرب ومناطق الأغوار في الشرق (الدباغ 1965: 46؛ عبد القادر وعيوش 1995: 30) ويتراوح متوسط ارتفاعها بين حوالي 500م و 1200م (الدباغ 1965: 47؛ إبراهيم 2010: 42). تبدأ سلسلة المرتفعات حيث الجليل الأعلى، ثم تنخفض مشكّلة مرتفعات الجليل الأدنى أو الأسفل، ويقطع هذه السلسلة سهل مرج إبن عامر، وهو سهل يخترق المنطقة وصولاً حتى مناطق شمال نابلس، فتبدأ عندها المرتفعات بالبروز من جديد بمناسيب متقاربة مكونة مرتفعات نابلس ورام الله والكرمل والقدس وبيت لحم، ويزيد ارتفاعها أكثر في مناطق الخليل وحتى جنوبها عندما تبدأ بالانحدار التدريجي حيث شمال النقب لتبدأ بالارتفاع التدريجي من جديد (Smith 1966: 53; May 1981: 48; Tristram 2006: 2-1; Golden 2009: 18-19).

تضم هذه المرتفعات الكثير من المواقع والمدن الكبيرة والمشهورة عبر التاريخ، مثل صفد، والناصرة، ونابلس، وحيفا، والقدس، وبيت لحم، والخليل، وبئر السبع، وغيرها. وعدد كبير جداً من القرى التي تنتشر حول هذه المدن. ولآبد لنا بعد أن تعرفنا على المرتفعات ككتلة واحدة من التعرف عليها بالأقسام التي ذكرت أعلاه من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي، وهي الجليل، والكرمل، ونابلس، ورام الله، والقدس، وبيت لحم، والخليل، والنقب. وتوضح الخريطة رقم (1) التقسيم الجغرافي لفلسطين، متضمنة المرتفعات.



خريطة رقم (1): فلسطين وأهم تقسيماتها الجغرافية

(عن Hopkins 1985: 324: Map. 1).

4-1 مرتفعات الجليل:

تقع مرتفعات الجليل شمال فلسطين، وتحتل مساحة تقدر بحوالي 2083 كم² (الـدباغ 1965: 47)، وينقسم الجليل إلى قسمين هما: الجليل الأعلى والجليل الأسفل (الـدباغ 1965: 49؛ إبراهيم 1990: 17)؛ وذلك بسبب الفرق الواضح بينهما في الارتفاع عن سطح البحـر، وبسبب اختلاف المناخ (Frankel 2008: 879-881) ووجود وادي الشاغور الذي يفصـل بينهما (عبد القادر وعيوش 1995: 32). ويمتد كلا الجزأين من الحدود اللبنانية شمالاً وحتى نهاية سهل مرج بن عامر قرب جنين جنوباً الذي يفصلهما عن باقي سلسلة المرتفعـات فـي الجنوب (Smith 1966: 27)، ويبلغ طول امتداد منطقة الجليل بشكل كامل من الشمال إلـى الجنوب حوالي 64كم، أما عرضها فيقدر بحوالي 48كم شرق-غرب (النحـال 1981: 31). وفي ما يأتي سنتعرف إلى جغرافية كل من الجليل الأعلى والأسفل.

الجليل الأعلى: يمتد شمال-جنوب بطول حوالي 26كم، أما عرضه فحـوالي 45كـم شرق-غرب (عابد 1990: 103)، ويحده من الشمال الحدود اللبنانية. ومن جباله المرتفعـة جبل الجرمق الذي يرتفع عن مستوى سطح البحر حوالي 1208م، وجبـل حيـدر 1044م، وجبل عروس 1071م (الدباغ 1965: 48؛ النحال 1966: 39؛ عابد 1990: 103) بالإضافة إلى جبل عداثر 1006م وجبل كنعان الذي يرتفع 537م عن سطح البحر (الدباغ 1965: 48؛ النحال 1981: 31). يفصل الجليل الأعلى عن الجليل الأسفل وادي الشاغور وسهل البطوف الذي يمتد بطول بحوالي 14.5 كم شمال-جنوب، وحوالي 3.5 كم شرق-غرب، ويرتفع هذا السهل إلى حوالي 155م عن سطح البحر (عابد 1990: 103)، وتقدر مساحته بحوالي 45كم² (الشامي 1991: 27).

الجليل الأسفل: تعد هذه السلسلة أقل ارتفاعاً عن سطح البحر من سلسلة الجليل الأعلى؛ إذ يتراوح متوسط ارتفاعها حوالي 580م عن سطح البحر (النحال 1981: 31)، ويحدها من الشمال وادي الشاغور وسهل البطوف. ويبلغ طول الجليل الأسفل من الشمال إلى الجنوب ما يقرب إلى 26كم، أما عرضه من الشرق إلى الغرب فيبلغ حوالي 40كم، وتبرز فيه بعض القمم الجبلية العالية، مثل جبل طابور الذي يرتفع 588م عن سطح البحر، وجبل الشيخ 575م، وجبل حطين 326م (عابد 1990: 103)، وتتخلله بعض السهول أهمها سهل البطوف وسهل طرعان الذي تبلغ مساحته حوالي 12كم² وسهل إكسال (النحال 1981: 31).

تعد مرتفعات الجليل بوجه عام أكثر ارتفاعاً عن سطح البحر من مرتفعات نابلس ورام الله والكرمل ومرتفعات القدس وبيت لحم والخليل (عابد 1990: 103). وحيث تنتهي مرتفعات الجليل في مرج إبن عامر في الجنوب فهو يشكل مثلثاً تقع قاعدته عند جبال الكرمل وحتى جنين شرقاً إلى الناصرة شمالاً، وتبلغ مساحته حوالي 360كم² (الدباغ 1965: 50؛ النحال 1981: 32؛ الشامي 1991: 27). وتتراوح أبعاده حوالي 40كم من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويبلغ عرضه من الشمال إلى الجنوب حوالي 19كم، ويرتفع حوالي 100م عن سطح البحر (عابد 1990: 103)، وتبرز في نهايته الجنوبية المرتفعات بشكل ملحوظ حيث تبدأ بمرتفعات نابلس وصولاً إلى مرتفعات النقب جنوباً.

4-2 مرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله:

تقسم هذه السلسلة من المرتفعات إلى قسمين حسب جيولوجية وجغرافية المنطقة هما:

الكرمل: تقع مرتفعات الكرمل إلى الغرب من المرتفعات الوسطى وإلى الشمال من السهل الساحلي وتنتهي عند شاطئ البحر الأبيض المتوسط بالقرب من حيفا (الدباغ 1965: 52-

53؛ النحال 1981: 32)، وتمتد باتجاه جنوب-شرق، شمال-غرب (النحال 1981: 32؛ الشامي 1991: 28) وتبلغ مساحتها حوالي 750كم² (الشامي 1991: 28). وكما ذكرنا سابقاً فإن إحدى زوايا مرج إبن عامر تمتد لتصل إلى أسفل مرتفعات الكرمل التي تبدأ بالتشكل من تلك النقطة، وهي امتداد طبيعي لمرتفعات نابلس ورام الله. وتحيط هذه السلسلة بسهل مرج إبن عامر من الجهة الجنوبية الغربية، ويبلغ طولها حوالي 22كم، وعرضها من 6 إلى 7 كم، وتقع أعلى نقطة فيها في أراضي قرية عسفيا بارتفاع يبلغ 546م عن مستوى سطح البحر (الدباغ 1965: 52-53؛ النحال 1981: 32)؛ أما طولها على شاطئ البحر فيبلغ حوالي 32كم (Hopkins 1985: 66). وتفصل مرتفعات الكرمل سهل مرج إبن عامر وسهل عكا شمالاً عن السهل الساحلي الأوسط جنوباً (عابد 1990: 103).

يفصل وادي عارة-عرعرة ومحدبة أم الفحم بين مرتفعات الكرمل ومرتفعات نابلس ورام الله (النحال 1981: 32؛ عابد 1990: 101؛ الشامي 1991: 28؛ عبد القادر وعيوش 1995: 34). ومن هناك أي في الجهة الجنوبية الشرقية لمرتفعات الكرمل، وإلى الجنوب من مرج إبن عامر تبدأ سلسلة مرتفعات نابلس ورام الله.

مرتفعات نابلس ورام الله: تشكل مرتفعات نابلس ورام الله الممتدة شمال جنوب الجزء الثاني من التكوين الجغرافي للمرتفعات الفلسطينية، وتتضمن المناطق الممتدة من جنوب مرج إبن عامر إلى شمال القدس، وطولكرم وحتى البحر الأبيض المتوسط غرباً، أما من الشرق فإنها تمتد حتى تصل غور الأردن. وتفصل هذه السلسلة من المرتفعات بين مرتفعات الجليل في الشمال ومرتفعات القدس وبيت لحم والخليل، ويحدها من الشمال مرج إبن عامر وسهل بيسان، وفيها تصبح مناسيب الارتفاعات أقل منها في الجليل (عابد 1990: 102-103؛ الشامي 1991: 31-35؛ Schattner 1973: 54-55). ويبلغ طول هذه السلسلة حوالي

80كم من الشمال إلى الجنوب وعرضها حوالي 48كم من الشرق إلى الغرب، وهي أقل ارتفاعاً من جبال القدس وبيت لحم والخليل (عابد 1990: 102-103)، وتمتد شمال شرق- جنوب غرب، ومن ثم جنوب (النحال 1981: 33-35)، وتظهر المناطق الشمالية لهذه السلسلة بارتفاعات أقل من جهاتها الجنوبية (إبراهيم: 1990: 18).

وتتضمن مرتفعات نابلس ورام الله قمماً جبلية عالية نذكر منها جبل عيبال الذي يرتفع 940م عن مستوى سطح البحر، وجبل جرزيم إلى الجنوب منه بارتفاع 881م (الدباغ 1965: 53؛ Schattner 1973: 54-55)، وتل العاصور في رام الله، الواقع بين قريتي دير جرير وسلواد والذي يبلغ ارتفاعه 1016م عن مستوى سطح البحر (الدباغ 1965: 54؛ النحال 1981: 35؛ عابد 1990: 102-103؛ الشامي 1991: 35)، وجبل فقوعة وجبل جلبون وجبل الأقرع وبايزيد وجبل بلال (عبد القادر وعيوش: 1996: 34).

تتخلل سلسلة مرتفعات نابلس ورام الله بعض السهول والأودية مثل: وادي نابلس الذي يفصل بين جبلي عيبال وجرزيم الممتد باتجاه الشرق وصولاً إلى وادي الفارعة (Schattner 1973: 55)، وأودية جزيلة، والمالح، وبعض السهول مثل سهل عرابة، وسهل صانور إلى الجنوب من مدينة جنين، وسهل المخنة إلى الجنوب من مدينة نابلس (الدباغ 1965: 53؛ النحال 1981: 33-35؛ عابد 1990: 103)، ووادي الجيز بالقرب من الزبابدة وقباطية في جنين، ووادي المالح القريب من طوباس (النحال 1981: 33-35).

وتنتهي سلسلة مرتفعات نابلس ورام الله عند منطقة وادي سيلون الذي يفصلها عن مرتفعات القدس حسب رأي هيربيرت ماي Herbert May (May 1981: 48)، إلا أن عبد القادر وعيوش لا يعتبران أن هناك فاصلاً طبيعياً بين مرتفعات نابلس ورام الله من جهة، ومرتفعات القدس وبيت لحم والخليل من جهة أخرى (عابد 1990: 101؛ عبد القادر وعيوش

1995: 34). على أية حال، سنتناول مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل في ما يأتي لجعل الأمر أكثر وضوحاً حول هذه المنطقة الجغرافية في الجنوب.

4-3 مرتفعات القدس بيت لحم والخليل:

تمتد سلسلة مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل بدون انقطاع ليصل طولها إلى حوالي 87كم، بعرض حوالي 40كم في الجنوب (الشامي 1991: 34)، وحوالي 24كم في الشمال (عابد 1990: 101)، بمساحة تقدر بحوالي 640كم² (Ferris Jr. 2008: 1036). وهي تمتد من جنوب رام الله شمالاً إلى جنوب الخليل جنوباً، وهي أطول سلسلة مرتفعات في الأراضي الفلسطينية، وباتجاه شمال-جنوب (النحال 1981: 35). وتنتهي هذه المرتفعات على بُعد حوالي 24كم جنوبي الخليل في بلدة الظاهرية، ومن هناك تبدأ سلسلة مرتفعات أخرى تعرف بمرتفعات النقب أو صحراء النقب (الدباغ 1965: 56؛ عبد القادر وعيوش 1995: 37). ويحد سلسلة جبال القدس، وبيت لحم، والخليل من الشرق غور الأردن، والسهل الساحلي الفلسطيني من الغرب (عبد القادر وعيوش 1995: 35)، أما في الشرق فتنحدر الجبال انحداراً شديداً على شكل أودية لتصل إلى مستويات غور الأردن، أما من الجهة الغربية فانحدار الجبال أقل حدة، فهي تأخذ بالانحدار التدريجي حتى الوصول إلى السهل الساحلي (الدباغ 1965: 55؛ عابد 1990: 101؛ الشامي 1991: 35).

تقسم سلسلة مرتفعات القدس، وبيت لحم، والخليل إلى قسمين رئيسيين هما: مرتفعات القدس، ومرتفعات الخليل. تبدأ مرتفعات القدس من جنوبي رام الله وتنتهي في وادي الرطاس متضمنة بذلك بيت لحم، وتقع القدس في منطقة منخفضة عما يحيطها من المناطق في الشمال والجنوب بحوالي 200م (الشامي 1991: 35)، فهي تقع بين قوسين محدبين يعرفان بقوس

رام الله–القدس في الشمال، وقوس الخليل–بيت لحم في الجنوب (عبد القادر وعيوش 1995: 36) وبالتالي فإن المنطقة الواقعة بينهما هي القدس أو ما يعرف بسرج القدس (الشامي 1991: 35) وذلك نسبة إلى شكلها الجغرافي بين سلاسل المرتفعات المذكورة.

تنحدر جبال القدس بشكل تدريجي نحو الغرب لتسهيل اتصال المدينة بالسهل الساحلي، وترتفع تدريجياً نحو الخليل في الجنوب (النحال 1981: 35). ومن أشهر قمم الجبال في القدس جبل النبي صمويل شمال غرب القدس، ويرتفع 885م عن مستوى سطح البحر، وجبل المشارف أو المشهد (سكوبس) إلى الشمال من المدينة ويرتفع إلى 800م، وجبل الطور أو الزيتون الذي يشرف على القدس بشكل كامل من الناحية الشمالية الشرقية ويرتفع 826م، بالإضافة إلى جبل المكبر إلى الجنوب من المدينة الذي يرتفع 795م عن مستوى سطح البحر (الدباغ 1965: 54؛ النحال 1981: 35). وإلى الجنوب من القدس تقع مدينة بيت لحم التي تبعد مسافة 9كم عنها، وترتفع نحو ما يقارب 790م عن سطح البحر، ومن أشهر مرتفعاتها بيت جالا غرباً، وبيت ساحور شرقا (Carroll 2008: 712).

تتضمن منطقة مرتفعات القدس بعض الأودية في الجوانب الشرقية والغربية منها، ففي الجانب الغربي هناك عدة أودية من الشمال إلى الجنوب نذكر منها وادي جريوت بالقرب من بيتونيا، وباب الواد (وادي علي)، ووادي الصرار (الدباغ 1965: 55–56)، إضافة إلى وادي الدلب، وملكة، وسليمان (عابد 1990: 102). أما من الطرف الشرقي فيوجد أودية مثل، وادي عين الفشخة، ووادي المقلق، وعين السلطان، وعين الديوك، وعين النويعمة (عابد 1990: 102)، ووادي العوجا، ووادي النار، ووادي الزويرة (عبد القادر وعيوش 1995: 36).

تبدأ مرتفعات القدس بالارتفاع التدريجي بالاتجاه نحو الجنوب، حيث مرتفعات الخليل التي تستحوذ على نصف طول المرتفعات الفلسطينية إلا أنها أضيق منها، وترتفع إلى حوالي 500م عن سطح البحر في الغرب، و1300م في الشرق وذلك بالنسبة لمستوى غــور الأردن (الشامي 1991: 35-36)، وتبدأ هذه السلسلة من وادي الرطاس في الشمال وحتى شمال بئر السبع في الجنوب (Schattner 1973: 50). ويقدر عرض سلسلة مرتفعات الخليل ما بــين 15 و25كم شرق-غرب (النحال 1981: 38)، ويحيطها غور الأردن من الشرق، والســهل الساحلي من الغرب.

تبرز بعض القمم الجبلية العالية في مرتفعات الخليل لتصل إلى 1020م عــن ســطح البحر في قمة خلة بطرخ، و1018م في سعير وخربة الدوير (الــدباغ 1965: 55؛ النحــال 1981: 38)، وجبل بني نعيم الذي يرتفع 951م عن مستوى سطح البحر، وجبل دورا الــذي يصل إلى 838م عن مستوى سطح البحر (عبد القادر وعيوش 1995: 37). هنــاك بعــض الأودية المتشكلة غرب وجنوب مرتفعات الخليل، وهي وادي الخليــل (الــدباغ 1965: 56) ووادي الصمط، ووادي إفرنجي، ووادي السبع في الجنوب (عابــد 1990: 102). وتفصــل منطقة جبلية قاحلة بين جبال الخليل وغور الأردن، وهي متدرجة في الانخفاض بالاتجاه نحو الشرق وصولاً إلى غور الأردن (إبراهيم 1990: 18)، وتنتهي مرتفعات الخليل علــى بعــد حوالي 24كم جنوبي مدينة الخليل في منطقة الظاهرية (الــدباغ 1965: 56) لتبــدأ بعــدها صحراء النقب في البروز.

ومن المعالم الجغرافية التي تتميز بها مرتفعات القدس، وبيت لحم، والخليــل وجــود منطقتين مختلفتين بيئياً إلى الشرق والغرب من هذه المرتفعات، ففي الشرق تقع برية القــدس والخليل، وهي منطقة صحراوية يتراوح ارتفاعها ما بين 400 و700م ثم تنحدر تدريجياً نحو

البحر الميت شرقاً (الشامي 1991: 37). أما غرب هذه المرتفعات فتقع منطقة التلال أو سفوح الجبال (السِفلة) التي تعتبر المنطقة الانتقالية بين المرتفعات والسهل الساحلي غرباً (عابد 1990: 103)، ويقدر طولها من الشمال إلى الجنوب بحوالي 60 كم، ويصل متوسط عرضها إلى حوالي 13كم، ويبلغ ارتفاعها حوالي 400م عن مستوى سطح البحر في الجزء الشرقي للتلال والقريب من المرتفعات، أما في الاتجاه الغربي فيصل مستوى الارتفاع إلى 200م عن سطح البحر (Schattner 1973: 53-54).

بعد الحديث عن مرتفعات القدس، وبيت لحم، والخليل، لابد من التعرف على آخر وحدة مرتفعات جغرافية في الأراضي الفلسطينية والمعروفة بمرتفعات النقب في جنوب فلسطين.

4-4 مرتفعات النقب:

تعد الصحراء الفلسطينية أو مرتفعات النقب امتدادا للمرتفعات الفلسطينية الشمالية والوسطى (النحال 1966: 49) حيث يبدأ النقب ببعض التلال الصغيرة من جنوب الخليل وصولا إلى بلدة الظاهرية التي تشكل الحد الفاصل بين النقب والأراضي الفلسطينية الشمالية (إبراهيم 1990: 18). والنقب منطقة مثلثة الشكل يقع رأسها في العقبة جنوبا، وتقع أطراف قاعدتها عند غزة في الاتجاه الشمال الغربي، والخليل شمال شرق. وتحتل هذه المرتفعات حوالي 12560كم^2، أي ما يقدر بنصف مساحة فلسطين الكلية، وتحيطها صحراء سيناء من الغرب ووادي عربة من الشرق، وخليج العقبة من الجنوب (الدباغ 1965: 122-123؛ النحال 1966: 49؛ 1981: 50-51). يتكون النقب من سلاسل جبلية ممتدة شرقاً وغرباً، وبعض السهول ومنحدرات صخرية مغطاة بالرمال في بعض الأحيان (الدباغ 1965: 129)،

وتتألف أيضاً من بعض التلال الوعرة والمسالك التي تتوسطها السهول، أما السلاسل الجبلية فتشكل مساحة تقدر بحوالي 8294كم² (النحال 1981: 50-51)، وتحتل أكثر من 70% من مساحة النقب كاملة، وتشكل هذه المرتفعات حلقة وصل بين المرتفعات الفلسطينية في الشمال ومرتفعات سيناء في الجنوب. بالإضافة إلى ذلك، فإن النقب تضم مظاهر جيومروفلوجية مختلفة من المحدبات، والمقعرات، والهضاب، والسهول المغلقة، والمنخفضات، والقيعان، والأحواض، وتتشكل في أطرافها الشرقية سلسلة من الجروف توصل إلى وادي عربة، أما من الجهة الغربية فتتشكل بعض الجروف والأودية الجافة وصولاً حتى السهل الساحلي (عبد القادر وعيوش 1995: 47).

يقسم النقب إلى عدة مناطق جغرافية فرعية اعتماداً على العوامل البيئية، ومن أهمها المناخ، والذي يقاس من خلاله منسوب هطول الأمطار في جميع أجزائه (Rosen 2008: 1061). وبناء عليه قسم روزن Rosen النقب إلى ثلاثة أجزاء وهي: النقب الشمالي، والنقب الأوسط، والنقب الجنوبي (2008: 1061). أما عابد فقد قسمه إلى أربعة أجزاء وهي: حوض السبع، ومرتفعات النقب الأوسط، وسهول النقب الوسطى، ومرتفعات خليج العقبة جنوباً (عابد 1990: 104-106). وفي ما يأتي سنستعرض هذه الأجزاء بتقسيمها إلى حوض بئر السبع، والنقب الأوسط، ونستثني الأجزاء الجنوبية منه كونها خارجة عن نطاق هذه الدراسة.

حوض بئر السبع: وهو يقع أقصى شمال النقب، يرتفع إلى مستوى 450 م عن مستوى سطح البحر في الشرق وحوالي 150م في الغرب، وهو حوض كبير ضيق في الشرق ومتسع في الجهة الغربية منه (عابد 1990: 106). ويمتد هذا الحوض باتجاه الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ويصل طول المنطقة التي يشغلها حوالي 80كم، ويصل عرضها إلى حوالي 30كم. وهو يتكون من تلال شبه مستديرة جرداء، بالإضافة إلى المرتفعات التي تبرز

في المنطقة باتجاه شمال-شرق تتخللها مجموعة من الأحواض الواسعة. ويقع شرق بئر السبع أكبر حوضين في المنطقة كاملة يصل ارتفاعهما إلى حوالي 450 م عن مستوى سطح البحر (الشامي 1991: 38). وتحتوي هذه المنطقة على محدبات، مثل محدب القرن الذي يمتد من بئر السبع حتى الحدود المصرية، ويتخذ اتجاهاً شمالياً شرقياً إلى جنوبي غربي، ومحدب ريشة شمالي شرقي إلى جنوبي غربي، ومحدب حليقم، ورأس زويرة باتجاه شمال شرقي إلى جنوب غربي، وهناك بعض المقعرات مثل مقعر العوجا، وعسلوج، ووادي سيال الذي يمتد من المرتفعات الشمالية للنقب وحتى رأس زويرة في الجنوب، ويسير بمحاذاة الطرف الشرقي لحوض بئر السبع (عبد القادر وعيوش 1995: 50). ويتراوح متوسط ارتفاع هذه المنطقة إلى حوالي 700م عن سطح البحر (Hopkins 1985: 57).

النقب الأوسط: تحتوي هذه المنطقة على سهول النقب الأوسط ومرتفعاته، حيث تجتمع السهول والمرتفعات معاً، إلا أن الجبال هناك تظهر أكثر وضوحاً من السهول (عبد القادر وعيوش 1995: 47-50). ويمتد النقب الأوسط باتجاه الجهة الشرقية للنقب، وهو ممتد باتجاه جنوبي غربي إلى شمالي شرقي (الشامي 1991: 38-39)، ويصل طول هذه المنطقة إلى حوالي 70كم من تل القديرات (قادش برنيع) إلى وادي عربة (Schattner 1973: 43). ومن بين مرتفعاته جبل الجرافي، وجبل حرشة، وجبل لوزة، وجبل خروف. ويصل متوسط ارتفاع هذه القمم بشكل عام إلى حوالي 1000م عن مستوى سطح البحر، أما أشهر محدبات النقب الأوسط فهي الحظيرة، والحثيرة، والكرنب. ويصل متوسط ارتفاع هذه المحدبات إلى حوالي 700م عن سطح البحر. ومن سهول وأودية النقب الأوسط نذكر أودية الحياني، وباران، وبقعة سياريم، وبقعة عبدة التي يصل ارتفاعها بشكل عام إلى 600م عن سطح البحر في الغرب،

و300م في الشرق (عابد 1990: 104-106)، والى الجنوب من النقب الأوسط تقع مرتفعات العقبة أو النقب الجنوبي والذي يشكل أقصى جنوب الأراضي الفلسطينية.

بعد التعرف على جغرافية المرتفعات الفلسطينية والتأريخ الزمني للعصر الحديدي فيها في الفصلين الثالث والرابع، لابد من الحديث عن مفهوم البيئة في المرتفعات الفلسطينية خلال العصر الحديدي الأول، وبما أن البيئة تتضمن مفـــاهيم الجيومورفولجيـــا، وشـــكل الأرض، والمناخ والمياه، وما يعكسه ذلك من تأثير على الزراعة وسبل العيش وبالتالي طرق توزيـــع الناس والحيوانات، فإن الفصل الرابع سيناقش هذا الموضوع في كـــل تلـــك المنـــاطق فـــي المرتفعات الفلسطينية من الشمال وحتى الجنوب.

الفصل الخامس

بيئة المرتفعات الفلسطينية

مقدمة:

تعرفنا في الفصل السابق على جغرافيا وتضاريس المرتفعات الفلسطينية، ونقدم في هذا الفصل دراسة حول بيئة هذه المنطقة بما يتضمن ذلك من عناصر جيولوجية وجيومورفولوجية وتربة، بالإضافة إلى المناخ والتغير المناخي والزراعة.

لعبت البيئة دوراً بارزاً في تشكيل حياة وسبل عيش الإنسان في جميع مناطق العالم منذ قديم الزمان، ولا زال هذا الدور بارزاً في وقتنا الحاضر، ومن هنا فهي تعد محوراً أساسياً يتفاعل معها الإنسان الذي يتأثر ويؤثر فيها من أجل الوصول إلى حياة أسهل ولتوفير الأمان والاستقرار في المنطقة التي يقطنها. ويدل هذا التفاعل على محاولة الإنسان للبقاء على قيد الحياة حينما تشتد عليه ظروف البيئة، ولذلك لآبد من فهم علاقة الإنسان بالبيئة وأهميتها البالغة عند دراسة نشاطات الإنسان المختلفة.

تختلف العوامل البيئية من منطقة إلى أخرى، الأمر الذي يؤدي إلى انتشار الناس في مختلف المناطق البيئية، فنجد أن نسبة سكان المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية تقل عما هو عليه الحال في السهول الساحلية والمناطق الجبلية الخصبة (كفافي 2011: 28-29)، فالبيئة هي كل ما يحيط بالإنسان، وهي أنواع متعددة، فمنها بيئة طبيعية وأخرى بشرية، أما البيئة الطبيعية فهي جميع الظواهر غير الحَّية التي تحيط بالإنسان سواء كان فرداً أو جماعة (السعود 2010: 22) متضمنةً التضاريس والمناخ والتربة وحَّية مثل والنباتات والحيوانات (كفافي 2005: 57؛ السعود 2010: 22). أما البيئة البشرية فهي كل ما يحققه الإنسان من إنجازات وتقنيات تساعده على العيش والتكيف مع النظام البيئي المحيط (السعود 2010: 22)، نذكر منها صهاريج المياه المقصورة وغير المقصورة والسلاسل الحجرية التي استعملها المزارع القديم في المرتفعات الفلسطينية وحتى هذه الأيام. ويظهر أثر البيئة بشكل بارز من

خلال الطرائق البدائية في العيش لدى إنسان مرحلة الصيد والجمع (السـعود 2010: 265)، بالإضافة إلى دورها في استقرار الإنسان وابتكاره الزراعة وتدجين الحيوانات (كفافي 2005: 57-58؛ 2011: 31)، لذلك فإن البيئة وبحسب التصنيفات المشار إليها أعلاه تتكـون مـن التضاريس، والمناخ، والتربة، والزراعة، والنباتات، والحيوانات.

وإذا ما تحدثنا عن بيئة المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، فإنه لآبد من التعرف على جيولوجية وجيومورفولوجية وتربة المنطقة، بالإضافة إلـى المنـاخ والميـاه، والزراعة بما يتضمن ذلك النباتات والحيوانات.

1-5 جيولوجيا المرتفعات الفلسطينية:

بدأت مظاهر المرتفعات الفلسطينية وصخورها بالتشكل فـي مـا يعـرف بالعصـر الكريتاسي الممتد من حوالي 195 إلى 65 مليون عام، والذي ينتمـي إلـى حقـب الحيـاة المتوسطة حسب التصنيف الجيولوجي. وتتكون الصخور في هذه الحقبة من الصخور الرملية في الأسفل والصخور الجيرية في الأعلى، علماً أن صخور هذه الحقبة منتشرة فـي منـاطق واسعة من الأراضي الفلسطينية، إضافة إلى المرتفعات. وتقسم صخور العصر الكريتاسي إلى ثلاث مجموعات، تُعرف الأولى بمجموعة الكرنب الرملية في مناطق النقب، أما المجموعـة الثانية فتعرف بمجموعة القدس وتتكون صخورها من الجير، وهي منتشرة في وسط فلسطين بشكل عام، أما المجموعة الثالثة والأخيرة فتسمى بمجموعة جبل المشـارف (سـكوبس) ذات الصخور الجيرية الصوانية المنتشرة في وسط وشمال فلسطين (عابد 1990: 31).

يأتي بعد حقب الحياة المتوسطة ما يُعرف بحقب الحياة الحديثة التي تمتد من حـوالي 65 مليون سنة وحتى يومنا هذا، وهي تقسم إلى عصرين هما: العصـر الثلاثـي والعصـر

الرباعي، أما العصر الرباعي -الذي نعيش فيه- فيقسم إلى مرحلتين هما: البلايستوسين والهولوسين، ومن أهم مجموعات صخور العصر الثلاثي -الذي تنتمي إليه صخور المرتفعات الفلسطينية - مجموعة عبدة، ومجموعة الساقية. أما مجموعة عبدة فهي الأقدم وتنتشر صخورها في جنوب فلسطين ووسطها وتتكون من طباشير طينية في أسفلها، وأزيل أعلاها بفعل عوامل التعرية، وتنتشر بعض صخور هذه المجموعة في شمال فلسطين، وتتكون هناك من الحجر الجيري السيليسي وطباشير مع طبقات وعقيدات من الصوان البني. أما صخور مجموعة الساقية فهي منتشرة في جميع مناطق الأراضي الفلسطينية، وتمتاز بوجود الحجر الجيري الرملي في مناطق طبريا شمالي فلسطين، وبوجود الصخور البازلتية في منطقة بيسان إلى الجنوب من طبريا (عابد 1990: 42-43، 46). وبشكل عام فإن صخور المرتفعات الفلسطينية، مكونة من الحجارة الجيرية البيضاء الناعمة وصخور المارل والغضار والطباشير، وتعود معظم مجموعات الصخور في تلك المناطق إلى المجموعة المسماة مجموعة القدس، أما مناطق سفوح الجبال القريبة من السهل الساحلي فإنها تتكون من صخور الحمرة والكركار (عابد 1990: 32، 36، 49).

أدت النشاطات والحركات التكتونية إلى نشوء مناطق المرتفعات الفلسطينية، وقد حدثت هذه التحركات التكتونية والتصدعات في منتصف العصر الثلاثي فتشكلت المرتفعات الفلسطينية أو ما يسمى (بالقوس العريض) المحاط بالسهل الساحلي من الغرب، ووادي الأردن من الشرق، وقد نتج هذا القوس بفعل عمليات الضغط التي تعرضت لها المنطقة (عبد القادر وعيوش 1995: 20؛ Picard 1973: 129-136) وذلك أثناء حدوث حركات تكتونية صاحبت الانهدام الكبير الذي كوّن الأخدود الإفريقي الأسيوي (النحال 1981: 32، 34)، أما سبب كون المرتفعات الأردنية أكثر ارتفاعاً من المرتفعات الفلسطينية فيرجعه البعض إلى أن

تحرك الكتل التكتونية في المنطقة الشرقية كان أسرع منها في المنطقة الغربية (عابد 2000: 414). وتعود مظاهر التحركات التكتونية من هبوط وصعود وثني وتصدع بشكل عام إلى عصر البليوسين أي منذ 5 ملايين سنة، إلا أن العملية ربما بدأت في العصر الميوسيني السابق له (عابد 1990: 90)، ويعود تأثر الجيولوجيا الفلسطينية والنشاطات التكتونية التي حدثت فيها إلى المناخ الذي ساد العالم في ذلك الوقت وأثر بالتالي على مناخ فلسطين بطبيعة الحال (الشامي 1991: 7)، وقد أدت هذه النشاطات في النهاية إلى نشوء مظاهر سطحية عديدة مثل الجبال، والأودية، والقيعان، والأحواض (Hopkins 1985: 56). بعد إعطاء هذه اللمحة عن جيولوجيا المرتفعات الفلسطينية، والتعرف على ظروف تكونها وزمنه، لابد من التعرف على طبيعة هذه المرتفعات من الناحية الجيومروفلوجية.

2-5 جيومرفلوجيا المرتفعات الفلسطينية:

لعب العامل الجيولوجي الدور الأبرز في تشكيل الملامح الخارجية للأرض الفلسطينية من خلال الحركات التكتونية والصدوع والالتواء، فقد أدت هذه العمليات إلى تشكل المناطق المرتفعة، والعديد من الأحواض والأودية الأخدودية التي تتقاطع عمودياً مع محاور الطي، بالإضافة إلى إسهام عوامل التعرية المختلفة في تعقيد المظهر الطبوغرافي لهذه المرتفعات، وبالتالي فإن هذه الأودية الخانيقية المتشكلة أدت إلى إعطاء شكل السطح مظهراً جبلياً بشكل عام (عبد القادر وعيوش 1995: 30) وفي ما يلي نلاحظ آثار التحركات التكتونية وعوامل التعرية في أجزاء المرتفعات الفلسطينية المختلفة.

5-2-1 مرتفعات الجليل:

مرتفعات الجليل الأعلى: تتميز جبال الجليل الأعلى بوجود الصدوع المقعـــرة التـــي تفصل جبالها عن بعضها بعضاً، ولا يجري في هذه المنطقة أنهار كبيرة بسبب وجود ظاهرة التكهف أي دخول الماء إلى الصخور بدلا من الجريان على سطحها. وتتكون صخور الجليل الأعلى من الدولوميت والحجر الجيري الذي يجعل تضاريس المنطقة أكثر وعورة من مناطق الجليل الأسفل (عابد 1990: 103-104؛ عبد القادر وعيوش 1995: 32)، بالإضافة إلـــى وجود الصخور البازلتية في القسم الجنوبي من المنطقة. وتتفرع من جبال الجليل الأعلى عدة أودية تتجه باتجاه الشمال الغربي والشمال الشرقي (الدباغ 1965: 47-48). وتتشـــكل فـــي الجليل الأعلى بعض الأدوية الانكسارية التي تقطع المنطقة، ومسطحات بازلتيـــة وتجـــاويف ومنخفضات (الشامي 1991: 23-25؛ عبد القادر وعيوش 1995: 32). ويعد الجليل الأعلى من أكثر مناطق فلسطين خصوبة بالرغم من عوامل التعرية وانجراف التربة في قمم جبالـــه (الشامي 1991: 23-24)، وهو من أغنى مناطق فلسطين بالنباتـــات والأشـــجار الحرجيـــة (النحال 1981: 31؛ إبراهيم: 1990: 17).

مرتفعات الجليل الأسفل: يتكون الجليل الأسفل من كتل جبلية متوازية تنحصر بينهـــا مناطق منخفضة، وإن وجود الصخور الطباشيرية في تلك المنطقة يجعلها أقل وعـــورة مـــن تضاريس الجليل الأعلى. وقد لعبت ظاهرة التصدع دوراً هاماً في تقسيم هذه المنطقة إلى كتل جبلية مائلة قريبة من شكل السهول التي تنفصل بجروف واقفة (عابد 1990: 103). وتحتوي هذه المنطقة على بعض الأودية العريضة والسهول المفتوحة، وذلك بسبب تعـــرض منـــاطق الجليل الأسفل لعمليات تصدع في عصور جيولوجية متعاقبة (عبد القـــادر وعيـــوش 1995: 33). ويتميز الجليل الأسفل بالإضافة إلى هذا بوجود ظاهرة انشـــطار الأوديـــة العريضـــة

المناسبة للسكن (الشامي 1991: 25-27)، وهو أكثر خصوبة من الجليل الأعلى وجباله أقل ارتفاعاً (الدباغ 1965: 49؛ النحال 1981: 31).

5-2-2 مرتفعات الكرمل، ونابلس ورام الله:

مرتفعات الكرمل: تبرز هذه المنطقة من المرتفعات على شكل ظهر طويل في اتجاه شمال غرب، ويحده صدوع من كل جهاته، وهو أوفر مياهاً وأكثر نباتاً من المرتفعات الفلسطينية الواقعة إلى الجنوب من مرتفعات الجليل (عابد 1990: 103). ويحتوي الكرمل على جروف صخرية وعرة ينتصب بعضها وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط (بحيري 1974: 17). وتنقسم مرتفعاته إلى صدعين بارزين يتوسطهما سرج يتكون من صخور المارل والطباشير، أما الصدوع فتتكون من صخور دولماتية صلبة بالإضافة إلى وجود تكوينات بركانية تنتشر فوق هذه الصدوع، وتنتشر أشجار غابات حوض البحر الأبيض المتوسط على هذه المرتفعات (الشامي 1991: 28-29).

مرتفعات نابلس ورام الله: تأخذ جبال نابلس ورام الله شكل المقعرات في أجزاء منها ومحدبات في أجزاء أخرى، وقد تشكلت هذه التضاريس من خلال الحركات التكتونية التي كانت على شكل انكسارات أدت إلى تشكيل الأودية والأحواض. وتنتشر الصخور الطباشيرية وبعض المواد الرسوبية المنجرفة في بعض مناطق هذه المرتفعات، فنجد أن التربة الخصبة تنتشر فيها. وقد لعبت عوامل التعرية دوراً بارزاً في تكوين شبكة من الأودية أدت بدورها إلى عزل الجبال عن بعضها بعضاً (الشامي 1991: 32). وتعد مرتفعات نابلس ورام الله أقل ارتفاعاً من مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل، وأقل وعورة أيضاً، وهي تحتوي على عدد

أكبر من الأودية والسهول ذات القيعان المنبسطة الغنية بالتربة والمياه (النحــال 1981: 33؛ عابد 1990: 102-103؛ عبد القادر وعيوش 1995: 37).

3-2-5 مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل:

تأخذ هذه السلسلة من المرتفعات أشكالاً محدبة مرتفعة ومقعــرة بســبب الحركــات الجيولوجية، ويزيد ارتفاع الجبال في هذه المرتفعات كلما اتجهنــا جنوبــاً وتزيــد وعــورة التضاريس أيضا، وتكاد تخلو جبالها من التربة الحمــراء والغطــاء النبــاتي بســبب البنيــة الجيولوجية فيها، أما المقعرات (الأودية) في هذه المنطقة فإنها غنية بالتربة والنباتات. كما أنها ذات سطوح متدحرجة بسبب طبقات الطباشير الطرية، وتحتوي على الكثير مــن الجــروف والأخاديد بسبب عملية التصدع التي رافقت نشأة حفرة الانهدام التي لم تترك أي أراض سهلية منبسطة أو أودية (عابد 1990: 101)، ولكنها تشكل أودية صخرية جافة معظم أيــام الســنة (الدباغ 1965: 54). وقد لعبت عوامل التعرية في هذه المنطقة دوراً كبيراً في تشكيل بعض الأودية الضيقة التي تنتهي غرباً نحو البحر الأبيض المتوسط، وبعض المنحــدرات الحــادة المتكونة من الصخر الكلسي القاسي والدولميت في بعض أجزائها الأخرى (الشــامي 1991: 34-36). وتفصل بين جبال سلسلة مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل الخوانــق والكهــوف والأشكال الأرضية الوعرة، وهي ذات جروف أكثر تعقيداً مما هو موجود في مرتفعات نابلس ورام الله (عبد القادر وعيوش 1995: 36-37)، وتعد المنطقة الجنوبية لهذه السلســلة أكثــر المناطق سهولة الوصول (الشامي 1991: 34-36).

5-2-4 النقب:

يشتمل النقب بشكل عام على أشكال أرضية متنوعة من السلاسل الجبلية والمحدبات والمقعرات والهضاب الصغيرة والسهول المغلقة والمنخفضات والقيعان والأحواض، وتتميز أراضيه بالطبيعة الوعرة، وتغطي سهوله الرمال والحصباء والحصى (الدباغ 1965: 129؛ عبد القادر وعيوش 1995: 48).

حوض بئر السبع: وهو حوض مقعر كبير يمتلئ بالرسوبيات التي تشكلت في العصور الجيولوجية القديمة، وتمتاز تضاريسه بالاستواء في بعض الأحيان والتعرج أحياناً أخرى، وهو مغطى بالرمال ولا تجري في منطقته انهار عدا وادي السبع الذي يرفد المنطقة بالمياه التي ساعدت على انتشار الغطاء النباتي، إضافة إلى أن البنية الجيولوجية له تساعد على تجميع مياه الأمطار (عابد 1990: 106؛ عبد القادر وعيوش 1995: 50). ويحتوي هذا الحوض أيضاً على تلال جرداء متكونة من تركيبات المارل والصخر الطباشيري، وبعض الأحواض الواسعة التي تمتلئ بالرمال، ويمتلئ بعضها الآخر بتربة الهباء التي تساعد على الزراعة (الشامي 1991: 38).

النقب الأوسط: تكونت هذه السلسلة من المرتفعات على إثر نطاق الطي في منطقة النقب بشكل عام التي ارتفعت في زمن الأيوسين الأوسط، والتي تعرضت لعوامل التعرية من حت عميق أنتج بعض المحدبات والمقعرات. وتتميز جبال هذه المنطقة بانبساط قممها، ووجود جروف عمودية مقعرة نشأت بفعل عوامل التصدع، وترتفع سهولها على شكل هضبة تكونت بفعل الرياح، ويعد الغطاء النباتي فيها قليلاً جداً (عابد 1990: 106). وتجمع هذه المنطقة السهول والمرتفعات، إلا أن الطابع الجبلي يغلب على المشهد العام فيها، وتتكون سهولها من

صحراء الحماد الرملية الحصوية مع وجود سهول فيضية للأودية والأحواض (عبد القادر وعيوش 1995: 48).

بعد النظر في جيومورفولجيا المرتفعات الفلسطينية بشكل عام، لآبد من التعرف على أنواع التربة التي تغطي هذه المرتفعات والتي تكسو سطوحها وتلعب فيها دوراً هاماً في الزراعة وبالتالي الاستقرار.

3-5 تربة المرتفعات الفلسطينية:

تحتوي الأرض الفلسطينية على العديد من الأقاليم الطبيعية من شمال البلاد وحتى جنوبها، وقد أدى هذا التنوع الطبيعي إلى إيجاد أنواع كثيرة من التربة أثرت بدورها في إعطاء طابع مساو في أهميته للعوامل الجيولوجية والمناخية للمنطقة. ومن الجدير بالذكر أن هناك عوامل عدة لعبت دوراً بارزاً في نشأة التربة في فلسطين، منها المناخ المُعتمِد على الرياح وكميات الأمطار، وطبيعة الصخور الأم التي تنتج عنها هذه الترب، وتضاريس المنطقة والزمن الذي تحتاجه التربة حتى تتشكل، بالإضافة إلى العامل الجيولوجي ونشاطاته التي تنعكس في ظهور وزيادة التربة في بعض الأحيان (عابد 1990: 117-118؛ Hopkins 1985: 121-122). وتصنف التربة الفلسطينية إلى عدة أنواع وتفرعات بحسب المنطقة الجغرافية والطبيعة البيئية المنتشرة لها. وبشكل عام فإن من أهم أنواع التربة في المرتفعات الفلسطينية الشمالية والوسطى (مرتفعات الجليل والكرمل ونابلس ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل) ما يأتي:

التربة الحمراء Terra Rossa: وهي منتشرة في جميع مناطق المرتفعات باستثناء النقب، ومن خصائصها أن لونها أحمر يميل إلى بني فاتح، وتحتوي على كميات قليلة من

المواد العضوية، وتنشأ من الصخور الجيرية والدولميت الصلب، وتوجد بالتحديد في المناطق شديدة الانحدار وبعضها في الأودية العريضة أو السهول المحصورة، وتنشأ من عمليات غسل الصخور بمياه الأمطار بذوبان العناصر المكونة للصخور (عابد 1990: 119-121؛ Hopkins 1985: 126-128)، وتستغل هذه التربة في زراعة القمح والكرمة والزيتون واللوزيات والتفاح (عابد 1990: 122).

تربة الرندزينا Rendzina: ينتشر هذا النوع من التربة جنباً إلى جنب مع التربة الحمراء في مناطق المرتفعات الفلسطينية، ويغلب عليها اللون البني والبني الفاتح، وهي أكثر تماسكاً وأغنى بالمواد العضوية من التربة الحمراء، وتكثر في مناطق الجليل والسهول المجاورة له، وتوجد في المناطق شديدة الانحدار والهضاب وقمم الجبال التي تقطعها الأودية، وتنشأ من الصخور الجيرية الطرية وليس من الصخور الصلبة، ولا تنشأ هذه التربة من عمليات الغسل كما يحدث للتربة الحمراء (عباد 1990: 122؛ Hopkins 1985: 128-129)، وتستخدم في زراعة الزيتون والكرمة، إلا أنها اقل خصوبة من التربة الحمراء بسبب عدم قدرتها على احتجاز مياه الأمطار فيها بشكل كبير(عابد 1990: 123).

التربة البازلتية: تنشأ هذه التربة من صخور البازلت، وتوجد في مناطق الجليل الأسفل بشكل محدد، وتنشأ عن عمليات الغسيل التي تتعرض لها الصخور من المياه، وهي تربة حصوية لا تحتوي على الجير وتشبه في تركيبتها التربة الحمراء إلى حد ما (عابد 1990: 123؛ Hopkins 1985: 129)، وتستخدم في زراعة الفواكه والمحاصيل الحقلية (عابد 1990: 124).

التربة الطميّة النهرية الركامية: وهي من أنواع الترب السميكة وتتكون من تركيبة رملية طينية، وتشبه التربة الحمراء أو الرندزينا وذلك بحسب مصدرها الأصلي، وهي تحمل

صفات التربة الأصلية التي تنشأ منها، وحيث تنشأ بفعل تراكم المواد التي جلبتهـا الأوديـة والأنهار إما في السهول أو الأدوية الجبلية، وتتواجد مثل هذه التربة فـي منـاطق السـهول العريضة والسهول الطويلة، مثل سهل مرج إبن عامر وسهل البطوف فـي الجليـل (عابـد 1990: 127-128؛ Hopkins 1985: 129)، وتعد هذه التربة ممتـازة لزراعـة القمـح والشعير والفواكه والخضروات (عابد 1990: 128).

وتختلف أنواع التربة في مناطق النقب عن مناطق المرتفعات الفلسـطينية الوسـطى والشمالية، وذلك نظراً لكونها تتميز بطبيعة مناخية جافة، وتسود فيهـا الصـحراء والرمـال الصحراوية، لذلك فإن أرض النقب تتكون من ترب على النحو الآتي:

التربة الصحراوية الرمادية: تنشأ هذه التربة بفعل عمليات الحـت علـى الصـخور الجيرية، وتتجمع في مجاري الأودية أو الأماكن ذات التضاريس العادية، وهي تربـة غنيـة بالمواد الجيرية وتكون سميكة في المناطق الصحراوية في النقب وفي جنوب فلسطين بشـكل عام، وهي فقيرة بالمواد العضوية وقليلة النباتات بسبب جفافها وقلة الأمطار الساقطة عليهـا (عابد 1990: 130).

تربة الغرين: تنشأ تربة الغرين بفعل تجمع الغرين المنقول بالرياح وتراكمـه بفعـل المياه في بعض الأحيان في المناطق المنخفضة والهضاب، وهي تنتشر في مناطق بئر السبع وأواسط النقب، وتتكون بشكل أساسي من المعادن والجير والقليل من الجبص، ولونهـا بنـي فاتح وتكون مالحة في بعض الأحيان، ويمكن زراعتها بالقمح والشعير بالاعتماد علـى ميـاه الأمطار، كما يُزرع فيها بعض أنواع المحاصيل الحقلية (عابد 1990: 130-131).

تربة الحمّادة: تتواجد هذه التربة في مناطق وسط النقب وجنوبه، ومصدرها حصباء السيول والسفوح الناتجة عن تجوية الصخور وحتها، وتتكون طبقاتها وهي ليست حقيقية مـن

الحصباء الصوانية المتعاقبة والمخلوطة بالغرين والطين والرمل، وتوجد بين هـذه الطبقـات المتعاقبة لتربة الحمّادة مادة ترابية ناعمة. ومن الجدير بالـذكر أن هـذه التربـة لا تصـلح للزراعة، وتنمو فيها نباتات برية صالحة للرعي (عابد 1990: 131).

بعد التعرف على أنواع التربة التي تنتشر في المرتفعات الفلسطينية، لآبد من دراسـة عنصر من أهم العناصر التي تلعب أهم الأدوار في انتشـار الزراعـة والسـكن فـي هـذه المرتفعات، وهو المناخ والتغير المناخي الذي سنتعرف عليه في ما يلي، ونحاول فهم طبيعـة مناخ المرتفعات الفلسطينية في الفترات القديمة، والتأثير الذي يسببه المناخ فـي المرتفعـات وعلى صعيد الزراعة وانتشار الحيوانات والنباتات، بالإضافة إلى معرفة مدى تأثير التغيـر المناخي وأهمية هذه العملية في مجرى أحداث العصر الحديدي الأول.

5-4 المناخ:

إن المناخ من العناصر المهمة جداً في التأثير على البيئة لأنه يؤثر علـى الإنسـان، والحيوان والنبات والنظم الحيوية، ويلعب دوراً كبيراً في توزيع العائلات الحيوانية والنباتات على المناطق والأقاليم المختلفة من الكرة الأرضية، وهو مـرتبط بالجيولوجيـا والجغرافيـا والتضاريس والنباتات والحيوانات، ويؤثر على الإنسان أيضاً من خلال العمران والزراعـة والنقل والأمراض التي تنتشر في بعض الأحيان، وقد تأثر الإنسان كثيراً بالمناخ منـذ أقـدم العصور من خلال معرفته بوسائل الري واتجاهات الرياح وغيرها، بالإضافة إلى محاولتـه الدائمة في التكيف مع مناخ المنطقة التي يسكنها (الشواورة 2012: 53، 413).

يُعرّف المناخ على أنه العلم الذي يدرس الظواهر الجوية لفترة طويلة مـن الـزمن، تؤخذ من خلالها حالة الطقس لمدة لا تقل عن 35 عاماً، أما الطقس فهو يُعنى بدراسة الأحوال

الجوية خلال فترة قصيرة من الزمن يوماً أو أسبوعاً (موسى 2006: 71، 69؛ السامرائي 2008 أ: 22؛ 2008 ب: 27؛ الشواورة 2012: 52؛ غانم 2012: 232). وبما أن المناخ هو ما يعنينا في هذه الدراسة فلأبد من التعرف على انعكاساته وتغيراته؛ إذ يلعب المناخ دوراً هاماً في المجرى التاريخي للأحداث في أي منطقة، فالمناخ والبيئة متلازمان يؤثران على الاقتصاد وعلى كيفية معيشة الناس، ويؤثران أيضاً على ثقافة المجتمعات والعلاقات الاجتماعية (Rosen and Rosen 2001: 535-537). ولذلك فإن المناخ هو درجات الحرارة وحركة الرياح ونسبة الأمطار وغيرها، وهو علم يعنى بدراسة تأثيرات هذه العناصر على الأنماط مكانياً وزمنياً (Harding 1982: 2)؛ إذ أن الإنسان يعتمد على كثير من العناصر المناخية من مياه وغذاء حتى يبقى على قيد الحياة، ولذلك فإن المناخ يعد من أهم العناصر التي تساعد على بقاء الإنسان أو فنائه (Netser 1998: 130)، بالإضافة إلى ارتباط المناخ بالعوامل الاقتصادية وتطورها أو تأخرها وانعكاساتها على الإنسان وعلى حياته اليومية بشكل عام (Finkelstein 1995b: 31). ويمكن ملاحظة الانعكاسات المناخية على الإنسان من خلال قدرته على التكيف في البيئة التي يعيش فيها، وذلك من خلال تعديل العادات والتقاليد واختراع واستعمال أدوات للتعامل مع الظرف البيئي القائم، كشق قنوات ري، وبناء البيوت وتنظيف مناطق جديدة للسكن، وإن هذه الاستجابة مع المناخ تجعل الإنسان أكثر قدرة على التكيف والبقاء على قيد الحياة من استجابة الحيوانات أو النباتات لنفس الظروف (Dincauze 2000: 64).

أما فيما يخص التغير المناخي فيمكن تعريفه بشكل بسيط على أنه التغير إلى الجفاف أو الرطوبة في منطقة ما، الأمر الذي يسبب خلق الهجرات والحروب، ويؤدي كذلك إلى نقصان حجم الكثافة السكانية في الإقليم الذي يتغير مناخياً (Harding 1982: 2-4). ويمكن

التعرف على التغير المناخي من خلال عناصر كثيرة، منها درجات الحرارة وقياس مستوى منسوب الأنهار والبحار، ومن خلال قياس نسبة غبار الطلع Pollen في الطبقات الأثرية، وعلم الأحياء الذي يتناول دراسة الحشرات والقوارض، ومن خلال تأثير التغير المناخي على الغطاء النباتي والحيواني (Harding 1982: 7; Rosen and Rosen 2001: 537-538).

يُلاحظ أن هناك أنواعاً عدة للتغير المناخي منها النوع قصير الأمد، وهو نادراً ما يُلاحظ في التسجيل الأثري، ويضم الفيضانات والأمراض الوبائية، ومنها النوع الطويل الأمد، وهو يمتد لمئات السنين مثل الجفاف والرطوبة، ويأخذ وقتاً حتى يُلاحظ، وتكون استجابة الإنسان له بطيئة؛ إذ تكون استجابة الإنسان لمثل هذا النوع من التغير المناخي بتغيير ظروف عيشه بشكل مختلف تماما عما كانت عليه في الماضي، وانتقاله من المنطقة التي كان يقطنها، وابتكار أنماط معيشية جديدة تتناسب والوضع الجديد. ويمكن أيضاً أن تتغير أنماط سكن الإنسان بالاعتماد على العوامل المناخية، مثل توزيع مياه الأمطار، لذلك لا يمكن للإنسان فصل نفسه عن بيئته ومناخه، ولا يمكن أن يكون الاقتصاد أقوى من العوامل المناخية، لأن الإنسان يحتاج إلى بيئته المحيطة في كل ظروف حياته (Dincauze 2000: 66-68, 70-71).

تتضح أهمية التغير المناخي من خلال تأثيره على الإنسان والحيوان والنبات والبيئة التي يعيشون فيها؛ إذ يمكن أن يؤثر التغير المناخي من ارتفاع أو نقصان درجات الحرارة على الإنسان من النواحي البيولوجية بتغير ضغط الدم أو لون البشرة مثلاً، الأمر الذي يعكس ذلك على المستوى الفردي والجماعي. أما تأثيره على الحيوانات فيظهر من خلال ظهور بعض الأمراض الوبائية، ومن خلال نوع الفراء الذي يكسوها على سبيل المثال، بالإضافة إلى احتياجات الحيوانات الغذائية والمياه، فالخنزير على سبيل المثال لا يستطيع العيش في الأماكن

الجافة والحارّة، بل يفضل العيش في الأماكن الأكثر رطوبة، وذلك لحاجته إلى كميات كبيرة من المياه (Harding 1982: 4). أما تأثير التغير المناخي على النباتات فيظهر من خلال نقصان مستوى الغطاء النباتي في مواسم نقص كميات الأمطار، وزيادته في مواسم الغزارة، وما يعكسه ذلك على الإنسان والحيوان (Harding 1982: 4; Dincauze 2000: 36)، بالإضافة إلى اختفاء بعض أنواع النباتات المفيدة في فترات الجفاف.

إن هذه التأثيرات التي يسببها التغير المناخي تنعكس على حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية، لان أكثر ما يدركه الإنسان هو مفهوم الجفاف أو الرطوبة، اللذان يكون لهما تأثير طويل على حياته، فخسارة الثروة الحيوانية أو النباتية تؤدي إلى مجاعات وموت لأعداد كبيرة من الناس (Harding 1982: 4-5). أما زيادة هذه الثروة فإنها تزيد من استقرار الإنسان وتعقيد حياته الاجتماعية والاقتصادية، وما يتبعه من تأثيرات يمكن للتغير المناخي أن يُحدثها في حياة الإنسان وبيئته. ولابد من ملاحظة دور الإنسان نفسه في التأثير على البيئة والمناخ آخذين التغير المناخي، والاختلاف في الزمان والمكان بالحسبان عند الدراسة، وأخذ الحيطة والحذر عند إطلاق الأحكام على الظواهر المناخية وربطها بالظواهر الأثرية (Harding 1982: 8-10). ولابد من القول أنه يجب التعامل مع تاريخ المنطقة بحسب الظواهر التي تتغير فيها من خلال علاقة البيئة بالاقتصاد والثقافة، على الرغم من صعوبة تأريخ عمليات التغير المناخي في الفترات القديمة (Rosen and Rosen 2001: 538, 541)، ومثلا "لا يجب أن يعرف العصر الحديدي 1200-586 ق.م في فلسطين من خلال الحدث التاريخي، وإنما من خلال وقت ظهور مادة الحديد واستعمال الناس لها" (Rosen and Rosen 2001: 541) والذي هو جزء من البيئة التي تؤثر وتتأثر بالإنسان وسبل عيشه.

بعد التعرف على مفهوم المناخ والتغير المناخي وعناصره والكيفية التي يؤثر فيها على الإنسان والحيوان والنبات، لابد من الحديث عن مناخ مناطق المرتفعات الفلسطينية من أقصى الشمال وحتى أواسط النقب.

5-4-1 مناخ المرتفعات الفلسطينية:

يقسم مناخ فلسطين إلى قسمين رئيسيين هما: مناخ البحر الأبيض المتوسط والمناخ الصحراوي وذلك بسبب وقوعها في موقع جغرافي متوسط بين البحر الأبيض المتوسط في الغرب، والمناطق الصحراوية إلى الشرق والجنوب (بحيري 1974: 11؛ الشامي 1991: 8؛ Rast 1992: 22)، وهي حارة وجافة في الجنوب والشرق، ورطبة في الشمال والغرب (Danin 1995: 24)، وتقع بين المناطق الصحراوية القليلة الأمطار في الجنوب، والمناطق ذات الغزارة بالأمطار في الشمال (Ashbel 1973: 94). وتؤثر الصحراء على المنطقة خلال الصيف فيزيد الحر وترتفع درجات الحرارة، أما في الشتاء فيزيد تأثير البحر الأبيض المتوسط من حيث الرطوبة في فلسطين بشكل عام (Netser 1998: 132)، إضافة إلى أن فلسطين تحتوي على مناطق طبيعية متنوعة بالاعتماد على المناخ والجغرافيا، ومنها مناطق المرتفعات الفلسطينية والنقب (May 1981: 48).

وبالحديث عن مناطق المرتفعات الفلسطينية من الناحية المناخية، لآبد من الإشارة إلى أن هذه المنطقة تنقسم مناخياً إلى عدة مناطق منها مرتفعات الجليل، ومرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله، ومرتفعات القدس وبيت لحم والخليل، ومرتفعات النقب، وهي تختلف مناخياً عن الأراضي المنخفضة التي تحيط بها من الشرق والغرب، وذلك لأن المرتفعات الفلسطينية تختلف عنها في درجات الحرارة، والضغط الجوي، والرياح، فتقل درجات الحرارة كلما زاد

الارتفاع عن سطح البحر. إذ تنخفض درجة حرارية مئوية واحدة لكل 150 متراً بسبب عمليات تتعلق بطبقات الجو العليا والبخار وعمليات تبدل الهواء الساخن والبارد والإشعاع الشمسي ونقص أو زيادة ثقل عمود الضغط الجوي، فكلما ارتفعت الأرض نقص ثقل عمود الضغط الجوي (الشواورة 2012: 286-288)، ولعوامل تتعلق باصطدام الرياح بالسلاسل الجبلية وتجمعها والتي تؤدي إلى خلق تيارات هوائية صاعدة تصل المرتفعات (غانم 2012: 93). وفي ما يلي نتعرف على المميزات المناخية للمرتفعات الفلسطينية.

يسود منطقة المرتفعات الفلسطينية مناخ البحر الأبيض المتوسط الذي يتسم بشكل عام بالاعتدال، وهو رطب شتاءا وجاف صيفاً (عبد السلام 1990: 204؛ عبد القادر وعيوش 1995: 30). أما مناخ مناطق الجليل ومرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله فيسود فيها المناخ شبه الرطب؛ فشتاؤها رطب جداً، وربيعها شبه جاف، وصيفها جاف جداً، وخريفها شبه رطب. في حين نجد أن مناخ مناطق القدس وبيت لحم والخليل شبه جاف، إلا أن شتاءها رطب جداً، والربيع شبه جاف، أما صيفها فهو جاف جداً، وخريفها شبه جاف، أما مناخ النقب فهو يتراوح ما بين شبه صحراوي إلى صحراوي بالاتجاه جنوباً، ويكون الشتاء فيه شبه رطب، والربيع جاف، والصيف جاف جداً، أما الخريف فهو شبه جاف (عبد السلام 1990: 203-204).

2-4-5 درجات الحرارة:

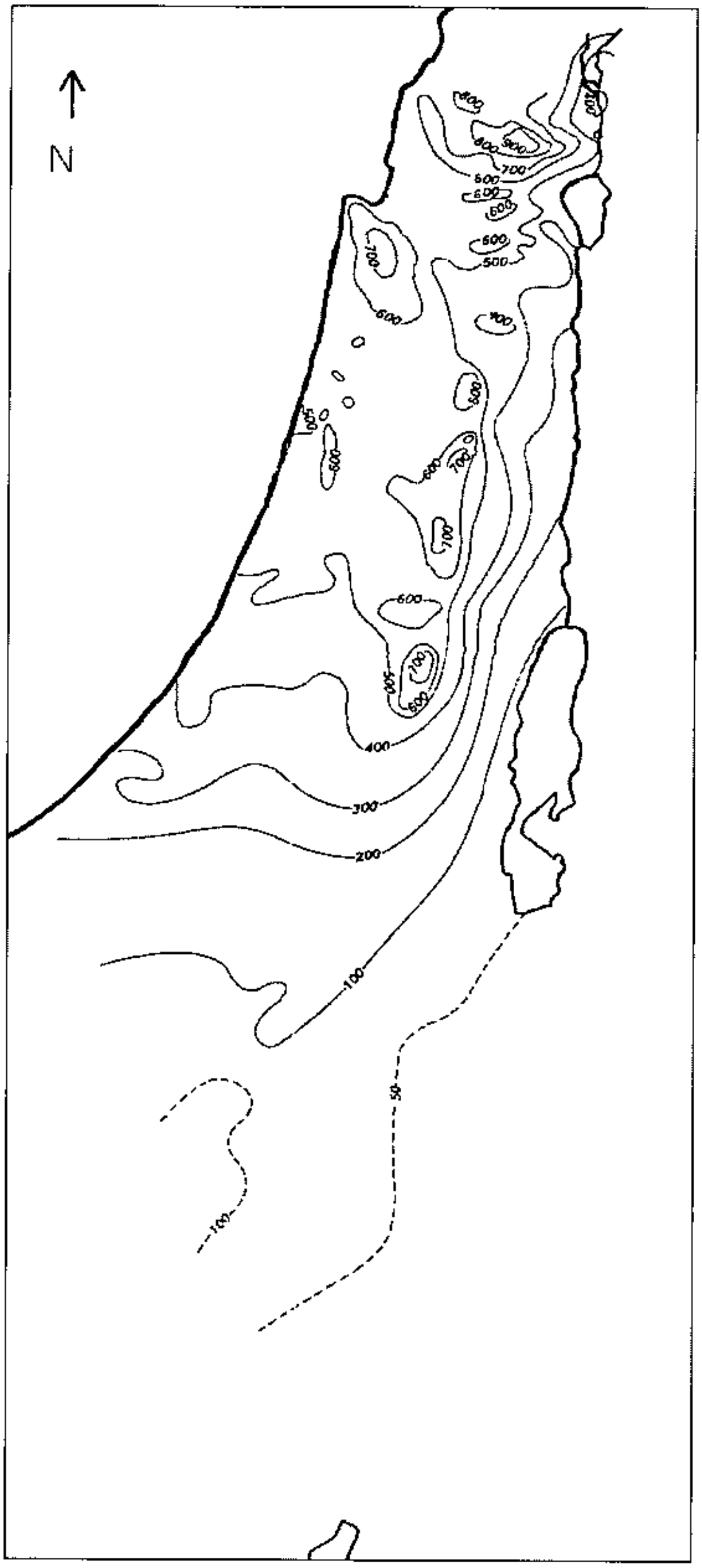
أشرنا سابقاً أن درجات الحرارة في المرتفعات الفلسطينية تقل بشكل عام عن درجات الحرارة في المناطق المنخفضة في السهل الساحلي وغور الأردن، وترتفع درجات الحرارة كلما اتجهنا جنوباً باتجاه النقب (النحال 1966: 55). وتؤثر العوامل الطبيعية من جغرافيا

وتضاريس على معدل درجات الحرارة في هذه المناطق، ويظهر التباين واضحاً بين المناطق المنخفضة والمناطق المرتفعة؛ إذ أن نسيم البحر الذي يهب على السهل الساحلي وصولاً إلى المرتفعات في الشرق يلطف أجواء المرتفعات ويسخن المناطق المنخفضة بعمليات صعود الهواء البارد ونزول الهواء الساخن، فتنخفض درجات الحرارة في المناطق التي يصلها الهواء البارد (الشامي 1991: 13؛ Ashbel 1973: 104). وهكذا فإن المعدل السنوي لدرجات الحرارة في المرتفعات الفلسطينية هو 15 درجة مئوية في الجليل، و18 درجة مئوية في الجبال الوسطى (الكرمل، ونابلس، ورام الله، والقدس، وبيت لحم، والخليل) و20 درجة مئوية في مرتفعات النقب. أما في أشد شهور السنة حرارة فتتراوح معدلات درجات الحرارة في المرتفعات ما بين 20-26 درجة مئوية، و25-30 درجة مئوية في السهل الساحلي، و28-35 درجة مئوية في الأغوار، وفي أكثر شهور السنة برودة تصل معدلات درجات الحرارة إلى 8-10 درجة مئوية في المرتفعات، و12 درجة مئوية في السهل الساحلي، و12-14 درجة مئوية في الأغوار (عبد السلام 1990: 183-184).

تؤثر درجات الحرارة في طبيعة المياه الفيزيائية، فعندما ترتفع درجات الحرارة، تحول الماء إلى حالاته الثلاث، وهي الصلبة والسائلة والغازية، ويكون تأثير الارتفاع في الحرارة من خلال ذوبان الثلوج والجليد (الحالة الصلبة) إلى الحالة السائلة، ومن الحالة السائلة إلى الحالة الغازية (البخار) (عبد السلام 1990: 182)، وبالتالي فإن ارتفاع الحرارة بشكل متزايد وملحوظ يعرض كميات كبيرة من المياه للتبخر، ولما لهذا من انعكاسات على مياه الينابيع، والمياه المخزنة في الأراضي الزراعية، وبالتالي نقص وخسارة النباتات والحيوانات وما يترتب من ذلك على الإنسان في مأكله ومشربه.

3-4-5 الأمطار:

بما أن الأمطار تكون أكثر غزارة في المناطق المرتفعة والمنحدرة والمناطق الواقعة إلى الشمال من فلسطين، فإن الجليل الأعلى والأسفل هي أكثر المناطق غزارة بالأمطار في المرتفعات الفلسطينية وذلك لوقوعها شمال تلك المرتفعات، أما مناطق الكرمل ونابلس ورام الله فهي أقل أمطاراً بسبب وقوعها إلى الجهة الجنوبية المحاذية لمرتفعات القدس وبيت لحم والخليل والتي تقل فيها نسبة الأمطار كلما اتجهنا جنوباً واشتداد المناخ الصحراوي في النقب (عبد السلام 1990: 196؛ الشامي 1991: 22-23؛ عبد القادر وعيوش 1995: 30). ومن الجدير بالذكر أن مناطق الجليل تستقبل سنوياً نسبة أمطار تتراوح بين 700 - 900 ملم (Ashbel 1973: 102)، وتقدر نسبة الأمطار السنوية في مرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله بحوالي 600 ملم، ومثل هذه الكمية تستقبلها مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل. أما في السفوح الغربية لهذه المرتفعات فتصل نسبة الأمطار إلى 400 ملم سنوياً، وحوالي 200 ملم في المناطق الشرقية المحاذية لغور الأردن، ويستقبل شمال النقب (حوض بئر السبع) من حوالي 200 إلى 300 ملم سنوياً، و 200 ملم تقريباً في النقب الأوسط (عبد القادر وعيوش 1995: 30، 49-50). وتوضح الخريطة رقم (2) التوزيع الكنتوري لنسبة الأمطار بالمليمتر التي هطلت على فلسطين بين الأعوام 1921 و1960 م. وبشكل عام، فإن مجموع الأيام المطيرة في الجليل تصل إلى 80 يوماً، أما في مرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله فيصل عدد الأيام المطيرة فيها إلى 70 يوماً، وفي مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل إلى 55 يوماً، وحوالي 10 أيام مطيرة في النقب (الشامي 1991: 22-23؛ Blanchard and du Buit 1966: 22-23). يتضح مما سبق أن المناطق الشمالية تستقبل كميات أكبر من المياه، مما ينعكس إيجاباً على الغطاء النباتي والحيواني وغزارة العيون والينابيع.



الخريطة رقم (2) توضح التوزيع الكنتوري لنسبة الأمطار بالمليمتر التي هطلت على فلسطين بين الأعوام 1921 و1960م (عن Ashbel 1973: 102)."الخريطة بدون مقياس رسم".

5-4-4 الرياح:

تهب على فلسطين بشكل عام الرياح التجارية الشمالية والشمالية الشرقية في الصيف، مما يجعلها جافة في هذا الوقت من السنة، أما في الشتاء فتهب عليها رياح عكسية من الجهة الغربية تجعلها أكثر برودة، ويؤدي ذلك في الشتاء إلى زيادة الأمطار في السهل الساحلي والمرتفعات (النحال 1966: 56). وكما أسلفنا فإن نسيم البحر القادم من الغرب يلطف أجواء المرتفعات الفلسطينية في فصل الصيف في أوقات ذروة الحر، ويساعد بالتالي في خفض درجات الحرارة المناطق المرتفعة (عبد السلام 1990: 184؛ Ashbel 1973: 105-106).

5-4-5 العيون والينابيع:

يعتمد سكان الأراضي الفلسطينية على العيون والينابيع الطبيعية التي تنتشر في مناطق واسعة من فلسطين، وتُسهم هذه العيون والينابيع في تأمين الحياة لهم في جميع فصول السنة، وهي بالغة الأهمية في فصل الصيف الجاف الذي لا تتساقط فيه الأمطار، فهي بمثابة عصب الحياة للإنسان والحيوان والنبات. وتتشكل العيون والينابيع من الأمطار التي تهطل في فصل الشتاء وتتجمع في مناطق محددة، ومنها تنبع وتظهر على سطح الأرض. وللعوامل الجيولوجية أثر كبير في ظهور العيون والينابيع فطبيعة الصخور المنتشرة في المرتفعات تساعد على ظهور هذه العيون والينابيع، وخاصة الصخور الكلسية والدولمتية التي تتمتع بصفة النفاذية التي تساعد بالتالي على امتصاص مياه الأمطار الغزيرة في المرتفعات. وتحتجز الصخور الكتيمة وغير القابلة للرشح هذه المياه فتختزنها في باطن الأرض بين الصخور العليا النافذة، والصخور السفلية الكتيمة مما يؤدي إلى تدفق المياه بحسب درجات الانحدار (عبد السلام 1990: 207-209). وللظروف المناخية أثر في ظهور العيون والينابيع

وذلك في التأثير في مدى تدفق العيون والينابيع واختلاف حجم المياه المتجمعة في جوف الأرض خلال شهور السنة المختلفة وفي حجم التصريف المائي لها (الشواورة 2012: 415).

وتنتشر العيون والينابيع في المناطق الشمالية للمرتفعات في الجليل، وفي مرتفعات وسط فلسطين، ويقل عددها في مناطق النقب بسبب قلة الأمطار هناك وخضوعها للمناخ الجاف، وشبه الجاف مما يقلل من مياهها الجوفية. وبشكل عام فإن عدد العيون والينابيع في المرتفعات الفلسطينية تتوزع هذه الأيام كالآتي: في الجليل الأعلى والأسفل توجد 281 عيناً ونبعاً، والكرمل 150 عيناً ونبعاً، وفي نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل يوجد 280 عيناً ونبعاً، أما في النقب فيصل عددها إلى 10 (عبد السلام 1990: 207-209).

5-4-6 الجفاف:

هو عملية انقطاع الأمطار عن الهطول لمدة طويلة بسبب ارتفاع درجات الحرارة أو نقصه بشكل كبير جداً وملحوظ، فانقطاع الأمطار أو نقصانها يسبب تراجع مياه العيون والينابيع والبحيرات والأنهار، ويؤدي إلى تبخر كميات كبيرة من المياه الناجمة عن المطر والمنقطع بطبيعة الحال، وبالتالي قلة الزراعة المروية والبعلية، وخلق صعوبات أمام الناس الذين يعيشون في منطقة معينة، ولقد تعرضت فلسطين لفترات من الجفاف أدى إلى نقصان المياه، وزاد من معاناة الناس فيها مما دفع بهم إلى النزوح (عبد السلام 1990: 201-202؛ الشواورة 2012: 196) في بعض الأحيان. ويمكن أن يترافق الجفاف مع التغير المناخي الذي قد يتغير إلى الأحوال الرطبة، أو إلى الأحوال الجافة، وما للجفاف من مدلولات وانعكاسات على الإنسان والحيوان والنبات.

5-4-7 أحوال المرتفعات الفلسطينية المناخية في العصر الحديدي:

إن عملية بناء وتصور الظروف المناخية في العصور القديمة لمن الأمور الصعبة، والتي تحتاج إلى دراسة جيولوجيا مستويات البحيرات والأنهار، ودراسة نسب غبار الطلع كما أسلفنا، وبالحديث عن مناخ العصر الحديدي الأول والعصر البرونزي المتأخر الثاني، فإن الباحثين في هذا الحقل وفي محاولة منهم إلى إعادة بناء الظروف المناخية القديمة ومنها المناخ، وضعوا تصوراً للظروف المناخية في الأراضي الفلسطينية وغيرها من مناطق بلاد الشام القديمة ووادي النيل ووادي الرافدين ومناطق بحر إيجة معتمدين على عناصر مناخية ومصادر كتابية مختلفة. فمنهم من اعتمد على ما روي في العهد القديم (سفر يَشُوعَ) الذي أشار إلى أن المرتفعات الفلسطينية كانت غنية بالغطاء النباتي في العصر الحديدي الأول (Borowski 1987: 15)، ويدل ذلك على أن المناطق الفلسطينية كانت تتمتع بمناخ رطب يسمح للغطاء النباتي بالنمو والوفرة. ومنهم من اعتبر أن هذه الفترة هي فترة رطوبة وبرد في مناطق بلاد الشام، وذلك بالاعتماد على دراسة البراكين في مناطق مختلفة من العالم، وتغير المناخ المستمر في هذه المناطق، مما أثر على منطقة بلاد الشام في جعلها أكثر رطوبة في الفترات التي خلت من ثوران البراكين مقارنة مع مناطق أخرى، مثل جنوب روسيا حيث كانت الأجواء أكثر برودة (Issar and Zohar 2007: 166-167). وقد اعتمد Finkelstein على نتائج جود فريند Goodfreind وفرومكن Frumkin اللذين درسا الكهوف الملحية جنوب البحر الميت (اصدم) في الاعتقاد بأن المناخ في بداية العصر الحديدي الأول كان رطباً (Finkelstein 1995b: 33)، وهناك بعض العلماء يعتقدون بأن تلك الفترة كانت فترة جفاف في مناطق البحر الميت والمناطق المحيطة (Rambeau 2010: 5241; Rambeau and Black 2011: 101). ويشير ديفيد هوبكنز David Hopkins إلى أن

مناخ المرتفعات الفلسطينية بشكل خاص وبلاد الشام بشكل عام في العصر الحديدي الأول كان مشابهاً جداً لمناخ هذه الأيام، واعتمد في ذلك على قراءات لبعض الباحثين الذين يؤكدون ذلك، إلا انه عبر عن الصعوبة في الوصول إلى نتيجة مطلقة في هذا الحكـــم (Hopkins 1985: 107).

يؤكد بعض الباحثين والدارسين لعلم المناخ أن منطقة بلاد الشام القديمة ومناطق بحر إيجة ووادي النيل ووادي الفرات قد تعرضت لفترة من التغير المناخي في العصر البرونـــزي المتأخر والعصر الحديدي الأول، ومنهم من يرجح ذلك، وقد تُرجم هذا التغير فـــي خضـــوع المنطقة (أي منطقة الشرق الأدنى القديم) إلى موجة من الجفاف وارتفاع درجـــات الحـــرارة. وأكد معظم هؤلاء الباحثين الجفاف من خلال دراسة مستوى البحيرات ومنسوب الميـــاه فـــي الأنهار الكبيرة، مثل دجلة والفرات، ودراسة كميات غبار الطلع التي تـــدل علـــى وفـــرة أو نقصان الغطاء النباتي في هذه المناطق، إضافة إلى اعتقاد بعضـــهم إلـــى أن ســـبب انهيـــار الحضارات في منطقة بحر إيجة وبعض المناطق الأخرى، كالحضارة الحثية يعود إلى التغير المناخي نحو الجفاف. أكد ذلك، وحسب رأي هؤلاء الباحثين، ما ذكر في الكتابات المصـــرية والحثية القديمة، ومراسلات بعض المسؤولين عن هذه المناطق بعضهم مع بعـــض وتبـــادل المعونة في ظل الظروف القاسية التي مرت بها البلاد (Nützel 1976: 21; Bryson and Padoch 1981: 14-15; Bintliff 1982: 147, 149-150; Harding 1982: 5; Lemche 1985: 422-423; Neumann and Parpola 1987: 177; Thompson 1992: 215, 407; Bottema 1997: 505; Netser 1998: 135; Robbins 2001: 197-198; Rosen and Rosen 2001: 542; Killebrew 2005: 171; Dickinson 2010: 489) وقد أشار أدم زرطال Adam Zertal إلى حدوث جفاف في منـــاطق شـــمال

نابلس، وفي المنطقة بشكل عام من خلال الجفاف الذي أصاب الينابيع خلال العصر البرونزي المتأخر (Zertal 1993: 1312).

يتضح مما سبق أن الأراضي الفلسطينية قد تعرضت لفترة مـن الجفـاف وارتفـاع درجات الحرارة في نهاية العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي الأول. ومن خلال مـا ذكرناه سابقاً حول التغير المناخي للمناخ الجاف بشكل خاص فإن مثل هذه الظـروف تلقـي بظلالها على الإنسان والحيوان والنبات. إذ من هنا يتضح تعقيد المشهد في فلسـطين بسـبب التنوع المناخي والطبيعي فيها؛ إذ تختلف المرتفعات عن السهل الساحلي وعن غـور الأردن والنقب. فإذا تصورنا مفهوم الجفاف لفترات طويلة على هذه الأرض لآبد من العودة إلى مـا تناولناه من خصائص مناخية لكل من هذه الأقاليم، والأخذ بعين الاعتبار الظروف الأصـلية والمستقرة للمناخ، وتصور نفس المناطق في فترات الجفاف، بالإضافة إلى النظر في المعاني الحقيقية التي يسببها الجفاف في توزيع البشر. فإذا كانت طبيعة النقب علـى سـبيل المثـال صحراوية جافة أو شبه صحراوية في الظروف الطبيعية، فلآبد أن يسوء حال هذه المنطقة في فترة الجفاف، ولآبد من اعتبارها أرضاً هامشية يصعب العيش فيها. أما بالنظر إلـى شـمال أراضي النقب أي إلى مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل، فإن الجفاف سيكون أقل عما هـو عليه في النقب، وهكذا بالنسبة لمرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله وشمالها الجليـل، إذ كلمـا اتجهنا شمالاً قل تأثير الجفاف على المنطقة. يجب على الإنسان أن يختار سبل عيش جديدة أو يعود لسبل عيش قديمة حتى يتكيف مع الأوضاع الجديدة التي تواجهه وتفرضه الطبيعة عليه، ولذلك سنناقش الزراعة والنبات والحيوان وسبل العيش في ظل ظروف الجفاف في المرتفعات الفلسطينية.

5-5 الزراعة:

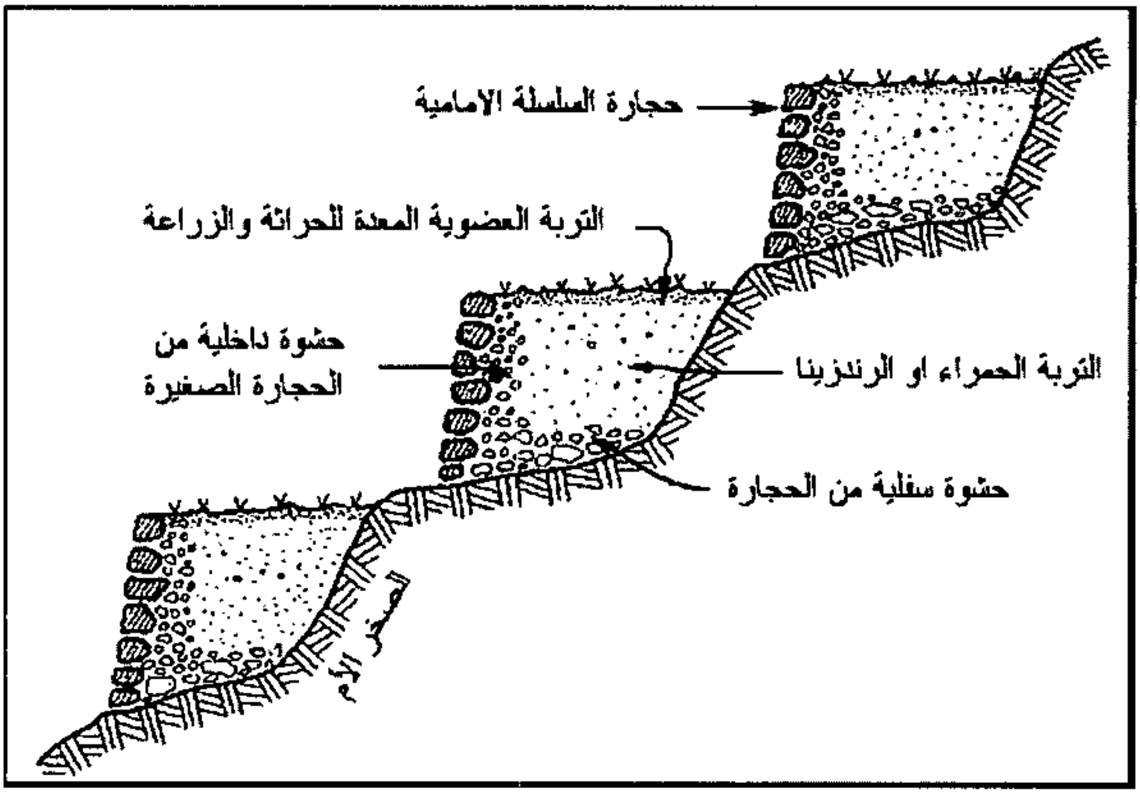
تُعَرف الزراعة على أنها عملية تحضير الأرض والتربة لزراعة النباتات وإنتاج الغذاء، بالإضافة إلى شمولها على تربية الحيوانات والعمل الزراعي، وهي تضم أيضاً الأدوات والمنشآت التي ترافق العمليات الزراعية (Borowski 2008: 95). وتلعب الجغرافيا دوراً مهماً في تحديد الخصائص المكانية والتي على أساسها يتم فهم الظروف المناخية للمنطقة الجغرافية (الشمري 2011: 13). ويحدد المناخ نوعية النبات الذي ينمو في أي منطقة، ويعتمد ذلك على الحرارة والأمطار، فالحرارة هي العامل الذي يحدد الأنواع النباتية، والأمطار تحدد التوزيع الفصلي للمزروعات بالإضافة إلى أن التغير المناخي وعناصره تؤدي إلى إحداث تغيير في النباتات مثل الصقيع والبرد (الشواورة 2012: 429؛ Hopkins 1985: 32)، والجفاف بطبيعة الحال. إضافة إلى أن مناخ الأراضي الفلسطينية متنوع ويحدد نوع النباتات التي تزرع (Rast 1992: 25). وبالحديث عن الزراعة والمحاصيل الزراعية في العصر الحديدي الأول لآبد من تناول أنواع المحاصيل الزراعية التي زرعها الإنسان في ذلك الوقت، والتي دلت عليها الشواهد الأثرية، بالإضافة إلى الحديث عن بعض المنشآت التي ترافق عملية الزراعة.

وجد في معظم مواقع العصر الحديدي الأول التي تم التنقيب فيها من قبل الآثاريين، في المرتفعات الفلسطينية بقايا قمح وشعير بكثرة، وبعض البقوليات مثل الحمص والفول بكميات أقل، أما بالنسبة للأشجار المثمرة فكان أهمها أشجار الزيتون والكرمة واللوز والرمان والأجاص البري. هذا إضافة إلى الأشجار البرية التي زودت السكان بالأخشاب لطهي الطعام، والتدفئة، وشيّ الفخار، وصهر المعادن، واستُخدمت سيقان الأشجار كأعمدة للبيوت (Borowski 1987: 163; Rosen 1994: 342-343). وقد دلت الحفريات الأثرية أيضاً

على أن الحبوب كان لها الأولوية في سبل عيش سكان المرتفعات الفلسطينية، دل عليه كميات الشفرات الصوانية المكتشفة، والمطاحن وحجارة الدق، وقد كانت الحبوب تطحن وتخزن في مستودعات تخزين أسطوانية الشكل (Silos) (Rosen 1994: 343, 345)، والتي اعتبرت لدى بعض العلماء كاختراع جديد خلال العصر الحديدي (Thompson 1992: 145)، إلا أن ظهورها في فلسطين بشكل عام يؤرخ إلى الفترة الناطوفية (Perrot 1960: 2)، ومن ثم يتم معالجة هذه الحبوب لأغراض الغذاء. وقد أخذت الحبوب هذه الأهمية لأنه لم يتم العثور على منشآت وأدوات لمعالجة وصناعة الزيت ومنتجات الكرمة، وذلك أن الأشجار المثمرة تحتاج إلى جهد أكبر حتى تنمو، إضافة إلى أن الحبوب في أوقات الجفاف تكون خسائرها أقل من الأشجار المثمرة لأن السكان يسمحون لمواشيهم برعي المحاصيل في حالة أصيبت بالجفاف وفشل الموسم الزراعي قبل موعد الحصاد (Rosen 1994: 343, 345). ومن هنا ربما كان تركيز سكان المرتفعات على زراعة الحبوب أكثر من زراعة الأشجار المثمرة.

وإذا كانت المنطقة قد تعرضت لفترة من الجفاف فلآبد من استخدام طرق معينة للزراعة، مثل الاعتماد على مياه الأمطار للزراعة البعلية، والزراعة المروية وذلك بتجميع المياه في صهاريج محفورة في الأرض لتستخدم في الشرب وسقي الحيوانات وري المزروعات بمختلف أنواعها (Borowski 1987: 18). هذا بالإضافة إلى ممارسة الزراعة البعلية Dry Farming والصهاريج المقصورة وغير المقصورة التي اعتمد عليها السكان في العيش والتي تكون عادة قريبة من أماكن سكناهم (Callaway 1985a: 39). وقد اعتبر بعض علماء الآثار أن هذه الصهاريج كاختراع جديد ظهر في العصر الحديدي الأول في المرتفعات الفلسطينية حصراً (Albright 1949: 113; Thompson 1992: 144)، على الرغم من أن هذه الصهاريج استخدمت في فترات سبقت العصر الحديدي الأول وكانت

موجودة في العصر البرونزي المبكر والمتوسط (Hopkins 1985: 186; Gibson 2001: 119; Golden 2009: 94). ويشير Hopkins إلى أن هذه الصهاريج لم تساعد في الزراعة بسبب قربها من البيوت، إلا أن صهاريج المياه والسلاسل الحجرية مكنت السكان من العيش في هذه المنطقة وعملت على إحداث توازن ونظام زراعي لدى هؤلاء السكان (1985: 187) الذين أخذوا هذا النظام من أسلافهم (Borowski 1987: 163). وبما أن السلاسل الحجرية من الوسائل المهمة التي مكنت سكان المرتفعات الفلسطينية من ممارسة الزراعة البعلية والعيش هناك (Hopkins 1985: 23; Borowski 1987: 15-17, 163-164) فقد أشار Hopkins إلى أن السلاسل الحجرية كانت تحافظ على المياه وتزيد من التحكم فيها في أوقات الجفاف، وتعبر هذه السلاسل عن عملية تكيف الإنسان مع بيئة المرتفعات الفلسطينية منذ أقدم العصور وذلك للسكن والزراعة في المنحدرات. كما ساعدت هذه السلاسل سكان المرتفعات على حراثة الأرض بالحيوانات، وحماية التربة من الانجراف والاستفادة من التربة المنجرفة من المناطق الأعلى. ويتطلب بناء السلاسل الحجرية أيدي عاملة مما يدل على وجود نظام اجتماعي قائم، وكنتيجة لذلك فإن تركيز السكان على الزراعة ومدلول الزراعة على التنظيم الاجتماعي يزيد من توازن المجتمع وقدرته على إنتاج غذائه (Hopkins 1985: 173-175, 178-179, 186). ويوضح الشكل رقم (1) السلاسل الحجرية ومكوناتها الإنشائية.



الشكل رقم (1) السلاسل الحجرية الزراعية ومكوناتها الإنشائية (عن Gibson 2001: Fig.4.1. Pp.114)

وقد كانت السلاسل الحجرية في تلك الفترة متركزة حول المواقع السكنية، مما يدل على أن الزراعة كانت تمارس في الموقع السكني وما حوله، كما هو الحال في موقع تل التل (Callaway 1985a: 40-41). ويضيف Callaway أن سكان المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول جاءوا من المناطق المنخفضة، وأنهم مزارعون هربوا من العنف والصراعات التي كانت قائمة في تلك المناطق، وفور وصولهم إلى المرتفعات بدأوا بتطوير السلاسل الحجرية وصهاريج المياه حتى يتمكنوا من العيش في تلك المرتفعات (1985b: 75-76). وهكذا فقد حملوا معهم الأنماط الثقافية والتي تتضمن معرفتهم ببناء السلاسل الحجرية ومن ثم إدخالها كنمط حياة جديد لديهم (Callaway 1985a: 33). ويعتقد Finkelstein أن أصل الجماعات التي قامت ببناء السلاسل الحجرية بدوي رعوي وليس زراعياً (1985: 81)،

ويشير بذلك إلى أن السكن في المرتفعات كان صعباً أو مستحيلاً لولا استعمال السلاسل الحجرية التي بنيت في فترات أقدم من العصر الحديدي الأول في اعتقاده، وكان يستعملها الناس ويعرفونها، واستطاع هؤلاء البدو الرعاة بناءها حتى يستقروا في المرتفعات (Finkelstein 1988: 202). وهناك من يعتقد أن السلاسل الحجرية قد ظهرت في العصر الحديدي الأول، وأن هذه السلاسل قد بنيت بعد تنظيف الأرض من الأشجار ليتبعها عملية السكن والاستقرار (de Geus: 1975: 69-70). وهذا يعني أن السلاسل الحجرية كانت اختراعاً في العصر الحديدي الأول من قبل القادمين الجدد. إلا أن دي غيوس De Geus قد ذكر في عام 2003م أن هذه السلاسل تعود إلى فترات أقدم من العصر الحديدي الأول (2003 :163)، وهناك أيضاً من يعتقد أن السلاسل الحجرية قد انتشرت في العصر الحديدي الأول بشكل واسع، وكانت من الدلائل على نمط السكن الجديد، ويُرجع سبب ظهورها إلى فلاحي المناطق المنخفضة الذين هاجروا بسبب انهيار نظام دول المدن فيها بسبب الثورة الاجتماعية هناك، وبالتالي فإن السلاسل الحجرية قد ترجمت عملية التكيف مع البيئة الجديدة (Marfoe 1979: 32-33). أما غوستا الستروم Gösta Ahlström فيعتقد أن السكان الجدد قد أدخلوا السلاسل الحجرية إلى مناطق المرتفعات الفلسطينية، وأنهم أنفسهم المسؤولون عن تطوير هذه التقنية الزراعية الجديدة، والتي تعكس معرفتهم بطرق وتقنيات بناء السلاسل الحجرية، مما يدل على أصولهم الزراعية، وأنهم لم يكونوا بدواً رعاة (Ahlström 1982: 133-134). ولذلك فهو يعتقد أن سكان المرتفعات من أصل زراعي من المناطق المنخفضة، هاجروا بسبب الحرب والضغط الذي كانت تمارسه السلطات المصرية عليهم، فكان تطوير السلاسل الحجرية برأيه من اجل التكيف مع البيئة الجديدة بطريقة فطرية غير معقدة (Ahlström 1986: 19).

أما توماس تومسون Thomas Thompson فيعتبر أن السلاسل الحجرية كانت أكبر تطوير توصل إليه السكان الجدد في هذه المنطقــة (Thompson 1992:145, 408). أمــا شمعون غبسون Shimon Gibson فيؤرخ السلاسل الحجرية إلى العصر البرونزي المبكــر والمتوسط، ويعتبر أن قلة وجود السلاسل الحجرية في هذه الفترات يعود في واقع الأمر إلــى إعادة استخدام حجارتها في العصر الحديدي الأول الذي أدى إلى اختفائها في الفترات الأقدم. وأن سبب قلتها في العصر الحديدي وبخاصة بالقرب من العيون والينابيع يعود إلى اســتخدام نفس الحجارة في الفترات الرومانية والبيزنطية، بالإضافة إلى أن كثيراً من المواقع الأثرية لم تُنقب بشكل دقيق حتى يتم تحري موضوع قربها أو بعدها عن مصادر المياه. ويؤكد Gibson أن السكان الذين استعملوا هذه السلاسل هم من أصول زراعية، استعملوها من أجل الزراعة، وأنها تعكس تكيف الإنسان مع البيئة وأنها ليست اختراعاً جديداً توصل إليه السكان في العصر الحديدي الأول، وذلك لوجودها في فترات أقــدم (Gibson 2001: 122-123, 126-127, 140).

من هنا يمكننا القول أن السلاسل الحجرية وصــهاريج الميــاه المقصــورة وغيــر المقصورة استُخدمت في فترات أقدم من العصر الحديدي مما يقودنا إلى الافتــراض أن هــذه المنشآت الزراعية قد كثرت ربما في العصر الحديدي الأول بالقرب مــن العيــون والينــابيع كوسائل تساعد السكان على التكيف مع البيئة، وعلى الزراعة، وعلى توفير سبل عيشهم، لذلك يعتقد الباحث أن السلاسل الحجرية والصهاريج كانت وسيلة استخدمها الإنســان الفلســطيني وغيره عبر العصور وحتى يومنا هذا. لكنها كانت أكثر ضرورية له في العصــر الحديــدي الأول لأنها أفادته في فترات الجفاف التي شهدتها هذه المنطقة، فبالسلاسل الحجرية يمكن لــه أن يتحكم في كميات المياه، ومساحة الأرض التي يزرعهــا، وحتــى يســتطيع أن يــروي

مزروعاته، وربما كان يروي هذه المزروعات من خلال صهاريج المياه في المواقع السكنية، ويرويها من العيون والينابيع في المناطق البعيدة. إلا أن المهم هو أن هذا الإنسان عندما شعر بنقص في المياه دفعه ذلك إلى السيطرة على موارده المائية والزراعية عن طريـق زراعـة الأرض المنحدرة على شكل سلاسل، ويرويها من مياه الصهاريج والآبار والعيون والينـابيع في أوقات الجفاف حتى يومنا هذا.

5-6: النباتات:

تتوزع النباتات على الأراضي الفلسطينية بحسب طبيعة المناخ فيها المتنوع بين المناخ الرطب في الشمال، والمناخ الجاف الصحراوي في الجنوب، وإن نوعية التربة لكـل منطقـة تلعب دوراً مهماً في توزيع أنواع النباتات. وإضافة إلى نشاطات الإنسان عبر التاريخ، والتي أدت إلى اختفاء بعض أنواع النباتات، وظهور أنواع أخرى ليست أصلاً مـن نباتـات هـذا الإقليم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حساسية النباتات للمناخ وتغيراته. وتنتشر بشكل عام النباتات دائمة الخضرة مثل أشجار الزيتون والأشجار الحرجية في المناطق الأكثر رطوبة كالجليل، أما الشجيرات Shrubs فتنتشر في مناطق نابلس ورام الله ومرتفعات القدس وبيـت لحم والخليل، أما أشباه الشجيرات Semi-Shrubs فتنتشر في المناطق الأقل رطوبـة إلـى الشرق من مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل (البرية الشرقية) ومناطق شمال وأواسط النقب. وقد زودت المناطق الأقل رطوبة الناس بمصدر لرعي المواشـي، أمـا المنـاطق الشـمالية والوسطى من المرتفعات الفلسطينية فإنها تزودهم بالموارد الغذائية النباتية المتنوعة عن طريق الزراعة (Danin 1995: 24, 26,).

5-7 الحيوانات:

اعتمد الإنسان في العصر الحديدي الأول سواء كان رعوياً أم فلاحاً في سبل عيشه على الحيوانات المدجنة وغير المدجنة، وقد انتشرت في العصرين البرونزي والحديدي أنواع من الحيوانات، مثل الماعز والأغنام والأبقار والجمال والخيول والحمير، وقد اتصفت نوعية تربية الحيوانات في هذه الفترات بأنها تربية من أجل تأمين سبل العيش وليست من أجل التجارة، وذلك بسبب عدم وجود دلائل على تخصص في تربية نوع معين من الحيوانات (Sasson 2010: 1-2, 119-120). وقد ظهرت في بعض مواقع العصر الحديدي في المرتفعات الفلسطينية بقايا عظمية كثيرة للأبقار والحمير التي استعملت في التنقل وحمل الأثقال والتي ربطت بها عملية صناعة الجرار الفخارية ذات الطوق Collared-Rim Jar كوسيلة لحملها (Rosen 1994: 339-341) والتي يعود ظهورها إلى العصر البرونزي المتوسط وهي منتشرة في كثير من مواقع جنوبي بلاد الشام (إبراهيم 1990: 117 ;Finkelstein 1995a: 359)، بالإضافة إلى وجود الماعز والأغنام والتي انتشرت بشكل كبير جداً في تلك الفترة لأنها تستطيع العيش في ظروف المرتفعات الفلسطينية البيئية، وقد اعتمد الناس على الصيد أيضاً في تلك الفترة ولكن بدور ثانوي، ويربط اعتماد الناس على الحبوب في تلك الفترة بالأبقار التي يُعتقد أنها كانت تساعد الناس في حراثة الأرض بسبب قوتها وقدرتها على جر المحراث بالإضافة إلى الاستفادة من لحومها وحليبها (Rosen 1994: 343-344).

بعد التعرف على أنواع الحيوانات التي انتشرت في المرتفعات الفلسطينية، لآبد من الإشارة إلى أن المناخ يلعب دوراً في توزيع الحيوانات ومناطق عيشها، فالتغير المناخي يمكن أن يؤدي إلى هجرة بعض الحيوانات. ومن الجدير بالذكر أن الناس في كل منطقة يستفيدون

من الحيوانات من خلال نمط معيشتهم، ففي المناطق الرطبة مثلا يمكن للإنسان أن يستغل الحيوانات في الزراعة، أما في المناطق الصحراوية فيمكن للإنسان أن يمارس الرعي، فتشكل الحيوانات جزءاً مهما في سبل عيش الإنسان في مختلف المناطق البيئية. وتنعكس الظروف المناخية والبيئية على حجم وإنتاج الحيوانات التي يربيها الإنسان (الشواورة 2012: 418-420) وقد تنقرض بعض الحيوانات في ظروف بيئية معينة، كالخنزير، كما أشرنا سابقاً.

بعد التعرف على البيئة في المرتفعات الفلسطينية، وعناصرها الجيولوجية والجيومروفلوجية، والمناخ وعناصره، وكيف كانت الانعكاسات البيئية على الإنسان في العصر الحديدي الأول، يمكن القول أن البيئة والمناخ رطباً أو جافاً لعب وما زال يلعب الدور الأساسي في حياة المجتمعات الإنسانية والمجموعات الحيوانية والنباتية، ويفرض على الإنسان طريقة وسبل عيشه واقتصاده، الذي يجب أن يستجيب لهذه البيئة ويتعامل ومعها ويتكيف مع ظروفها، ويفهم هذه العلاقة المتينة بينه وبينها. ومع افتراضنا الظروف الجافة التي أصابت فلسطين في نهاية العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، لابد لنا من التعرف على مفهوم السكن وطرقه وأشكاله وشروطه وهذا ما يناقشه الفصل التالي.

الفصل السادس

مفهوم السكن والاستيطان

مقدمة:

بعد التعرف على بيئة المرتفعات الفلسطينية والعوامل التي خضعت لها هذه المنطقة والتي ساهمت في رسم ملامحها، وبعد النظر إلى العوامل التي لعبت دوراً هاماً في تشكيل نمط معيشة الإنسان والحيوان والنبات على حد سواء، وسبل عيشهم والطرق والأساليب التي مارسها الإنسان في هذه المنطقة، لآبد من التعرف الآن على عنصر مهم رافق وجود الإنسان في جميع أنحاء العالم وعلى مر العصور، ألا وهو السكن الذي تعددت أنماطه عبر الزمان والمكان تبعاً للظروف البيئية أو الاقتصادية وحتى الاجتماعية. وقد كان لهذه الظروف دور في توزيع السكان على الأرض من خلال أنماط معينة. وسنتعرف فيما يلي على مفهوم السكن والاستيطان وأنماطه وعناصر دراسته والمؤثرات التي تحدد ذلك.

6-1 مفهوم السكن والاستيطان:

يعني مفهوم السكن والاستيطان إقامة مجموعة بشرية معاً في مسكن واحد أو عدة مساكن مجتمعة يميزها التعاون في الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى وجود منشآت تعينهم على سبل عيشهم (المطري 1990: 13). هذا بالإضافة إلى توزيع هذه المجموعات على مواقع سكنية متنوعة، مثل المخيمات والقرى الصغيرة والقرى الكبيرة والبلدات والمدن التي تشكل مجتمعة شكل المجتمع وتنظيمه. ويعني سكن الإنسان أو استيطانه في موقع معين أو منطقة معينة في بيئة معينة تكيفه وقبوله لها، وينتج عن ذلك التكيف ارتباط بينه وبين هذه المنطقة، وبالتالي قيام علاقات اجتماعية بين السكان وتطور اقتصادهم وسبل عيشهم (محمد 1982: 19).

أما مفهوم الاستيطان في علم الآثار فهو دراسة علاقات المجتمع مع البيئة ومع الموقع أو مجموعة المواقع التي يعيش فيها من خلال استقراء البقايا الأثرية ومعرفة تـأثير البيئـة عليها، وكيفية تكيفه مع تلك البيئة من خلال استخدام تقنيات معينة في معيشته تدل على تكيفه ومجموعته، وهو بالتالي عملية السكن في مكان يضمن للسكان سبل عيشهم حيث يسـتطيعون ممارسة وظائفهم الاجتماعية (Tringham 1972: XX-XXI).

ويتضمن مفهوم السكن أشكالاً كثيرة تتنوع بحسب طبيعة الحياة الاقتصادية والبيئيـة، فالبدو مثلا يعيشون في خيام، أما الفلاحون والمزارعون فيعيشون في بيوت ومنشآت مبنية من الحجارة أو الطين تساعدهم في تربية الحيوانات والزراعة، ويمكن أن يكون مكان سكنهم قرى صغيرة أو كبيرة أو بلدات أو مدناً (Eidt 1984: 2)، وتسمى هذه العملية وانتشـارها فـي منطقة ما بالنمط.

2-6 تعريف نمط الاستيطان:

من أجل دراسة عمليات سكن الإنسان واستيطانه للمناطق الطبيعية والمواقع، وجد ما يعرف بمصطلح نمط الاستيطان، الذي يعرفه العلماء على أنه عملية انتشار الناس ومنشـآتهم على الأرض، ويشتمل هذا المفهوم أيضاً على النظم الثقافية والاجتماعية والبيئية والجغرافية، كما ويزودنا بمعلومات عن العلاقات التي تربط بين هذه النظم، والتي تشكل مجتمعة منـاطق دراسية تمثل جميعها ما يسمى في علم الآثار بنمط الاستيطان (Rouse 1972: 96). ومـن العلماء من يصف نمط الاستيطان بأنه تفاعل يحدث بين الإنسان والبيئة والتكنولوجيا والتكيف الناتج عن هذه العلمية الذي يُحدث تنظيمات اجتماعية وسياسية ودينية بالإضافة إلى انعكاسـه في أحجام وتوزيع مناطق السكن والتكيف (Trigger 1968: 54; 1978: 168). ويعـرف

غوردون ويلي Gordon Willey وجيرمي سابلوف Jeremy Sabloff أنماط الاســتيطان على أنها الطريقة التي من خلالها يلاءم الإنسان نفسه مع البيئة المحيطة به والبيئة التي يعيش فيها. وتتضمن هذه الملائمة: البيوت السكنية وتنظيمها وطبيعتها، بالإضافة إلى انعكاس طبيعة المنطقة البيئية ومستوى التكنولوجيا المستعملة من قِبل المجتمع، ومن ثم فــإن دراســة هــذه الأنماط تساعد من ناحية علم الآثار على فهــم الثقافــات (Willey and Sabloff 1974: 149).

3-6 أهمية دراسة أنماط السكن والاستيطان:

تُستعمل دراسة أنماط السكن والاستيطان من أجل التعرف على النظم البيئية والثقافية والاجتماعية ومحاولة إعادة بناء هذه النظم، بالإضافة إلى التعرف على طبيعة حيــاة شــعب معين وفهم حضارته في سياق طبيعة سكنه (Rouse 1972: 95-96)، إضافة إلى التعــرف على العوامل البيئية في الموقع السكني أو المنطقة من خلال التعرف على توزيــع النباتــات والحيوانات والمواد الخام وتأثير ذلك على الإنسان ونشاطاته (Johnson 1972: 769). كما وأنه يمكن التعرف من خلال أنماط السكن والاستيطان على أنواع الاستيطان ومواسمه، وعلى نوعية سبل العيش التي يعتمد عليها المجتمع، أو المجموعة السكنية في ظل ظــروف بيئيــة وتكنولوجية معينة، بالإضافة إلى التعرف على طرق كسب الغذاء وإنتاجه وتخزينه وكل ذلك يعتمد على البيئة المحيطة التي تحدد نظم حياة الإنسان. وتعكس أنماط الســكن والاســتيطان عملية استجابة الإنسان لعدد من المؤثرات البيئية المختلفة في مســتويات معينــة (Trigger 1968: 61, 70; 1978: 177, 188)، ويمكن من خلال دراسة تلك الأنماط التعــرف علــى توزيع المجموعات السكانية ومساكنهم، وذلك من أجل التعــرف علــى العلاقــات الإقليميــة

والاقتصادية، والكيفية التي تؤثر فيها هذه العلاقات على الإنسان ومناطق وطرق عيشه (Eidt 1984: 1)، وتعالج دراسة أنماط السكن والاستيطان العلاقة بين كيفية التنظيم المكاني وحجم وتركيب المواقع السكنية في الظروف البيئية والثقافية، كما وتوضح ترتيب المواقع السكنية في أي منطقة وتفسرها في مستويات متعددة على صعيد العلاقات بين المجتمع الواحد وغيره من المجتمعات المجاورة (Gibbon 1984: 222, 225).

4-6 عناصر دراسة أنماط السكن والاستيطان:

يمكن دراسة أنماط الاستيطان من خلال الاعتماد على عناصر تشكل الأساس لفهم سكن الإنسان وتوزيعه في أي مكان فوق الأرض، سواء على صعيد الموقع الواحد أو على صعيد مجموعة من المواقع في إقليم معين؛ إذ يمكن البحث في الأبنية السكنية بشكل مستقل على صعيد طرق البناء وطرزه، أو امتداد الاستيطان وعلاقته بسكانه، بالإضافة إلى إمكانية التعرف على النمط السكني من خلال دراسة توزيع وانتشار المواقع السكنية وعلاقاتها المكانية بغيرها من المواقع الأخرى على المستويات الاجتماعية والإقليمية، وذلك بالاعتماد على دراسة الأقاليم الجغرافية في منطقة ما من نواحي التنوع والاختلاف البيئي بينها، والتعرف على شبكات الاستيطان والسكن فيها (Tringham 1972: XXII). ومن الضروري معرفة العلاقة بين أنماط السكن والاستيطان والمفاهيم الثقافية الأخرى، وضرورة فهم هذه العلاقات الثقافية بمعرفة العناصر أو العوامل التي ترتبط بشكل مهم بالنمط الاستيطاني، والطرق التي تتجمع فيها هذه العناصر من اجل إنتاج الأنماط الاستيطانية، بالإضافة إلى تفاعل محددات معينة في عملية خلق أنماط الاستيطان التي تفيد دراستها في فهم وإعطاء حكم عام حول

الأنماط (Trigger 1968: 53; 1978: 167)، بالإضافة إلى محاولة الربط بين العناصر الإنسانية والعناصر البيئية لفهم العلاقة بين الإنسان وبيئته (Edit 1984: 2).

وفي عملية دراسة أنماط السكن والاستيطان يمكن الاستعانة بخرائط لتوزيع المواقع والتي تعطينا فكرة حول كيفية انتشار هذه المواقع في إقليم معين، ورصد عمليات التغير في وجود المواقع على هذه الخرائط، وذلك بإظهار عدد المواقع المكتشفة والتي يتم إسقاطها على خريطة النمط الاستيطاني؛ إذ تعكس هذه الخريطة النواحي البيئية والمناخية والاجتماعية من خلال ارتباط الموقع الأصغر بالموقع الأم (Hodder and Orton 1989: 17, 19-20)، ويمكن أيضا الاستفادة من هذه النوعية من الدراسة في النواحي الزمنية، أي معرفة التغيرات التي تطرأ على المجتمع أو المنطقة في فترات زمنية متتالية بالاعتماد على خرائط التوزيع الاستيطاني، وعلى مدى انتشار المواقع وتوزيعها. وتساعد هذه الدراسة في التعرف على الظروف البيئية، أو يمكن أن تستخدم في دراسة الظروف البيئية للتعرف على أنماط الاستيطان في تلك الظروف (Gibbon 1984: 221-222, 225). وإذا كنا نريد الدراسة على مستوى البناء، فيكون ذلك من خلال تحليل حجم وشكل وطريقة البناء، والتقسيمات التي يحتويها والوظيفة التي لعبها (Tringham 1972: XXIII). وتدرس الأنماط الاستيطانية من خلال محددات، نذكر منها دراسة المباني الشخصية والتعرف عليها، فربما يكون معبداً أو قصراً أو بيتاً عادياً، فيمكن بالتالي دراسة التخطيط الاجتماعي الذي يظهر من خلاله عمليات تنقل الجماعات خلال العام الواحد أو خلال فترة زمنية أطول، وذلك بالاعتماد على الموسمية مثلاً وعدد المواقع وأماكن إقامتها (Trigger 1968: 60; 1978: 176).

ويعتمد علم الآثار في دراسته للأنماط الاستيطانية على المسوحات الأثرية للمواقع، من خلال عمل إحصائيات للفترات الزمنية وتوزيع المواقع عليها، إلا أنه من الواجب أخذ

الحذر في استخدام هذه المنهجية البحثية، وذلك لأن نتائج المسوحات قد تكون مخالفة لما هو موجود أصلا وغير مكشوف في هذه المواقع (Parr 1972: 807).

5-6 المؤثرات على أنماط السكن والاستيطان:

تتأثر عمليات السكن والاستيطان والاستقرار من خلال عدة عناصر تنعكس أهميتها في شكل أنماط الاستيطان وطرق البناء، وأشكال توزيع وانتشار السكان والمواقع السكنية التي يقطنونها، وتعكس هذه المؤثرات حاجات الإنسان وقدراته على التكيف والتطور عبر الزمان والمكان.

يعد عنصرا البيئة والاقتصاد من أهم العناصر التي تحدد طبيعة أنماط السكن والاستيطان، وهي تساعد في فهم نشوء وتطور النواحي الاجتماعية والسياسية في شبكات المواقع الاستيطانية (Tringham 1972: XXIV)، وتحدد الظروف البيئية في ظروف معينة طرق تنقل الإنسان واستقراره وأساليبه في كسب سبل العيش والبقاء على قيد الحياة، وبالتالي فإن دراسة أنماط السكن والاستيطان تساعد في التعرف على كيفية استغلال الإنسان للأرض والمعايير التي يتوزع من خلالها على الأقاليم والمواقع، فالمناخ الذي يلعب دوراً في تحديد أنواع الحيوانات والنباتات الموجودة في أي إقليم يساعد أيضاً في التعرف على أنماط وأنشطة الاستيطان التي تناسب الإنسان وظروفه في المناطق التي يقطنها ويستغلها (Rouse 1972: 101)، ويساعد التغير المناخي في اختيار الإنسان لبيئته التي يعتمد عليها في حياته اليومية. ويحدد التغير المناخي طبيعة كل منطقة ويكون بداية اختيار مناطق الاستقرار والسكن، من أجل هذا يختلف شكل ونمط السكن من منطقة إلى أخرى بالاعتماد على البيئة وبالتالي نوعية المزروعات، فنجد مثلاً أن بعض المجتمعات تشكل قرى صغيرة بسبب محدودية الإنتاج

الزراعي الكافي لسد حاجة السكان، فيتوزع هؤلاء الناس على قرى صغيرة متباعدة نسبياً لكي يستفيدوا من الأرض قدر الإمكان. وإن مثل هذا النمط الاستيطاني شاع في مناطق الشرق القديم، بالإضافة إلى نمط الانتجاع والزراعة صيفاً وشتاء في أقاليم متنوعة بيئياً وبالتالي نباتياً، وهكذا فإن أنماط السكن والاستيطان متعددة وتتغير بحسب الظروف المحيطة وتحدد من خلال احتياجات الإنسان وتقاليده (Allan 1972: 212, 220-221)، بالإضافة إلى أن المناخ في حالاته الرطبة جداً أو الجافة جداً يؤثر على المحاصيل الزراعية ويؤدي إلى خفض فاعليتها، وبالتالي فإن هذا الحال يؤدي تدريجياً إلى التأثير على الكثافة السكانية في النقص أو الزيادة (Harlan 1972: 240,242)، مما ينعكس على توزيع وكثافة أنماط السكن والاستيطان على الأقاليم الجغرافية والطبيعية.

ويمكن للعوامل البيئة أيضاً أن تحدد بقاء المجموعات البشرية في مكان ما أو الانتقال منه، وذلك حسب كميات الغذاء المتوفرة، فإذا كانت نسبة الغذاء المتوفر لا تكفي حاجة المجموعة أو أن هذه المجموعة استنزفت مواردها فإنها تحاول إيجاد مناطق وفرة الغذاء في مناطق أخرى. وبما أن الغذاء هو وفرة الغطاء النباتي والحيواني، فإن الإنسان يحاول بفطرته العيش بالقرب من وفرة المورد الطبيعية، ويحاول تجنب المناطق الفقيرة بالموارد الغذائية أو المناطق التي تحوي مخاطر دائمة، فالوفرة تجذب الإنسان والفقر بالموارد الطبيعية يسبب نفوره، هذا بالإضافة إلى الازدحام الذي قد يسبب الانتقال أو الهجرة (Trigger 1968: 61, 66, 70; 1978: 177, 184, 188)، وهناك ارتباط وثيق بين العناصر الجغرافية والمناخ والتضاريس وبين الاقتصاد وتكنولوجيا الإنسان فهي تساعد في فهم توزيع السكان على الأقاليم والمناطق السكنية (Hodder and Orton 1989: 3)، وتؤثر أيضا على مظاهر الاستيطان، بالإضافة إلى ارتباطها بالتغير السكاني من فترة إلى أخرى، بالإضافة إلى دور الهجرات؛ إذ

يلعب الاقتصاد دوراً في ظهور واختفاء النظم السكانية عبر العصور، وهكذا فإنـه كلمـا زاد تعقيد الاقتصاد في منطقة ما كان الرابط أكبر مع البيئة المحيطة والسكان، وكلما زاد وتطور الاقتصاد زاد وتوسع حجم الاستيطان ومواقعه في البيئة المحيطة. وتلعب النواحي الاقتصادية دورا في تطور الاستيطان، أي أن العلاقة بين الاقتصـاد والاسـتيطان تفاعليـة؛ إذ يعتمـد الاقتصاد على تطور النواحي العسكرية والسياسية والتطور الاقتصادي في تثبيت المستوطنات السكنية وتطورها وزيادة الكثافة السكانية فيها، بالإضافة إلى أن الناحية الجغرافيـة والبيئيـة تعكس الاختلافات في انتشار المواقع السكانية والاستيطان، ومثال ذلـك المنـاطق المرتفعـة والسهول؛ إذ يقدم نمط الاستيطان في كل من هذه الأقاليم الجغرافية دليلاً جيداً على الفروقات الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى أنه يعكس تأثير منطق الضرورة من خلال الانتشـار والزيادة السكانية (Edit 1984: X-XI, 2-4, 5). وكلما تطور النظام الاقتصادي وضـحت وتشكلت شخصية الاستيطان كما ذكرنا، إذ أن المناطق المنخفضة تشهد في الوضع الطبيعـي تطوراً اقتصادياً أكبر من المناطق المرتفعة التي تحافظ على نظام اقتصادي تقليـدي بسـيط (Roberts 1996: 130)، وكلما تراجع النظام الاقتصادي تزعزعت شخصية نمـط السـكن والاستيطان وانعكست بالتالي على السكان وسبل عيشهم (Wilkinson 2010: 140). وهكذا فإن الضغط السكاني يؤثر على الطريقة التي تستغل فيها الأرض والكيفية التي يؤثر فيها ذلك على المواقع والمناطق السكنية؛ فعندما تزيد نسبة الكثافة السكانية يصبح الطلب على الموارد الطبيعية أكبر، فتظهر الحاجة للتوسع من أجل تأمين مصادر عيش جديدة في مناطق أخـرى (Smith 1972: 410). ومن الجدير بالملاحظة أن عملية الزيادة السكانية تفوق الزيادة فـي الموارد الطبيعية لأي منطقة في العالم، وهو ما يؤدي إلى التوسع والانتشار.

تلعب التجارة دورا في الزيادة السكانية التي تنعكس في أنماط السكن والاستيطان، فكلما استقرت وتطورت الأحوال التجارية والاقتصادية زاد عدد السكان في تلك المناطق (Trigger 1968: 67; 1978: 185)، وكل هذه العوامل تساعد في نشوء أنماط السكن وتوزيعه أو في تقلصه واندثاره عبر الزمان والمكان. وفي ما يلي نتعرف الكيفية والمراحل التي تنشئ من خلالها المواقع السكنية.

6-6 طرق نشوء أنماط السكن والاستيطان:

قسم براين بلوييت Brian Blouet في مقالة بعنوان *Factors Influencing the Evolution of Settlement Patterns* عمليات نشوء وتطور السكن والاستيطان إلى ست مراحل موضحاً بذلك التأثيرات المصاحبة لهذه العملية، فبدأ بمرحلة بدائية تنمو من خلالها المراكز والمواقع السكنية، ومن ثم تتطور عبر أشكال أكثر تعقيداً وصولاً إلى مرحلة انهيار أو تراجع هذه المراكز الناتجة عن الشكل البدائي للتجمع السكاني، وهذه المراحل هي:

*المرحلة الأولى والثانية: وهي مرحلة تنشأ من خلالها القرى Villages والتي تنبثق من وجود تجمعات سكانية متباعدة تعيش في قرى صغيرة أو عزب Hamlets وFarmsteads، فتتطور منطقة متوسطة يمكن للسكان مبادلة بضائعهم فيها، فتهجر تدريجياً المخيمات والمزارع وينتقل السكان للعيش في القرية الصغيرة، مما يزيد في عدد سكانها وتصبح مركزية لما حولها.

*المرحلة الثالثة: تتطور القرى إلى بلدات Towns، والتي يصبح فيها الاقتصاد أكثر قوة من القرى المحيطة بها، مما يجعلها أكثر جذباً للسكان، فتصبح أكثر اتصالاً بالقرى المحيطة، وربما يحدث ذلك من خلال قربها من مصادر الموارد الطبيعية، والذي يدفع بباقي

المواقع إلى زيارتها والاستفادة من مميزاتها الاقتصادية. وقد تنشأ بلدات على مسافات بعيدة عن مصادر الموارد الطبيعية بسبب تحولها إلى سوق مركزية لما حولها من القرى، وذلك عبر قنوات تجارية تربط بين البلدة القريبة للمصدر الخام والبلدة البعيدة والتي تشكل سوقاً مركزية تخدم القرى المحيطة بها التي يصعب على سكانها الوصول إلى البلدة الأقرب للمواد الخام.

*المرحلة الرابعة: تتطور البلدات في هذه المرحلة إلى مراكز صناعية Manufacturing Centers تتمتع بصفات التمدن والجاذبية للسكان، وتصبح أسواقاً للبضائع ومراكز للخبرات ومصادر للقوى العاملة.

*المرحلة الخامسة: تتطور المراكز الصناعية حتى تصبح مناطق حضارية ممتدة Conurbations تشمل المدن والضواحي المجاورة لها، أي أن هذه المراكز تضم الضواحي والبلدات التابعة لها وتأخذ شكل التركيب الاقتصادي المعقد.

*المرحلة السادسة: تتشتت في هذه المرحلة المراكز الحضارية الممتدة إثر اتساع رقعتها، والتي تؤدي إلى حدوث تباعد بين أواصر المركز الواحد مما يؤدي إلى نشوء مراكز حضارية ممتدة (Blouet 1972: 4-6, 10-11).

إن معظم عمليات السكن والاستيطان تكون تدريجية عبر عشرات السنين أو القرون، إلا أن بعضها يكون سريعاً بسبب تغيرات تحدث خلال عقود قليلة وذلك بالاعتماد على التغير في نواح بيئية كتغير في مستويات الأنهار والبحيرات مثلاً (Roberts 1996: 129). ويبدأ السكن في بعض المناطق من خلال إنشاء عزب بشكل أولي، وتبدأ مجموعة عزب على شكل عناقيد Clusters بالظهور، ومن ثم تتطور إلى قرى صغيرة وبلدات، وهي تشترك في نفس مصادر المواد الأولية كالحقول والمزارع المنتشرة حول مناطق السكن، وبهذه الطريقة يزيد

حجم السكان وتزيد فاعلية أنماط السكن في المنطقة تدريجياً (William 1972: 216; Roberts 1996: 130). وبالتالي فإن هذه الأنماط الاستيطانية تبدأ في الاندماج على أساس سكاني من خلال التجمع حول مواقع محددة تضمن للسكان المواد الأولية أو التجمع حول بلدة مركزية أو مركز ديني، ويحدث هذه التجمع والاندماج بشكل تدريجي عبر الزمن؛ إذ بعد التجمع والاندماج يزيد حجم السكان وتبدأ عمليات الانتشار والتوسع بالقرب من المواقع الأصلية وهكذا ينشئ نظام التوسع على شكل عناقيد، أما سبب ذلك فهو الضغط الذي يحدثه السكان على الموارد الطبيعية، وبالتالي فإن المواقع الكبيرة ربما تنتج مواقع أصغر (Hodder and Orton 1989: 85-87)، وبهذه الطريقة يمكن أن ينعكس ذلك على المقابر والمعابد التي تنشئها المجموعات السكانية، ففي حالات معينة وعندما يزيد عدد السكان وتتوسع القرى تبقي المجموعات السكانية على مقبرة واحدة تشترك فيها كل القرى التي لها نفس سلالة الأجداد، وبهذا فإن نسبة المقابر تكون أقل بكثير من نسبة المواقع السكنية في منطقة ما، بالإضافة إلى المعبد الذي ربما يبنى في منطقة خارج نطاق المواقع السكنية والذي يلبي حاجات مجموعة المواقع المنتشرة حوله (Trigger 1968: 64-65; 1978: 180-182). وفي حالات التغير في أنماط الاستيطان عبر فترات زمنية متعاقبة ربما يستمر استعمال الناس لنفس المعبد أو المنشئة الدينية (Roberts 1996: 124).

يمكن التمييز بين البلدات والقرى الصغيرة في النشأة من خلال الخدمات التي تقدمها كل منهما ومن خلال الوظائف، فالأسواق والنظام الإداري والدفاعي هي من صفات البلدات، أما القرى فهي في نشأتها تخدم سكانها المحليين (Grove 1972: 560)، إلا أن معظم البلدات والمدن تعتمد على هذه القرى في تزويدها بالإنتاج الزراعي، وبالتالي فإن أي ضعف يدب في الإنتاج الزراعي للقرية يضعف البلدات والمدن المعتمدة عليها (Trigger 1972: 81). ويدل

ذلك على أن المدن في مراحل ما ربما تكون جاذبة للسكان وعندما يقل سكان القرى الزراعية يقل كذلك الإنتاج الزراعي، وينقص في النهاية إنتاج المصادر الزراعية بسبب تجمع الناس في المدن، ويحدث بالتالي رد فعل عكسي أي يعود الناس إلى القرى من جديد وتهجر المدن مما يؤدي إلى ضعفها، وقد يؤدي ذلك إلى انهيار نظامها الاقتصادي، بالإضافة إلى أن التغير المناخي قد يؤدي إلى حدوث نفس العملية والذي في مثل هذه الحالة ربما لا يستطيع إنقاذ وضع المدن الاقتصادي أو السكاني، وتكون الظروف أكثر تعقيدا إذا تصاحب هجران السكان للمدن من أجل الغذاء وملازمته للتغير المناخي نحو الجفاف على سبيل المثال.

6-7 شروط نشوء أنماط السكن والاستيطان:

من أهم شروط نشوء المواقع السكنية والاستيطان هو المسافة التي تقع ضمنها مصادر المياه، بالإضافة إلى نوعية التربة المستخدمة في الزراعة، والغطاء النباتي والأمن، والمسافة بين الطرق الرئيسية والأسواق وبين الموقع السكني، وعدد السكان والحاجة إلى بعض المواد التي يحصل عليها السكان عن طريق التجارة (Hodder and Orton 1989: 54, 73-74). يضاف إلى هذا بعض العناصر التي تلعب دوراً هاماً في اختيار أماكن السكن ومنها المعرفة السابقة والتجربة في ما يتعلق بالعناصر البيئية التي تقع ضمنها المناطق التي تسكنها المجموعات البشرية (Hamond 1981: 223).

أما الشروط الواجب توفرها في المواقع والمناطق السكنية في الأراضي الفلسطينية ومناطق بلاد الشام بشكل عام فهي بحسب دي غوس De Geus موزعة إلى عناصر أساسية وعناصر ثانوية، أما العناصر الأساسية فهي أن تكون التربة صالحة للزراعة، ووجود مصدر مياه دائم. أما العناصر الثانوية فهي أولاً: إمكانية الوصول إلى الموارد الخام وتوفر الحماية

للموقع المسكون. ثانياً: قابلية المكان لاستقبال الرياح للاستفادة منها في تلطيف أجواء المكان بشكل عام. ثالثاً: أن يكون المكان بعيداً عن المناطق التي تسبب الأمراض الوبائية (de Geus 2003: 162). ومن الجدير بالذكر أن ما ينطبق على موقع واحد ربما ينطبق على المنطقة بشكل كامل، أي على سلسلة من المواقع التي تحتل رقعة واسعة من الأرض. بالإضافة إلى أن تكون المسافة التي تفصل المراكز السكنية الكبيرة عن القرى الصغيرة في بعض الحالات بعيدة نسبياً، وهي تقدر بحوالي 10 إلى 12 كم (Shavit 2008: 138).

وفي دراسة أنماط السكن والاستيطان يجب علينا الأخذ بالعديد من الخيارات التي نستعملها في الدراسة، ومع العلم بأن بعض الخيارات قد تكون صحيحة وبعضها خاطئ، ولا يجب علينا إعطاء الأحكام حول الماضي من خلال الحاضر، وعند دراسة أنماط السكن والاستيطان يجب أن لا يحصر عالم الآثار نفسه في معنى أو تفسير واحد لظاهرة السكن والاستيطان (Piggott 1972). وبشكل عام فإن أنماط السكن والاستيطان تحدد من خلال التفاعل بين مجموعة من المتغيرات وهي البيئة بشكل أساسي والتكنولوجيا كمتغير ثانوي والتي يستعملها الإنسان للوصول إلى درجة اقتصادية تناسب ظروفه وتساعد على استمراريته وتكاثره (Krause 1999: 129)، ومن هنا فإن أنماط السكن والاستيطان تعتبر في رأي الباحث من أهم المؤشرات على حياة الإنسان في العصور القديمة وحتى يومنا هذا، فهي تشير إلى تاريخية طرق التكيف لديه وتفاعله مع بيئته المحيطة وسبل عيشه، وأشكال النشاطات الحياتية التي يتبعها. وبعد أن تعرفنا على مفهوم السكن والاستيطان وأنماطه وأهمية دراسته، وعناصر دراسته والمؤثرات على السكن وطرق نشوء السكن والاستيطان وشروطه لآبد لنا من التعرف على توزيع أنماط السكن والاستيطان في المرتفعات الفلسطينية في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني وانتشارها جغرافيًا بتأثير البيئة.

الفصل السابع

المسوحات الأثرية في المرتفعات الفلسطينية

مقدمة:

بعد التعرف على مفهوم السكن والاستيطان وأنماطه والطرق التي تتأثر فيها عمليات سكن الإنسان ونشاطاته في المناطق التي يقطنها والمناطق المجاورة والكيفية التي تتوزع وتنتشر فيها مجموعات السكن، لآبد في ضوء ذلك من التعرف على طرق توزيع وانتشار المواقع السكنية في العصر الحديدي الأول في المرتفعات الفلسطينية، وعرض طريقة توزيع تلك المواقع في العصر البرونزي المتأخر والعصر الحديدي الثاني من أجل توضيح عمليات التغير في أنماط السكن والاستيطان زمنياً ومكانياً. وبما أن المسوحات الأثرية من أهم الوسائل في معرفة أنماط السكن والاستيطان فإن الباحث سوف يعتمد على تلك المسوحات في دراسته.

7- المسوحات الأثرية في فلسطين:

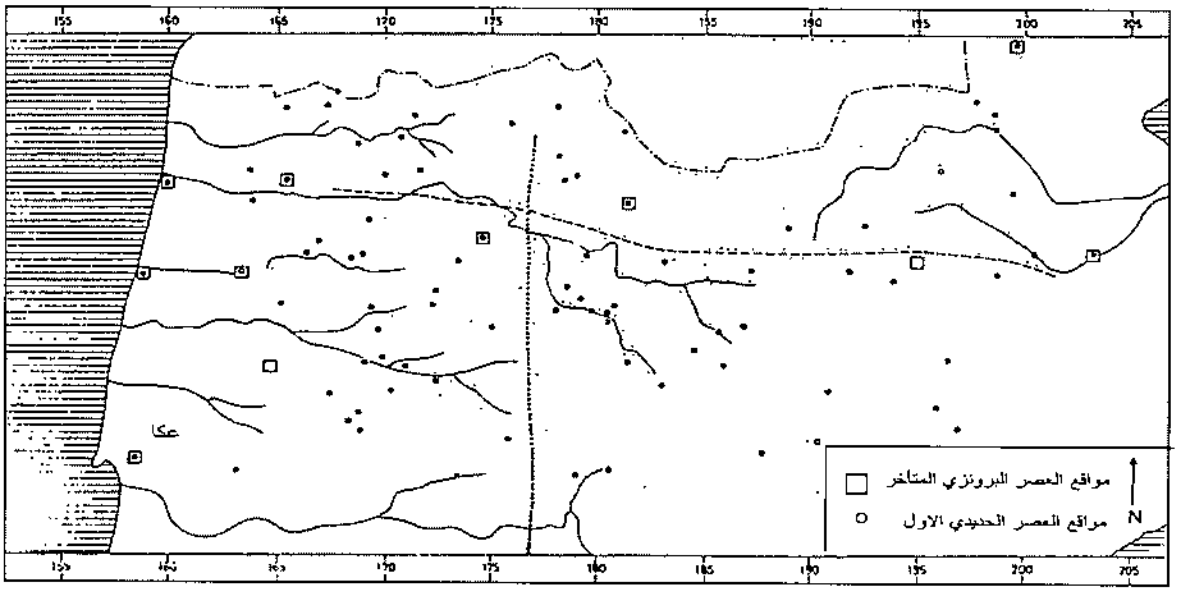
تعد المسوحات الأثرية من أول النشاطات التي يقوم بها علماء الآثار من أجل الكشف عن المواقع والبقايا الأثرية ومن ثم تفسيرها وبالتالي التعرف على أنماط السكن والاستيطان وتوزيعها، ولذلك فقد بدأت المسوحات الأثرية المنظمة في فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين. ويعد نيلسون غلوك Nelson Glueck من رواد المسوحات الأثرية في جنوبي فلسطين والأردن (Banning 2003: 164)، ثم جاءت مسوحات Aharoni في مناطق النقب والجليل في منتصف القرن العشرين، أما في النصف الثاني من القرن العشرين فقد نشط علماء الآثار الإسرائيليون في المسوحات الأثرية المنظمة والشاملة، وكان تركيزهم على المرتفعات الفلسطينية وذلك في ما بعد العام 1967م (Banning 2003: 164; Mazar 2007: 85-87)، حيث أجرى أولئك الباحثون مسوحات في مناطق الخليل وبيت لحم والقدس ورام الله ونابلس بإدارة موشي كوتشافي Moshe Kochavi وإدوارد كامبل Edward

Campbell وجين سابين Jean Sapin ولورنس ستيجر Lawrence Stager (Stager 1985: 2-4)، وبعد عام 1980م أجرى الإسرائيليون مسوحات أثرية أكثر تركيزاً، عملوا من خلالها على إعادة مسح كامل مناطق المرتفعات الفلسطينية. ومن الجدير بالذكر أنه لآبد على المشتغلين بالمسوحات الأثرية أخذ الحيطة والحذر عند التعامل معها لأسباب كثيرة تتعلق بالبيئة والتغيرات التي تتبعها زمنياً في المكان. فانجراف التربة من المرتفعات على سبيل المثال قد يدمر المواقع القائمة على السفوح وقد يطمر انجرافها المواقع الكائنة في الأماكن المنجرفة إليها، علاوة على الفيضانات النهرية وعمليات الطمر، وفي النهاية فإنها تؤدي إلى تغيير ملامح ومعالم المنطقة وتؤدي أيضا إلى اختلاط وتلوث الطبقات الأثرية. ولآبد من القول بأن المسوحات الأثرية لا تكشف ما في باطن الأرض، فالكسر الفخارية تجمع عن السطح، ويبقى الأسفل مبهماً فيستحسن في مثل هذه الحالة عمل خنادق وحفر اختبارية Soundings للتأكد من محتويات المنطقة الممسوحة أثرياً (Banning 2003: 166). وسنتعرف فيما يلي على نتائج المسوحات الأثرية التي جرت في المرتفعات الفلسطينية في ما بعد العام 1967م وذلك من خلال استعراض كل منطقة من المرتفعات ونتائج المسح فيها في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

1-7 مرتفعات الجليل:

الجليل الأعلى: أجرى العلماء المسوحات الأثرية المنظمة والشاملة في الجليل الأعلى والجليل الأسفل في سبعينيات القرن الماضي (Gal 1993: 450)، وكانت نتائج المسوحات تدل على عدم وجود مواقع سكنية تعود إلى العصر البرونزي المتأخر في الجليل الأعلى، أما مع بداية العصر الحديدي الأول فقد تم العثور على حوالي 25 موقعاً سكنياً صغيراً إثر

الأعمال المسحية التي قام بها Aharoni ورافيـــال فرانكـــل Rafael Frankel مـــن بعـــده (Frankel 1994: 23, 25; Mazar 1990: 334; 1992: 285). ويذكر القـــائمون علـــى المسح في هذه المنطقة أنهم سجلوا موقعين يظن أنهما يعودان للعصر البرونزي المتأخر، لكن عددها تزايد في العصر الحديدي الأول ليصل إلى 25، وأربعين موقعاً في العصر الحديـــدي الثاني (Gal 1993: 451). وتوضح الخريطة رقم (3) انتشار وتوزيع المواقع فـــي الجليـــل الأعلى، أما الجدول رقم (6) فيوضح أعداد المواقع الأثرية في الجليل الأعلى فـــي العصـــر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.



خريطة رقم (3) توضح أعداد توزيع وانتشار المواقع الأثرية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول في الجليل الأعلى (عن Frankel 1994: 25: Fig 1)

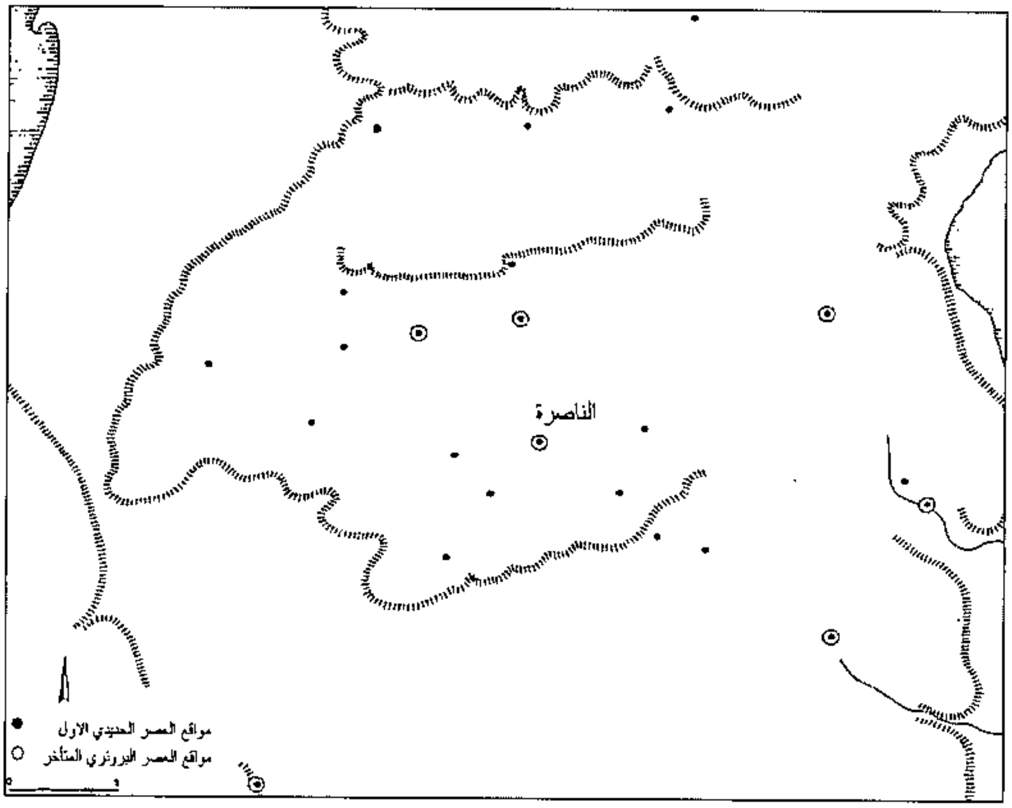
عدد المواقع	الفترة الزمنية
0/2 ؟	العصر البرونزي المتأخر LB
25	العصر الحديدي الأول Iron I
حوالي 40	العصر الحديدي الثاني Iron II

الجدول رقم (6) يوضح توزيع المواقع الأثرية في الجليل الأعلى على العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والحديدي الثاني.

الجليل الأسفل: بدأت المسوحات الأثرية في منطقة الجليل الأسفل في عام 1950م على يد Aharoni، الذي أولى منطقة الجليل الأعلى اهتماماً أكبر. كما وأجرى Zori من عام 1977م عدة مسوحات في هذه المنطقة. كذلك قام زفي جال Zvi Gal في الأعوام 1980-1982م بمزيد من المسوحات الأثرية في نفس المنطقة، وكشفت النقاب عن 6 إلى 8 مواقع أثرية تعود للعصر البرونزي المتأخر، و23 موقعاً تعود للعصر الحديدي الأول، و57 موقعاً تؤرخ إلى العصر الحديدي الثاني. وقد لاحظ Gal وجود تراجع في عدد المواقع السكنية المؤرخة للعصر البرونزي المتأخر في الجليل الأسفل، وأن عملية انتشار المواقع السكنية بدأت في العصر الحديدي الأول واستمرت على ذات الحال خلال العصر الحديدي الثاني (Gal 1992: VII, 12-13; 1993: 451; 1994: 36, 39-40). وتوضح الخريطة رقم (4) انتشار وتوزيع المواقع في الجليل الأسفل في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، ويوضح الجدول رقم (7) توزيع أعداد المواقع السكنية في الجليل الأسفل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	6/8
العصر الحديدي الأول Iron I	23
العصر الحديدي الثاني Iron II	57

الجدول رقم (7) يوضح أعداد توزيع المواقع الأثرية في الجليل الأسفل على العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والحديدي الثاني.



خريطة رقم (4) توضح أعداد توزيع وانتشار المواقع الأثرية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول في الجليل الأسفل (عن Gal 1994: 37: Fig 1)

وبما أن الجليل الأعلى والجليل الأسفل يعتبران إقليماً جغرافياً واحداً فإننـــا يمكـــن أن نجمع عدد مواقعهما خلال تلك الفترات كما هو في الجدول رقم (8).

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	حوالي 10
العصر الحديدي الأول Iron I	48
العصر الحديدي الثاني Iron II	حوالي 97

الجدول رقم (8) يوضح توزيع المواقع الأثرية في الجليل الأعلى والأسفل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

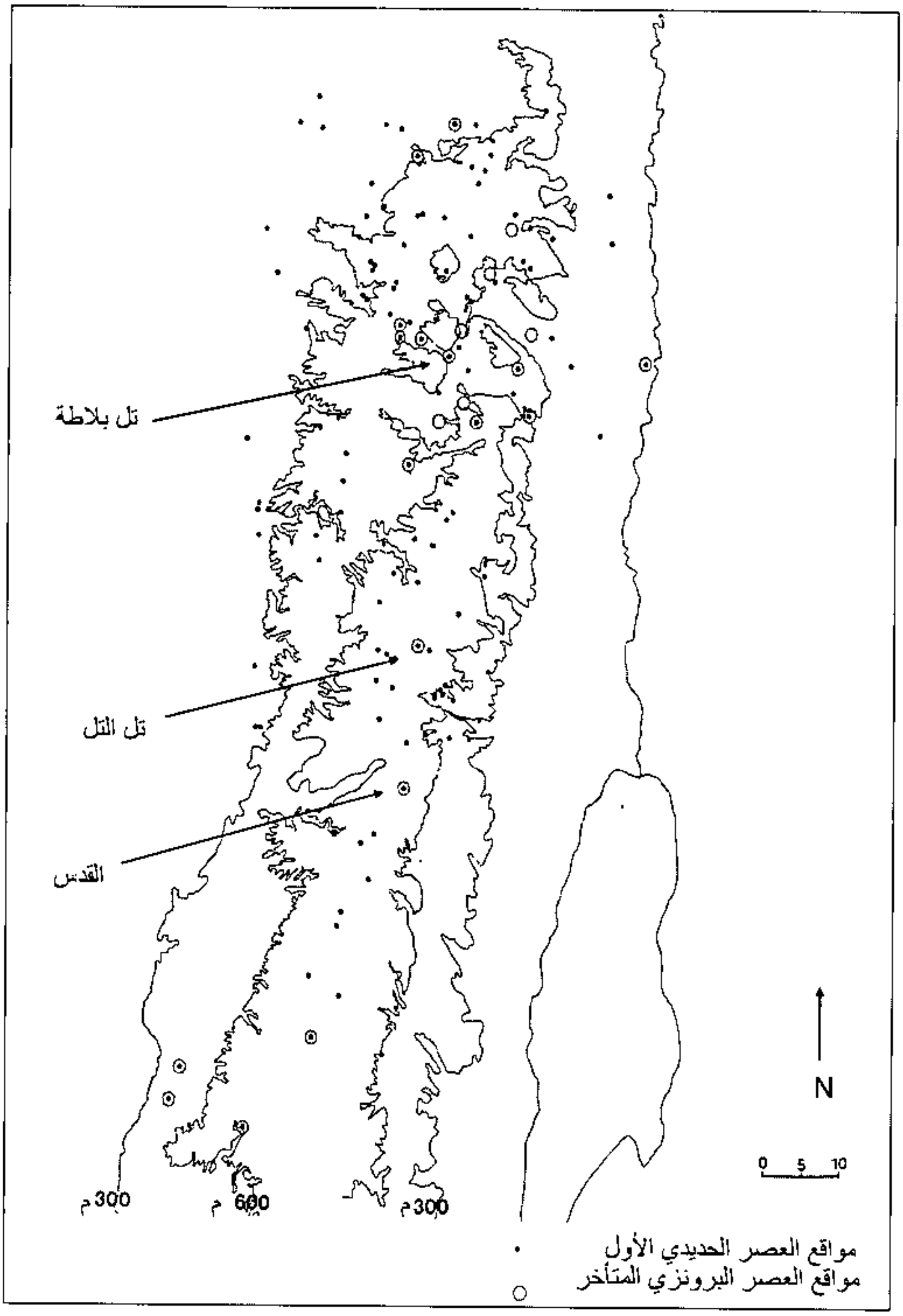
7-2 مرتفعات الكرمل ونابلس ورام الله:

قام Stager في عام 1985م بعمل دراسة حول طبيعة الاستقرار في مناطق نـــابلس ورام الله، والقدس وبيت لحم والخليل وحوض بئر السبع ومرتفعات النقب الأوســـط، وذلـــك

اعتماداً على نتائج المسوحات الأثرية التي أجراها كل من Kochavi و Campbell وSapin بين عامي 1968 و1972م. وقد أحصى Stager في هذه المناطق 23 موقعاً تعود للعصر البرونزي المتأخر، و114 موقعاً من العصر الحديدي الأول تتوزع على المنطقة الممتدة من مرتفعات نابلس شمالاً وحتى مرتفعات النقب الأوسط جنوباً. أما حول عدد مواقع العصر الحديدي الثاني فقد أشار Stager إلى العثور على 204 مواقع في المناطق المذكورة أعلاه (Stager 1985: 2-5). وتوضح الخريطة رقم (5) توزيع المواقع السكنية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول من نابلس شمالاً وحتى شمال النقب، أما الجدول رقم (9) فيوضح توزيع هذه الموقع على العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

عدد المواقع	الفترة الزمنية
23	العصر البرونزي المتأخر LB
114	العصر الحديدي الأول Iron I
204	العصر الحديدي الثاني Iron II

الجدول رقم (9) يوضح توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات نابلس ورام الله والقدس والخليل وحوض بئر السبع والنقب الأوسط خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.



خريطة رقم (5) توضح توزيع وانتشار المواقع الأثرية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول في مرتفعات نابلس ورام الله والقدس وبيت لحم والخليل والنقب (عن Stager 1985: 2: Fig 1)

أظهرت المسوحات التي أجريت ما بعد عام 1980م نتائج مخالفة نسبيا لنتائج دراسة Stager؛ إذ قام علماء الآثار بتقسيم المرتفعات الفلسطينية إلى مناطق منفصلة، حيث تم مسح

كل منطقة منها على أساس نصوص العهد القديم، وسميت بأسماء القبائل الإسرائيلية حسب ذكرها في التوراة.

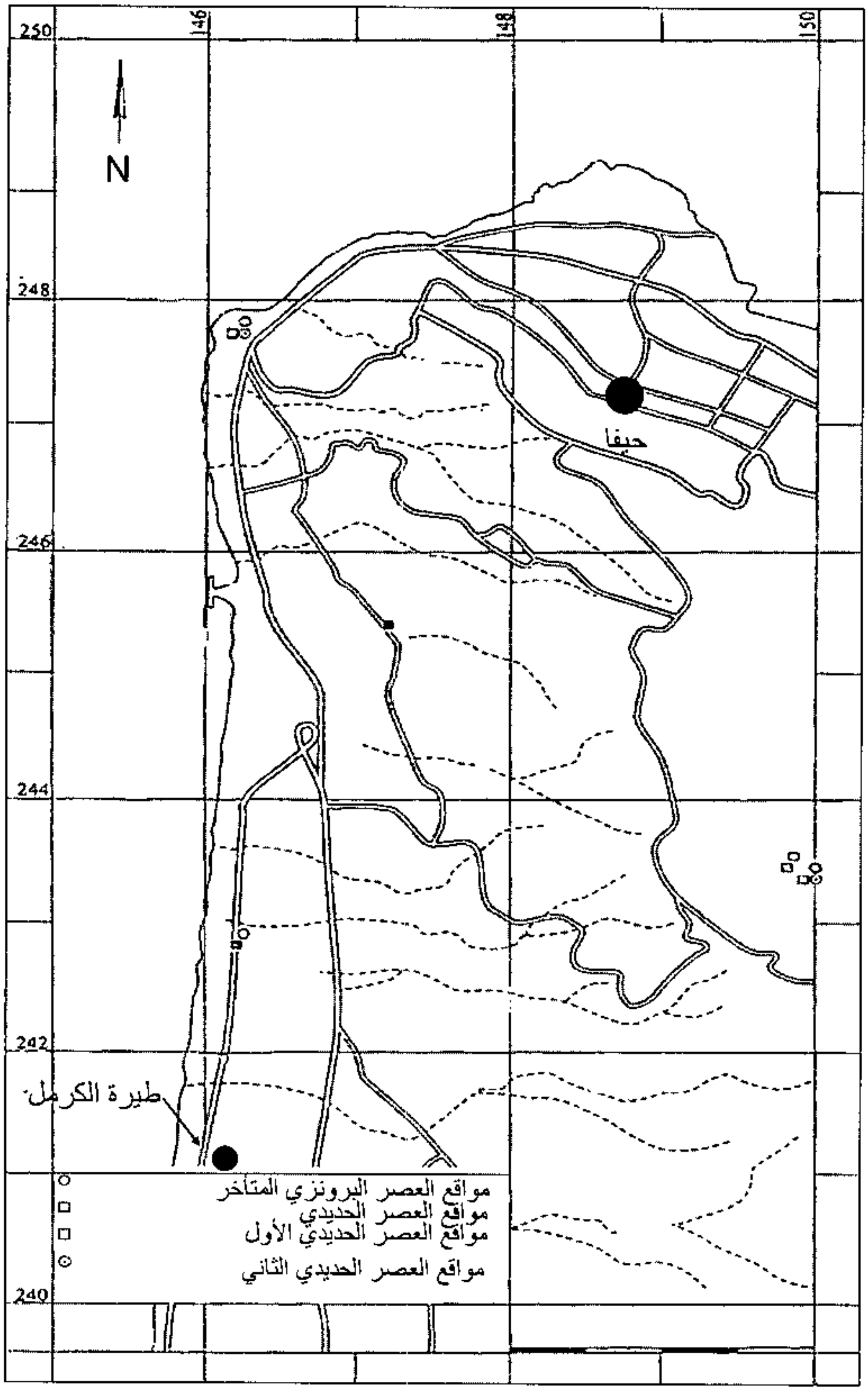
مرتفعات الكرمل: تركزت المسوحات الأثرية في هذه المنطقة في الجانب الغربي من الكرمل، وقد تم العثور على أربعة مواقع تعود إلى للعصر البرونزي المتأخر، و3 مواقع تعود للعصر الحديدي الأول، وموقعين للعصر الحديدي الثاني، وتقع بعض هذه المواقع بالقرب من شاطئ البحر الأبيض المتوسط مثل موقع تل السمك (شقمونا) (Olami; Ronen; and Romano 2003: 12, 16, 28, 43). ويبدو أن مرتفعات الكرمل لم تحظ بالاهتمام الذي حظيته باقي المرتفعات الفلسطينية مما يجعل الأمر غير واضح حول تلك المنطقة. ويوضح الجدول رقم (10) والخريطة رقم (6) توزيع المواقع الأثرية في منطقة الكرمل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني متضمنة موقع تل السمك.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	4
العصر الحديدي الأول Iron I	3
العصر الحديدي الثاني Iron II	2

الجدول رقم (10) يوضح توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات الكرمل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

مرتفعات نابلس ورام الله: قسمت منطقتا نابلس ورام الله اللتان أجري فيهما مسوحات أثرية إلى قسمين هما نابلس وشمالها، ورام الله وشمالها، وقد تم مسح كل من القسمين على حدة كالتالي:

منطقة نابلس وشمالها: بدأ Campbell المسوحات المنظمة في هذه المنطقة بعد عام 1967م، وقد قام ادم زرطال Adam Zertal بعد عام 1978م بإعادة مسح المنطقة

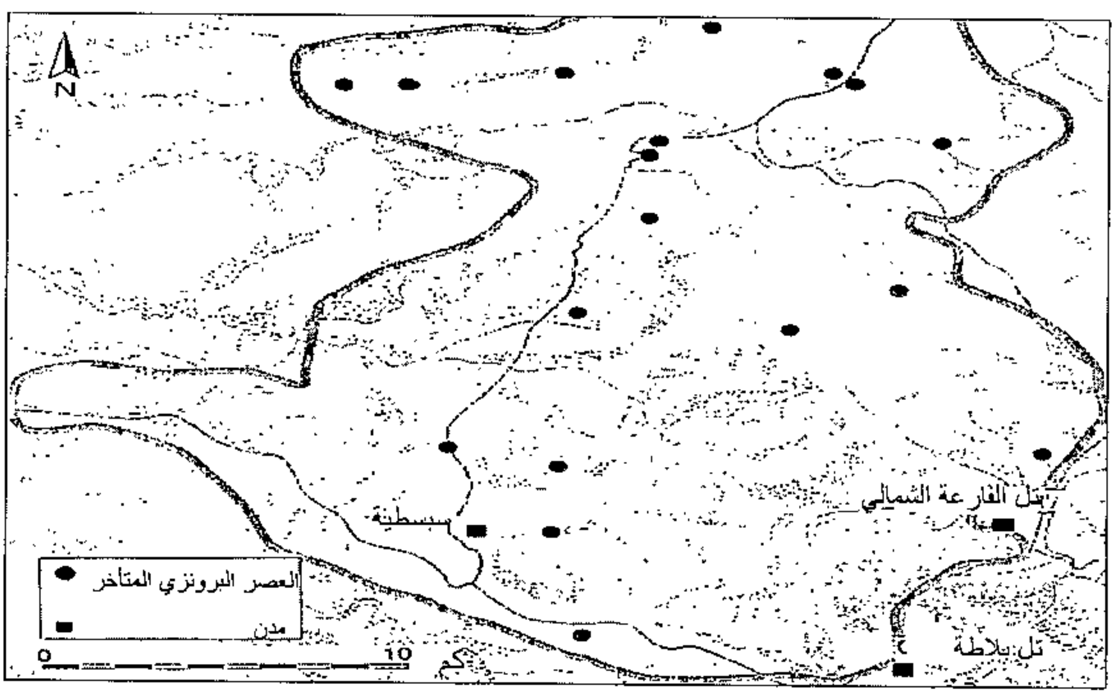


خريطة رقم (6) توضح أعداد توزيع وانتشار المواقع الأثرية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني في مرتفعات الكرمل (عن Olami, Ronen, Romano 2003: 93: Map 4)

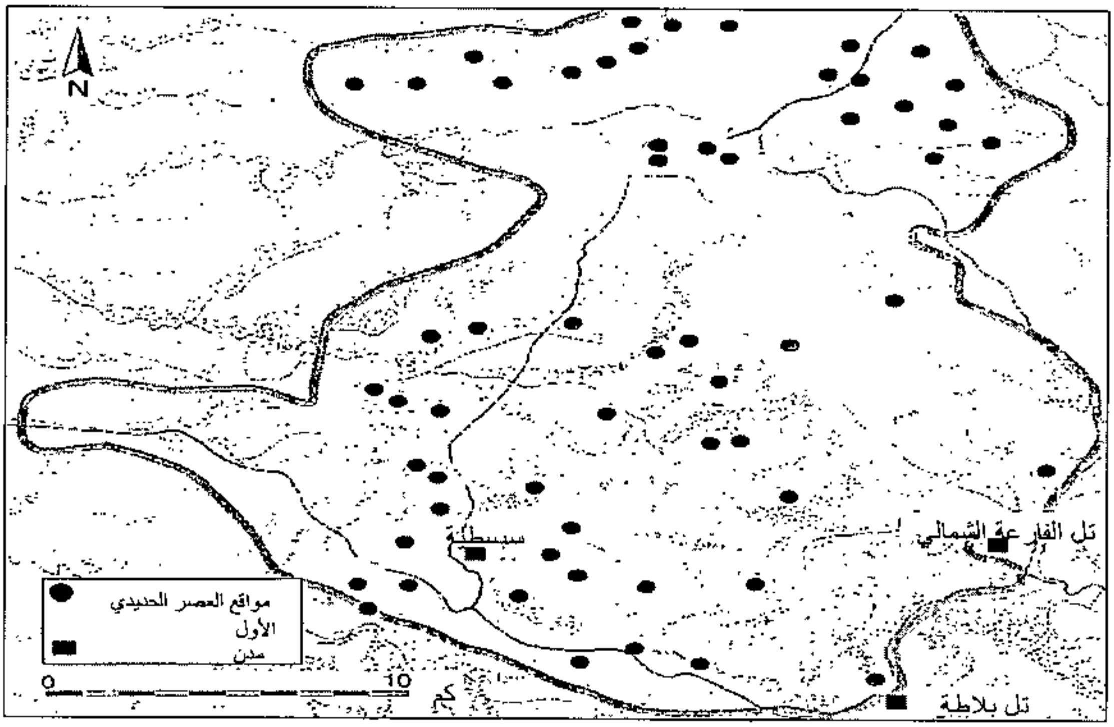
حيث عثر على 57 موقعاً تعود للعصر البرونزي المتـأخر، و132 موقعـاً يعـود للعصـر الحديدي الأول، وكان معظم هذه المواقع صغيرة المساحة، وقد تم تأريخ 213 موقعاً اثرياً إلى العصر الحديدي الثاني. وقد أشار Zertal إلى استمرارية معظم مواقع العصر الحديدي الأول خلال العصر الحديدي الثاني (Zertal 1993: 1312; 1994: 50-54; 2004: 53-56; van der Steen 2004: 100; Dar 2008: 927-928). ويوضح الجدول رقم (11) والخـرائط رقم (7) و(8) و(9) توزيع المواقع الأثرية في هذه المنطقة على العصر البرونزي المتـأخر والحديدي الأول والثاني.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	57
العصر الحديدي الأول Iron I	132
العصر الحديدي الثاني Iron II	213

الجدول رقم (11) يوضح توزيع المواقع الأثرية في منطقة نابلس وشمالها خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

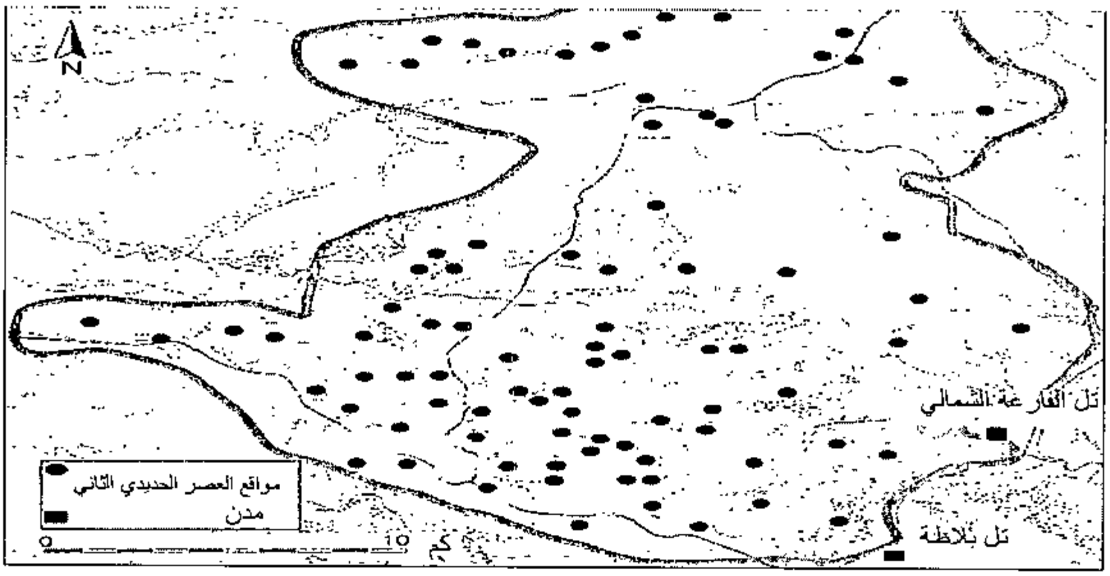


الخريطة رقم (7) تبين توزيع مواقع العصر البرونزي المتأخر في مرتفعات نابلس وشمالها
(عن Zertal 2004: 54: Fig 12)



الخريطة رقم (8) تبين توزيع مواقع العصر الحديدي الأول في مرتفعات نابلس وشمالها

(عن Zertal 2004: 55: Fig 13)



الخريطة رقم (9) تبين توزيع مواقع العصر الحديدي الثاني في مرتفعات نابلس وشمالها

(عن Zertal 2004: 57: Fig 14)

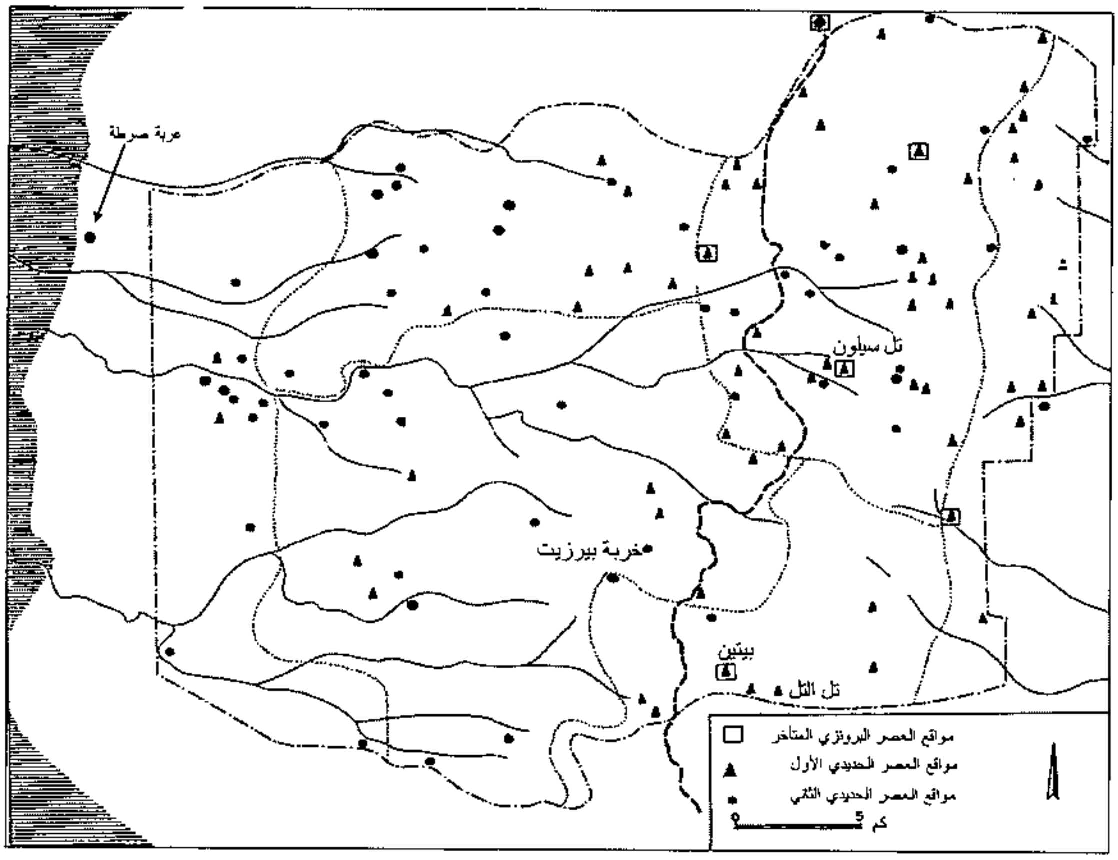
رام الله وشمالها: بدأت المسوحات الأثرية المنظمة والمكثفة في المنطقة بين عامي 1980 و1987م، بإشراف Finkelstein والذي وضع حدود هذه المنطقة على أسس اعتمدت

على العهد القديم ونصوصه، وقد سجل Finkelstein في أعماله المسحية حوالي 5 مواقع تعود للعصر البرونزي المتأخر، وحاولي 115 موقعاً تؤرخ في العصر الحديدي الأول، وتم تسجيل 190 موقعاً تعود للعصر الحديدي الثاني، وقد أشار إلى أن مواقع العصر البرونزي المتأخر تتضمن موقعاً دينياً وهو تل سيلون، وأن المواقع الأربعة الأخرى تشكل استمرارية للعصر البرونزي المتوسط، مع الأخذ بالاعتبار أن هذه المواقع قد تقلصت مساحاتها خلال العصر البرونزي المتأخر. أما مواقع العصر الحديدي الأول فقد صنفها Finkelstein على النحو الآتي: 26 موقعاً قرى كبيرة، وحوالي 32 موقعاً قرية صغيرة، وحوالي 57 موقعاً صنفت على أنها مواقع صغيرة ومعزولة، أما مواقع العصر الحديدي الثاني فقد صنفها Finkelstein كما يلي: 15 موقعاً كبيراً، و15 موقعاً متوسط الحجم، وباقي المواقع من الحجم الصغير (Finkelstein 1993: 1313; 2008: 553-555). ويضاف إلى هذه المنطقة موقعان من العصر البرونزي المتأخر، وموقع واحد من العصر الحديدي الأول، وموقعان من العصر الحديدي الثاني، وذلك اعتماداً على نتائج المسح الذي أجراه Miller في عام 2000م، وذلك بهدف التأكد من تأريخ بعض المواقع والمناطق التي مسحها Kochavi سابقاً (Miller 2000: 157, 161, 166).

ويوضح الجدول رقم (12) والخريطة رقم (10) توزيع المواقع الأثرية في رام الله وشمالها في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	7
العصر الحديدي الأول Iron I	116
العصر الحديدي الثاني Iron II	192

الجدول رقم (12) يوضح توزيع المواقع الأثرية في رام الله وشمالها خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني من مسوحات Finkelstein وMiller.



خريطة رقم (10) توضح توزيع المواقع السكنية في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني في رام الله وشمالها (عن Finkelstein 1988: 189: Fig 55)

وبجمع المواقع التي تم مسحها في نابلس وشمالها، ورام الله وجنوبها، فإنه يبدو بشكل واضح أعداد هذه المواقع وتوزيعها والفروق الواضحة فيها ما بين العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والحديدي الثاني، وذلك ما يوضحه الجدول رقم (13) أدناه.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	64
العصر الحديدي الأول Iron I	248
العصر الحديدي الثاني Iron II	405

الجدول رقم (13) يوضح توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات نابلس ورام الله مجتمعة خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

3-7 مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل:

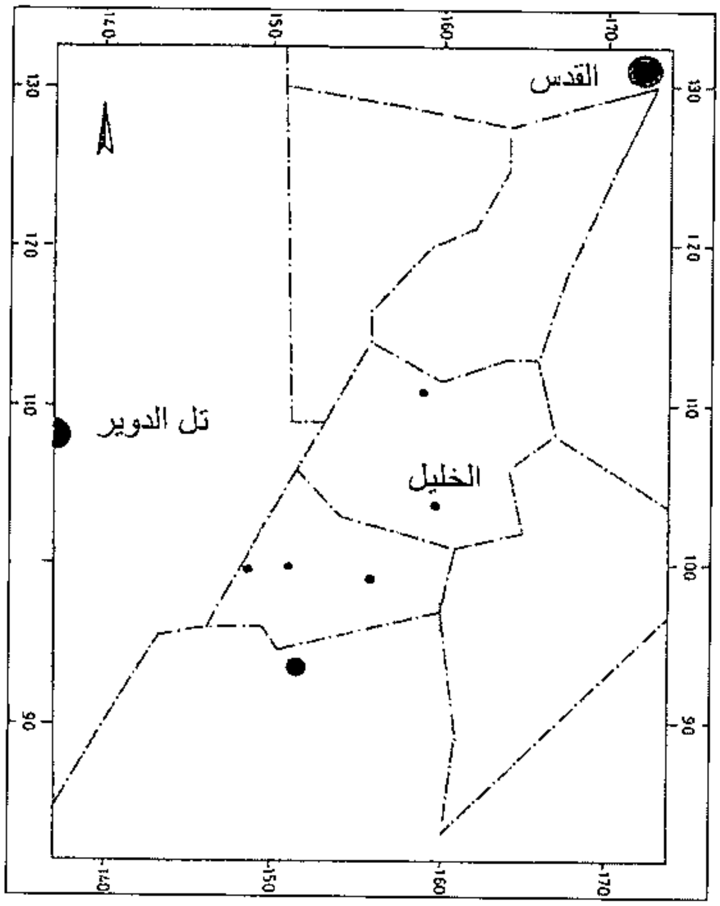
بدأت المسوحات الأثرية المنظمة في هذه المنطقة في الأعوام 1967 و1968م بإدارة Kochavi، وقد أجريت فيها بعد ذلك مسوحات أكثر تكثيفاً بين عامي 1982 و1987م بإدارة افيي عوفير Avi Ofer، والذي أعاد فحص نتائج المسوحات الأثرية التي قام بها Kochavi . وإضافة إلى الأعمال الميدانية التي تخللت تلك الفترة الزمنية، ومن وجهة نظر Ofer تعدّ هذه المنطقة اقل عدداً بالسكان من المرتفعات الفلسطينية الواقعة إلى الشمال من القدس. فقد تم العثور فيها على سبعة مواقع تؤرخ إلى العصر البرونزي المتأخر، و18 موقعاً إلى العصر الحديدي الأول، وأما في العصر الحديدي الثاني فقد تم تسجيل 66 موقعاً أثرياً، وكان تركيز هذه المواقع في المناطق الشمالية للمرتفعات (Ofer 1993: 815-816; 1994: 95-97, 100, 102, 104-105)، ويوضح الجدول رقم (14) توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	7
العصر الحديدي الأول Iron I	18
العصر الحديدي الثاني Iron II	66

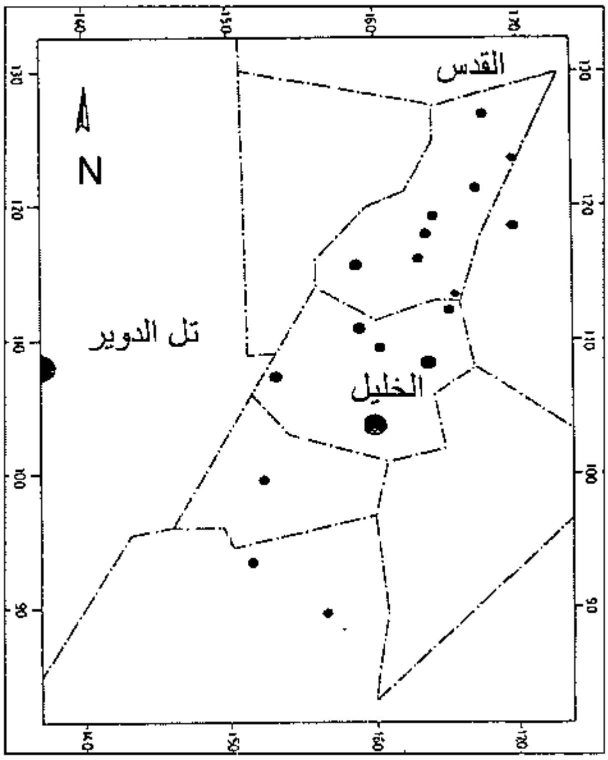
الجدول رقم (14) يوضح توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

ويبدو واضحاً من هذا الجدول الاختلاف في عدد المواقع لهذه المنطقة في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني، كما في الأقاليم الشمالية المذكورة أعلاه، فالزيادة كما يبدو تبدأ في العصر الحديدي الأول وتستمر بشكل متزايد في العصر الحديدي الثاني.

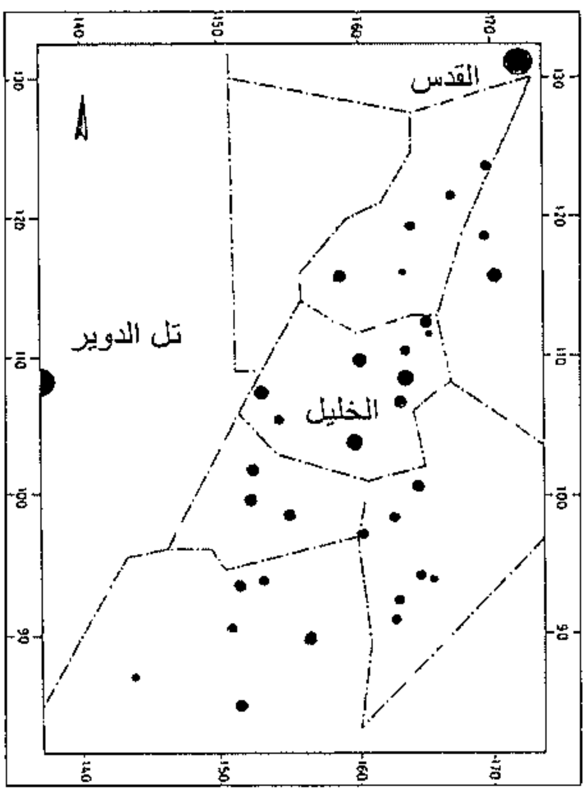
وتوضح الخرائط رقم (11) و(12) و(13) ذلك خلال العصر البرونزي المتأخر والحديـدي الأول والثاني في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل.



الخريطة رقم (11) توضح توزيع السكن في العصر البرونزي المتأخر في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل (عن Ofer 1994: 101: Fig 3)



الخريطة رقم (12) توضح توزيع السكن في العصر الحديدي الأول في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل
(عن Ofer 1994: 103: Fig 4)



الخريطة رقم (13) توضح توزيع السكن في العصر الحديدي الثاني في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل
(عن Ofer 1994: 103: Fig 5)

4-7 مرتفعات النقب:

بدأت المسوحات الأثرية في منطقة النقب في النصف الأول من القرن العشرين بإدارة Glueck ، تبعتها في عام 1950م المسوحات التي أجراها Aharoni . أما أحدث المسوحات الأثرية التي جرت في المنطقة فقد جرت بين عامي 1978 و1988م، وقد ساعدت هذه المسوحات على الكشف عن الكثير من المواقع الأثرية تعود إلى عصور متفاوتة، وقد لوحظ وجود فجوة سكنية في هذه المنطقة من العصر البرونزي المتوسط إلى العصر الحديدي الأول، وذلك لعدم العثور على مواقع أثرية تعود للعصر البرونزي المتأخر (Mazar 1990: 336-337; 1992: 286; Cohen 1993: 1123, 1126). أما بعض العلماء الآخرين مثل Herzog فقد أرخوا موقعاً واحداً للعصر البرونزي المتأخر، وهو موقع تل المشاش (تل مشوش)، وقد تم تسجيل 6 مواقع من العصر الحديدي الأول، و9 مواقع من العصر الحديدي الثاني، وهي تشكل مواقع صغيرة الحجم (Herzog 1994: 128, 145; Beit-Arieh 2008: 1064; Rosen 2008: 1062). يوضح الجدول رقم (15) توزيع المواقع في النقب على العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والحديدي الثاني.

الفترة الزمنية	عدد المواقع
العصر البرونزي المتأخر LB	1 ؟
العصر الحديدي الأول Iron I	6
العصر الحديدي الثاني Iron II	9

الجدول رقم (15) يوضح توزيع المواقع الأثرية في مرتفعات النقب خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

وهناك عدد من القلاع التي تم العثور عليها في مناطق النقب لم يتم الاتفاق على تأريخها، إلا أن علماء الآثار الإسرائيليين يحاولون موازاتها برواية العهد القديم حول الهجوم الذي تم في القرن العاشر ق.م (Barkay 1992: 323-325)، لذلك لن يتم إدخال هذه المواقع ضمن الدراسة الحالية.

بعد النظر في انتشار وتوزيع المواقع الأثرية على المرتفعات الفلسطينية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني، لابد من وضع جدول يوضح عدد المواقع الأثرية لكل منطقة من المرتفعات الفلسطينية، وتقسيمها أيضاً على الفترات الزمنية الثلاث، ويوضح الجدول رقم (16) هذا التوزيع.

المنطقة وعدد المواقع / الفترة الزمنية	مرتفعات الجليل	مرتفعات نابلس ورام الله	مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل	مرتفعات النقب
العصر البرونزي المتأخر LB	حوالي 10	حوالي 64	حوالي 7	1 ؟
العصر الحديدي الأول Iron I	حوالي 48	حوالي 248	حوالي 18	حوالي 6
العصر الحديدي الثاني Iron II	حوالي 97	حوالي 405	حوالي 66	حوالي 9

الجدول رقم (16) يوضح مجموع توزيع المواقع الأثرية في المرتفعات الفلسطينية خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني.

في ضوء الجدول رقم (16) يبدو واضحاً وجود اختلافات في توزيع وانتشار المواقع الأثرية مكانياً وزمنياً، ففي الجليل الأعلى والأسفل زاد عدد المواقع السكنية في العصر الحديدي الأول إلى حوالي 48 موقعاً، وفي مناطق رام الله ونابلس فإن العدد قد زاد بشكل كبير جداً بلغ حوالي 64 موقعاً في العصر البرونزي المتأخر إلى 248 موقعاً تقريباً في

العصر الحديدي الأول، وبالنظر إلى مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل فقد زادت مواقع العصر الحديدي هناك، ولكن ليس كما هو الحال في مرتفعات الجليل ونابلس ورام الله، أما في النقب فقد شهد فترة خلت فيها المنطقة من المواقع السكنية في العصر البرونزي المتأخر، إلى أنه وفي العصر الحديدي الأول تم التعرف على ستة 6 مواقع.

أما خلال العصر الحديدي الثاني فقد زاد عدد المواقع في جميع المناطق الخمس الممسوحة أثرياً، حيث لوحظ زيادة كبيرة في عدد المواقع السكنية. إلا أن الفرق بقي متقارباً بين هذه المناطق والفترات الزمنية الثلاث من حيث التوزيع. وقد أشار كثير من العلماء ممن أجروا هذه المسوحات إلى حدوث تناقص ملحوظ في عدد المواقع الأثرية المؤرخة إلى العصر البرونزي المتأخر، والذي تبعته زيادة ملحوظة في انتشار المواقع السكنية في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول من الشمال وحتى الجنوب كما هو مبين في الجداول والخرائط أعلاه، وكانت معظم هذه المواقع قرى صغيرة. وقد استمرت الزيادة في عدد المواقع في العصر الحديدي الثاني وكان معظمها يمثل استمرارية من الفترات السابقة.

ويمكن ملاحظة أن عدداً كبيراً من المواقع الممسوحة أثرياً قد تركز في المناطق الوسطى من المرتفعات الفلسطينية أي في نابلس ورام الله، وكان عدد المواقع في مناطق الشمال، أي في منطقة الجليل، أقل منه بكثير من تلك الموجودة في نابلس ورام الله. أما في مرتفعات القدس وبيت لحم والخليل ومرتفعات النقب فقد شهدت تقلصاً في عدد المواقع السكنية. وقد حاول كثير من علماء الآثار تفسير ظاهرة الزيادة التي حدثت في العصر الحديدي الأول، وتوزيع وانتشار هذه المواقع على المرتفعات، إلا أن عددا كبيراً منهم اعتمد على العهد القديم كأساس لفهم تلك الظاهرة، من أجل ذلك فإن الباحث سوف يحاول اقتراح تفسير يعتمد على النواحي البيئية والجغرافية والذي نقدمه في خاتمة هذه الدراسة.

الخاتمة:

تُعد دراسة أنماط السكن والاستيطان من أهم العناصر التي تساعد في فهم طبيعة حياة الشعوب على مر العصور الزمنية فهي تعطينا صورة واضحة لما كان في الماضي من خلال الطرق التي يتفاعل من خلالها الفرد مع المجتمع الذي يعيش فيه وكيفية التفاعل مع هذه الطرق، وما فيها من ظواهر ونشاطات مختلفة تضم في طياتها بعض العناصر المهمة مثل العناصر البيئية التي هيمنت مؤثراتها على الإنسان القديم، ومحاولته التكيف معها بابتكار طرق وأنماط جديدة متنوعة للعيش والسكن وكسب القوت، أو حتى بناء العلاقات الاجتماعية التي أدت كذلك إلى حدوث هجرات وحروب وغيرها من مظاهر نشاطات الإنسان الحياتية، ولابد أن يكون هناك عناصر أخرى مرافقة للعناصر للبيئية مثل الجغرافيا والاقتصاد ساعدت على رسم ملامح سكن الإنسان أو أنها كانت الخطوة الأولى نحو تغيير طرق حياته.

في ضوء ذلك وفي ضوء نصوص العهد القديم، نتجت تلك النظريات التي تمت مراجعتها في بداية هذه الدراسة حول السكن في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول، وقد حاولت كل منها أن تضع تفسيراً لنظم سكن المرتفعات الفلسطينية في الفترة المشار إليها، ويبدو أن جميع تلك النظريات قد وقعت في أخطاء كان السبب فيها اعتمادها الواضح على نصوص العهد القديم بشكل أساسي، ومن ثم انطلاقها نحو برهنة ما جاء فيه من خلال علم الآثار وما يقدمه من نتائج تحتاج إلى فهم عقلاني لنتمكن من الوصول إلى إمكانية إعادة بناء ما جرى في تلك الفترة، فكانت نظرية الغزو العسكري من أولى النظريات التي ناقشت موضوع سكن المرتفعات، ونحن عندما نقول أنها من أولى النظريات نقصد بأن هذه النظرية تم اشتقاقها من نصوص العهد القديم بشكل مباشر وكانت أهم خيار يمكن الاعتماد عليه في تفسير ظهور الإسرائيليين كما جاء في العهد القديم، فقد حاول Albright وتلاميذه

تفسير ظهورهم في المنطقة بالاعتماد على تلك الروايات، ويمكننا القول أن جميع محـــاولاتهم قد باءت بالفشل بسبب نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في مواقع كثيرة من فلسطين والتي بينت بطلان حقيقة الهجوم، والتدمير الذي أحدثه الإسرائيليون في الأراضي الفلســطينية فـــي رواية دخولهم إليها. ومن الجدير بالذكر أن نتائج الحفريات هــذه قــد عاصـــرت Albright نفسه، وظهر بشكل واضح إشارته إلى المشاكل التي تعتري القصة التوراتية، والصعوبة الجمة في عمل تطابق بينها وبين المواقع الأثرية واللقى المكتشفة فيها. وبهذا الصدد فــإن نظريـــة الغزو العسكري لم تثبت نفسها ولو بجزء يسير. وقد لاحظ الباحث غياب تلك النظريـــة عـــن النقاش الأثري سريعاً بعد ظهور نظريات أخرى كخيارات تحاول تفسير ظهور الإســرائيليين في المنطقة، فكانت نظرية التسرب السلمي والتي نبعت أساساً من نصوص العهد القديم، وذلك لأخذها بسفر الخروج الذي يروي خروج بني إسرائيل من مصر إلى الأراضي الفلسطينية في العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول بشكل تدريجي سلمي، ومما يدل على أن أساســـها كان العهد القديم، هو مزامنتها لنظرية الغزو العسكري أولاً، واعتبارهـــا أن خـــروج بنـــي إسرائيل كان من مصر كما جاء في نظرية الغزو العسكري ثانياً، والفارق بينهما أن Alt مثلا لم يحاول الأخذ بسفر يَشُوعَ والذي يروي أحداث الهجوم التي تعرضت له فلسطين، وقد استفاد Alt من المصادر المصرية وخاصة رسائل تل العمارنة التي تروي أحداثاً تتعلق بالســـيطرة المصرية على الأراضي الفلسطينية في زمن الفرعونين المصريين أمنحوتب الثالث والرابـــع من خلال الجغرافيا، وحاول ضمن هذا الإطار تصور إمكانية ملائمة مـــا روي فـــي ســـفر الخروج من العهد القديم والرحلات التي ربما كان يقوم بها المصريون إلـــى أرض كنعـــان، وحاول وتلاميذه اشتقاق مصدر قدوم بني إسرائيل من خلال تسربهم عبر الصحراء وصـــولاً إلى الأراضي الفلسطينية والانتشار فيها، وفي المناطق الخالية منها والتي تضمن لهـــم حيـــاة

مستقرة وبعيدة عن الخطر الكنعاني، تلك المناطق كانت المرتفعات الفلسطينية. وقد استمر التنافس بين نظريتي التسرب السلمي والغزو العسكري من خلال الحفريات والمسوحات الأثرية التي أجراها Albright وGlueck و Aharoni وYadin وغيرهم، وذلك حتى عام 1962م عندما ظهرت نظرية جديدة إلى ساحة الجدل القائم بين علماء الآثار في تلك الفترة وهي نظرية الثورة الاجتماعية.

وضع Mendenhall نظريته في إطار علم الاجتماع الذي يحاول تفسير نشاطات الإنسان على أساس التفاعل بين المجتمع وأفراده، ومزج ذلك بروايات العهد القديم، وقد اشتق Mendenhall نظريته من كلا الحقلين، وهي تعرف بنظرية الثورة الاجتماعية أو ثورة الفلاحين الذين ثاروا على الظروف القاسية التي عانوا منها بسبب اضطهاد المصريين لهم قبل الخروج من مصر، وكان خروجهم من مصر باتجاه فلسطين انعكاساً مباشراً لهذا الاضطهاد، ومما يدل على ذلك أن Mendenhall قد تأثر بنصوص العهد القديم في نظريته بأنه يدعي أن توحدهم حول عبادة إله واحد كان سبباً لخروجهم من مصر وتخلصهم من اضطهاد الفرعون لهم. وعلى الرغم من ذلك فإن Mendenhall يعتقد بأن المجموعة التي خرجت من مصر هي مجموعة صغيرة توحدت مع المجتمع الكنعاني في الأراضي الفلسطينية المنخفضة، وشكلوا بذلك نواة ضد الحكم المصري والكنعاني داخل فلسطين، وهكذا فإن الجانب الاجتماعي والشعور بالظلم دفع المجتمع الكنعاني إلى رفض الممارسات الظالمة التي مُورست ضدهم، وقادهم ذلك إلى إيجاد مناطق جديدة يمكن لهم العيش فيها ويمكنهم أيضاً خلق كيان جديد يرفض الظلم ويبشر بالتعايش والشعور بالأمن والمساواة. وهكذا فإن نظرية Mendenhall قد قللت من شأن نظرية التسرب السلمي التي تلقي بثقلها على عامل دخول مجتمع كامل إلى المنطقة، ويظهر ذلك من خلال أن Mendenhall قلل كثيراً من حجم تلك المجموعة

واعتبارها مجموعة صغيرة، بالإضافة إلى اعتماده على علم الاجتماع بشكل كبير إلى جانب العهد القديم. وفي السنوات التي تلت ظهور نظرية Mendenhall طور Gottwald تلك النظرية وكان من أهم ما حققه Gottwald اعتبار الجماعات التي ثارت على الحكم المصري جماعات كنعانية ولا يوجد أي رابط لهم بمصر، أي انه لم يكن هناك خروج من مصر، ولا يوجد جماعات دخلت فلسطين في تلك الفترة أصلاً. وتتبع أهمية ما جاء به Gottwald من انه استبعد نظرية التسرب السلمي والغزو العسكري من النقاش الأثري بشكل كامل، بالإضافة إلى تعديله الكثير مما جاء به Mendenhall وقد بنى Gottwald حجته على أساس المجتمع المحلي الواحد الذي يضم المزارعين والفلاحين والبدو أيضاً، والذين توحدوا ضد النظام المصري والكنعاني، ودفعهم ذلك إلى البحث عن أماكن يمكن لهم العيش فيها بسلام وتأسيس مجتمعهم الإسرائيلي هناك، وقد عزا Gottwald الدمار الذي حل بالمدن الكنعانية إلى الجماعات التي ثارت على النظام القائم آنذاك. ويعد مضمون نظرية الثورة الاجتماعية في نظر علماء الآثار متماسكاً إلى حد ما، ولكنه يفتقر إلى الدليل الأثري الذي يدعم مثل هذا الافتراض إلا أن أساس تلك النظرية يعتمد على العهد القديم وذلك بمحاولة Mendenhall وGottwald إثبات وجود إسرائيلي في تلك الفترة، ونرى أن Finkelstein مثلا لا يرى أن أصل سكان المرتفعات الفلسطينية من المنخفضات وذلك بسبب عدم تعرض هذه المنطقة للمجاعات أو الزيادة السكانية التي تدفع المجتمع إلى الثورة أو الانتقال إلى مناطق أخرى، فهو يفسر أصول سكان المرتفعات من منظور آخر فظهرت نظريته حول البداوة الرعوية.

يعتقد Finkelstein أن أصول سكان المرتفعات الفلسطينية بدوي رعوي من داخل الأراضي الفلسطينية وليس من خارجها، إلا أنه يرى أنهم من مناطق أسماها مناطق التخوم والمناطق الهامشية للمجتمع الكنعاني وهي مجموعات الشاسو والعبيرو، تلك الجماعات التي

حاول Lemche أن يعول على إحداها وهم العبيرو بتكوين النواة الأولى للمجتمع الكنعـاني، وعلى أية حال فهي برأي Finkelstein مناطق قاسية من النواحي الجغرافية والبيئية، وقـد استعمل Finkelstein نموذج الدورة التاريخية حتى يثبت أصول سكان المرتفعات الفلسطينية البدوي الرعوي وذلك بإشارته إلى أن تلك المنطقة شهدت ظروفاً مختلفـة أدت فـي بعـض الأحيان إلى الازدهار والمدنية، وأدت في أحيان أخرى إلى تراجع المدنية وعودة المجتمع إلى النمط البدوي الرعوي لكسب سبل العيش في مناطق التخوم. وكان ظهور مملكة إسرائيل في نهاية العصر الحديدي الأول إحدى تلك الفترات التي شهدت ازدهاراً في الأراضي الفلسطينية والتي سبقها تراجع في العصر البرونزي المتأخر، ويدعّم Finkelstein تلك النظريـة بـأن هؤلاء البدو الرعاة وجدوا طريقهم للعيش إلى جانب الكنعانيين وتحولوا تدريجياً إلى مزارعين في مدة 200 عام. والدليل على ذلك المسوحات الأثرية التي أجراها هو وغيره كما بينا فـي هذه الدراسة، بالإضافة إلى اعتباره أن المواد الحضارية كالفخار تعبر عن مجموعات إثنيـة جديدة من مناطق التخوم أي المرتفعات الفلسطينية، وبصدد ذلك قـام Dever بنقـد نظريـة Finkelstein واعتبر أن المواد الحضارية كالفخار استمرارية للفخار الكنعاني، كم هو الحال في موقع تل الجزر، إلا أن Dever مع ذلك يحاول إيجاد عناصر بديلة كاللغـة يمكـن مـن خلالها وضع أسس لإثنية جديدة يسميها "الإسرائيليين الأوائـل Proto-Israelites". ويـرى Finkelstein أن وجود عناصر ثقافية مثل المعابد والمقابر المنعزلة وعـدم وجـود عظـام الخنازير في المرتفعات الفلسطينية في العصر الحديدي الأول يعد دليلاً على أن إثنية جديدة قد ظهرت في تلك الفترة، وأن هذه العناصر تعبر عن تميز تلك الإثنية بما مارسته، وذلك عمـا حولها من مجتمعات أخرى، وكانت تلك العناصر من الدلائل الأولى على ظهور دولة إسرائيل القديمة على أراضي المرتفعات الفلسطينية.

لهذا السبب قام الباحث بعمل دراسة نظرية تم خلالها مراجعة معظم النظريات المتعلقة بالسكن في المرتفعات الفلسطينية، بالإضافة إلى النظر في التأريخ الزمني لتلك الفترة، وقام بتحديد المنطقة من الناحية الجغرافية ودراسة الظروف البيئية فيها من نواحي المناخ وسبل العيش والجيومروفلوجيا، وقد كان التركيز على دراسة البيئة من أجل محاولة فهم ظاهرة السكن والمؤثرات التي لعبت دوراً في مجريات الأحداث في العصر الحديدي الأول على الصعيد الإنساني والحيواني والنباتي، بالإضافة إلى التعرف على مفهوم السكن والاستيطان والمؤثرات التي تلعب دوراً في تحديده، وطرق دراسة السكن والاستيطان وشروط نشوء المناطق السكنية وعلاقتها بغيرها. وفي ضوء ذلك تم دراسة المسوحات الأثرية التي جرت في المرتفعات الفلسطينية والتغيرات التي حدثت في أنماط السكن في تلك المنطقة خلال العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول والثاني. وقد خلص الباحث من هذه الدراسة إلى النتائج التالية:

1- اعتمدت جميع النظريات التي تدرس السكن في المرتفعات الفلسطينية على العهد القديم كأساس لتفسير ظاهرة السكن في المرتفعات الفلسطينية بما فيهم Finkelstein والذي حدد منطقة رام الله على أساس توراتي.

2- عدم وجود دلائل مقنعة على وجود آثار لثورة أو عنف تؤيد ما ذهب إليه Mendenhall وGottwald وذلك في رأي الباحث بسبب تراجع الدور المصري في نهاية العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، والذي عول Mendenhall وGottwald عليه الدور الأكبر في حدوث الثورة.

3- أن مسلة مرنبتاح لا يمكن أن تدلل على وجود شعب إسرائيلي ولا يمكن أن تشير إلى مكان وجوده جغرافياً كما عبر عنها Finkelstein وDever. إذا كان موجوداً.

4- وجود استمرارية للفخار في المرتفعات الفلسطينية في نفس المنطقة ومنطقة المنخفضات.

5- وجود علاقات اقتصادية وسيطرة مصرية على الأراضي الكنعانية في العصر البرونزي المتأخر بدليل رسائل تل العمارنة زمن أمنحوتب الثالث والرابع.

6- قام الباحث بالاعتماد على التأريخ الذي وضعه علماء الآثار الإسرائيليين من أجل القدرة على فهم عمليات التغير في أنماط السكن والاستيطان في المرتفعات الفلسطينية بحسب المسوحات التي أجراها الإسرائيليون أنفسهم والتأريخ الزمني الذي وضعوه لنتائج تلك المسوحات.

7- مع نهاية العصر البرونزي المتأخر والحديدي الأول، حدث تراجع وانهيار لبعض حضارات الشرق القديم مثل الحضارة المصرية والحثية والإيجية.

8- تتمتع المرتفعات الفلسطينية بأقاليم جغرافية متنوعة، مما يجعلها في رأي الباحث مصدر نبض الحياة للأراضي الفلسطينية وليست مناطق تخوم، باستثناء مناطق النقب الصحراوية، وقد أدى هذا التنوع الجغرافي إلى التنوع المناخي وبالتالي التنوع في النباتات والحيوانات مما يجعلها جاذبة للإنسان عبر العصور وبنسب تعتمد على مصادرها الطبيعية وطبيعة مناخها حسب كل فترة.

9- تلعب البيئة دوراً مهماً جداً في تحديد نمط سكن الإنسان وسبل عيشه.

10- تعرضت المناطق الفلسطينية إلى حالة تغير مناخي نحو الجفاف في نهاية العصر البرونزي المتأخر وبداية العصر الحديدي الأول.

11- يؤثر المناخ وتغيراته في استعمال الإنسان لطرق جديدة من أجل التأقلم مع البيئة المحيطة كالسلاسل الحجرية وصهاريج المياه التي تفيد في السيطرة على المياه من أجل الزراعة كما في الأراضي الفلسطينية.

12- تتمتع المرتفعات الفلسطينية بظروف مناخية أكثر رطوبة من المنخفضات الفلسطينية في ظروف مثل التغير المناخي نحو الجفاف وذلك بسبب انخفاض درجات الحرارة الــذي يتأثر بعامل الارتفاع عن سطح البحر وصعود الرياح الباردة نحو الجبال.

13- كانت السلاسل الحجرية وصهاريج المياه تستعمل في المرتفعات الفلسطينية قبل العصر الحديدي الأول وأثنائه وفي ما بعده.

14- زراعة سكان المرتفعات الفلسطينية للمحاصيل الحقلية والتي تقاوم وتتحمــل التغيــرات المناخية كالجفاف أكثر من الأشجار المثمرة والتي تحتاج إلى فترة زمنية طويلة للنمــو والتي تكون أكثر عرضة لفشل مواسمها الإنتاجية.

15- يمكن أن يسبب تغير المناخ نحو الجفاف اختفاء بعض النباتات والحيوانات كالخنــازير والتي تحتاج إلى كميات مياه كبيرة لتبقى على قيد الحياة.

16- تتأثر أنماط السكن بعوامل كثيرة منها بيئية واقتصادية وتجاريــة، فالعوامــل البيئيــة والاقتصادية والتجارية المزدهرة تجذب الإنسان إلى السكن والاستقرار، أمــا تحــول المناخ نحو الجفاف ومن ثم تراجع الاقتصاد والتجارة يؤدي إلى نفور الإنسان من هذه الظروف ويضطره ذلك إلى البحث عن مناطق أخرى لتوفير سبل عيشه.

17- تؤدي الزيادة السكانية إلى التوسع وإنشاء مواقع سكنية جديدة، وقد ينتج من هذا الحــال ظهور مقابر بعيدة عن مناطق السكن تشترك في استعمالها القرى السكنية ذات جــذور مشتركة واحدة.

18- قد يبقى المكان المقدس كالمعبد مستعملاً من قبل القرى والمواقع السكنية المنتشرة حوله، وقد يستمر استعماله في فترات زمنية مختلفة.

19- شهد العصر البرونزي المتأخر في المرتفعات الفلسطينية تراجعاً في عدد المواقع السكنية بحسب المسوحات الأثرية التي أجراها الإسرائيليون.

20- شهد العصر الحديدي الأول موجات سكنية في جميع مناطق المرتفعات الفلسطينية ولكن بتفاوت أعداد هذه المواقع من منطقة إلى أخرى، فكانت في نابلس ورام الله أعلى من باقي المناطق الأخرى إلى الشمال والجنوب منها.

21- استمرت الزيادة في أعداد المواقع السكنية خلال العصر الحديدي الثاني في المرتفعات الفلسطينية بنفس الوتيرة التي شهدها العصر الحديدي الأول من ناحية توزيع هذه المواقع على الأقاليم، إلا أن أعداد هذه المواقع قد تضاعفت في تلك المناطق.

بعد التوصل إلى هذه النتائج، فإن ما يقول به Finkelstein من عدم حدوث تغير مناخي نحو الجفاف في بداية العصر الحديدي الأول، وحول ظاهرة المعابد والمقابر المعزولة والتي تدل على صفة السكان البدوية الرعوية الناشئة من مناطق التخوم، والذين استقروا بسبب الظروف المناخية المواتية لذلك، واختفاء عظام الخنازير التي تدل على ظهور إثنية جديدة تتبع ديناً جديداً يحرم أكل لحم الخنزير، وعدم تعرض المناطق المنخفضة للمجاعة أو الزيادة السكانية العالية والتي تجعل سكان تلك المنطقة ينتقلون للمرتفعات، وما لهذه العناصر من دلائل على محاولته إعطاء ذلك انطباعاً إثنياً، مثل ما يحاول Dever وغيره، فأننا من هنا يمكن أن نقترح نموذجاً مغايرا لما قدمه Finkelstein، فالباحث في ضوء الدراسة النظرية التي أجراها يفترض ما يلي:

كانت المناطق الفلسطينية المنخفضة مثل السهل الساحلي تتمتع بحركة تجارية واقتصادية نشطة في العصر البرونزي المتأخر وذلك بسبب وجود المصريين الذين كانوا يسيطرون على تلك المناطق. وهذا أدى بالتالي إلى جذب عدد كبير من سكان المرتفعات

الفلسطينية الكنعانيين للعيش في المناطق المنخفضة، والاستفادة من الازدهار الاقتصادي والتجاري فيها عن طريق إيجاد أعمال تجارية أو زراعية أو ما شابه، فزاد عدد السكان في السهل الساحلي وقل عددهم في المرتفعات، ومع نهاية العصر البرونزي المتأخر شهدت المنطقة تغيراً مناخياً نحو الجفاف الذي عصف بمعظم مناطق الشرق القديم، مما أدى إلى ارتفاع درجات الحرارة فيها. وكان من نتائج هذا التغير المناخي تراجع بعض الحضارات القديمة ومنها المصرية، فتراجع التأثير المصري على الأراضي الفلسطينية تدريجياً، وانعكس هذا التراجع على ضعف شديد أصاب الحركة التجارية والاقتصادية في المدن الكنعانية، مما أدى إلى تراجع أهميتها كمراكز تجتذب السكان للعيش فيها، وذلك بسبب استنزاف المصادر الطبيعية فيها في العصر البرونزي المتأخر لغايات التجارة، ترافق ذلك مع موجة الجفاف التي ضربت المنطقة، مما دفع بالكنعانيين إلى النظر نحو المرتفعات الفلسطينية أو الأردنية، فسكان الأغوار في تلك الفترة ربما تحركوا باتجاه الشرق والغرب وأن ذلك لم يقتصر في رأي الباحث على السهل الساحلي ومواقعه السكنية، وذلك لأسباب مناخية فالمرتفعات أكثر رطوبة من المنخفضات وذلك بسبب عوامل الطقس والمناخ المختلفة، بالإضافة إلى سعيهم نحو إيجاد مصادر طبيعية جديدة لم تستهلك بنفس الطريقة التي تعرضت لها أراضي المنخفضات الفلسطينية. ومن هنا بدأ قسم من المجتمع الكنعاني بالرجوع إلى المرتفعات والتي كانت معروفة لديهم، وربما يعطينا موقع تل بلاطة خير دليل على استمرارية السكن الكنعاني في المرتفعات. وعلى أية حال، فقد بدأت المجموعات الكنعانية بالتدفق من جديد نحو المرتفعات فكانت مناطق الوسط أي مرتفعات نابلس ورام الله الأكثر جذباً لهم وذلك بدليل كثافة المواقع السكنية في تلك المنطقة في العصر الحديدي الأول، وكان سكنهم في المرتفعات الجنوبية أي القدس وبيت لحم والخليل والنقب أقل منه في نابلس ورام الله، لأن المرتفعات الجنوبية تتصف

بالمناخ شبه الصحراوي والذي يصبح أكثر قسوة في حال حدوث تغير مناخي نحو الجفاف، أما مرتفعات الجليل فقد كانت السكنى فيها أقل من مرتفعات نابلس ورام الله وذلك ربما كان بسبب وعورة تلك المنطقة تضاريسياً، وهذا لا يعني أنها لم تكن جاذبة للكنعانيين أيضاً، ولكن بنسبة اقل من مرتفعات نابلس ورام الله، وكانت هذه المواقع السكنية تعود للكنعانيين وذلك ربما بسبب طبيعة المواقع الزراعية صغيرة المساحة والتي تنتشر بطريقة التوسع في مناطق المرتفعات الفلسطينية. ومن الدلائل على أن هذه المواقع تعود للكنعانيين الفلاحين والمزارعين وجود معبد تل سيلون الذي كان يشكل مركزاً لما حوله من المواقع السكنية، ومنشأة جبل عيبال التي تعد معبداً، ومعبد موقع الثور في جنين، ومعبد مطار عمان، بالإضافة إلى وجود المقابر المنعزلة، وهذا العامل يؤكد اشتراك المجتمع الكنعاني الزراعي في استعمال نفس المنشئات المقدسة والمقابر، وفي هذا الصدد يرى الباحث أن مجموعات مثل العبيرو والتي ربما ذكرت في المصادر المصرية، كانت متواجدة هناك في مصر وذلك بسبب عدم حدوث خروج من تلك البلاد أو غزو عسكري أو حتى تسرب سلمي يدلل على تواجدهم في الأراضي الكنعانية، أما الشاسو فربما عاشوا في مناطق جنوب الأردن وشكلوا ما يعرف بلآدميون.

أما بالنسبة للتغير المناخي في المنطقة فمن الدلائل عليه ربما غياب عظام الخنزير والذي ربما انقرض بسبب الجفاف وقلة المياه في المرتفعات الفلسطينية، ووفرتها بسبب الجداول والأنهار الصغيرة في المنخفضات رغم ارتفاع درجات الحرارة فيها، وقد دلّ استعمال الكنعانيين للسلاسل الحجرية وصهاريج المياه على حاجتهم إلى التحكم في المياه لأغراض الزراعة، وزراعتهم لمحاصيل مثل القمح والشعير كمحاصيل تقاوم عمليات الجفاف أكثر من الأشجار المثمرة التي يَسهُل فشل محصولها في تلك الظروف، ويدل استعمالهم لهذه التقنيات التي كانت مستعملة في فترات أقدم على وراثة المجتمع الكنعاني في العصر الحديدي

الأول لعادات وتقاليد أسلافهم في الفترات الزمنية الأقدم، والذين ربما مروا بفتـــرات جفـــاف كالتي حدثت في العصر الحديدي الأول.

وبالنظر إلى العصر الحديدي الثاني، فإن الزيادة التي شهدتها هذه المرحلة من تاريخ الأراضي الفلسطينية من زيادة أكبر في عدد المواقع السكنية تعبر ربما عن حدوث تراجع في حدة موجة الجفاف في تلك المنطقة، والدليل على ذلك انتشار مواقع أكثر في مناطق القـــدس وبيت لحم والخليل، وبالنظر إلى خرائط توزيع وانتشار أنماط السكن في المرتفعات الفلسطينية في العصر البرونزي المتأخر والحديـــدي الأول والثـــاني يســـتطيع المـــرء أن يتصـــور أن المرتفعات الفلسطينية كانت عامرة بالكنعانيين دائماً، وأن ما جرى هو عمليات تعكس تكـــيفهم وتطورهم ومدى رفضهم واستجابتهم للظروف البيئية والاقتصادية التي مـــرت بهـــا كامـــل الأراضي الفلسطينية في تلك الفترات وحتى أوائل القرن العشرين الماضي.

لذلك يجد الباحث من الضروري بمكان أن يتم ما يلي:

1- التركيز على دراسة العوامل البيئية والاقتصادية في البحث في آثار بلاد الشام بشكل عام وذلك بتناول فكرة التغير المناخي في العصر الحديدي الأول بجدية وعمل أبحاث ميدانية حولها.

2- ضرورة البحث في أنماط السكن في المناطق المنخفضة للأراضي الفلسطينية في الســـهل الساحلي والأغوار لمعرفة مدى التغير في أنماط السكن في العصر البرونـــزي المتـــأخر والحديدي الأول والثاني لتبدو الرؤية أكثر وضوحاً حول عمليات انتشار وتوزيع الســـكن في تلك المناطق، ولمعرفة مدى مصداقية النموذج الذي قدمه الباحث في هذه الدراسة.

3- ضرورة الحذر في التعامل مع معطيات المسوحات الأثرية في المرتفعـــات الفلســـطينية والتي تمت في النصف الثاني من القرن العشرين ميلادية، وذلك لأسباب تتعلق بتـــأريخ

فخار تلك المسوحات والذي ربما يعاد النظر فيه بعد فحصه من جديد، إضافة إلى الحذر الشديد في التعامل مع ما يسمى لدى Finkelstein بالدورة التاريخية التي تبدأ بالعصر البرونزي المبكر وحتى يومنا هذا.

4- أن يتم عمل دراسات ميدانية على طبيعة السكن في الأراضي الأردنية في تلك الفترات بما يشمل ذلك من دراسات مكثفة حول البقايا الحيوانية في المواقع الأثرية لما لذلك من أهمية بالغة جداً في فهم آثار المنطقة نفسها بشكل مباشر ومحاولة تطبيق نتائج تلك الأبحاث على المناطق الفلسطينية (أي استنباط التاريخ بشكل غير مباشر من خلال المقارنات والتشابهات والاختلافات بين المناطق).

5- وجوب النظر بشكل جدّي في المجريات التاريخية والأثرية للعصر الحديدي الثاني وتفسيرها بالاعتماد على علم الآثار وعلوم أخرى كالبيئة والجغرافيا وغيرها.

6- ضرورة إعادة النظر في تسمية العصر الحديدي بشكل عام، ومعرفة مدى أهميته على صعيد التاريخ الكنعاني الفلسطيني، فهل شكل نقطة فاصلة في هذا التاريخ؟

7- ضرورة النظر إلى الأراضي الفلسطينية كوحدة واحدة، تتعرض لتأثيرات بيئية واقتصادية تنعكس في المجتمع الكنعاني على مدى العصور التاريخية وضرورة النظر إلى المادة الأثرية في ضوء علم الآثار والعلوم المساعدة التي تدرس المجتمع الكنعاني وتجيب عن أسئلة كثيرة حول هذا المجتمع الذي من المستحيل أن يكون قد اختفى في ليلة وضحاها.

قائمة المراجع:

المراجع العربية:

إبراهيم، معاوية

1990 فلسطين: من أقدم العصور إلى القرن الرابع قبل الميلاد. **الموسوعة الفلسطينية** 2/2: 1-138.

2010 **دراسات في آثار فلسطين**. عمّان: البركة.

بحيري، صلاح الدين

1974 **أرض فلسطين والأردن: طبيعتها وحيازتها واستعمالاتها**. عمّان: الجامعة الأردنية.

الدباغ، مصطفى كامل

1965 **بلدنا فلسطين** 1/1. بيروت: الطليعة.

السامرائي، قصي عبد المجيد

2008 أ **مبادئ الطقس والمناخ**. عمّان: اليازوري.

2008 ب **المناخ والأقاليم المناخية**. عمّان: اليازوري.

السعود، راتب سلامة

2010 **الإنسان والبيئة: دراسة في التربية البيئية**. عمّان: الثقافة.

الشامي، كامل خالد

1991 **جغرافية فلسطين**: دراسة الأقاليم الطبيعية. عمّان: غنيم.

شراب، محمد حسن

1987 **معجم بلدان فلسطين**. دمشق: المأمون.

الشمري، وفاء

2011 **الجغرافيا الزراعية**. عمّان: البداية.

الشواورة، علي سالم

2012 **جغرافيا المناخ والطقس**. عمّان: دار المسيرة.

عابد، عبد القادر

1990 فلسطين: الموضع والموقع. **الموسوعة الفلسطينية** 2/1: 1-162.

2000 جيولوجية الأردن ومياهه. عمّان: نقابة الجيولوجيين الأردنيين.

عبد السلام، عادل

1990 المياه في فلسطين. **الموسوعة الفلسطينية** 2/1: 163-267.

عبد القادر، حسن، وعيوش، ذياب

1995 **جغرافية فلسطين**. عمّان: جامعة القدس المفتوحة.

غانم، علي احمد

2012 **مبادئ التنبؤات الجوية**. عمّان: المسيرة.

كفافي، زيدان

2005 **أصل الحضارات الأولى**. الرياض: القوافل.

2006 **تاريخ الأردن وآثاره في العصور القديمة (العصور البرونزية و الحديدية)**. عمّان: المقتبس.

2011 **بلاد الشام في العصور القديمة: من عصور ما قبل التاريخ حتى الإسكندر المقدوني**. عمّان: الشروق.

الكيالي، عبد الوهاب

1990 **تاريخ فلسطين الحديث**. بيروت: المؤسسة العربية.

محمد، خليل إسماعيل

1982 **أنماط الاستيطان الريفي في العراق**. بغداد: جامعة بغداد.

المطري، السيد خالد

1990 **جغرافية الاستيطان الريفي**. جدة: دار السعودية.

موسى، علي حسن

2006 **موسوعة الطقس والمناخ**. دمشق: نور.

النحال، محمد سلامة

1966 **جغرافية فلسطين: دراسة طبيعية اقتصادية سياسية**. بيروت: العلم للملايين.

1981 **فلسطين: أرض وتاريخ**. بيروت: فلسطين المحتلة.

المراجع الانجليزية:

Aharoni, Y.
1967 *The Land of the Bible: A Historical Geography. Revised and enlarged edition*, trans. A.F. Rainey. Philadelphia: Westminster.

1976 Nothing Early and Nothing Late: Re-Writing Israel's Conquest. *Biblical Archaeologist* 39/2: 55-76.

1982a *The Archaeology of the Land of Israel: From the Prehistoric Beginnings to the End of the First Temple Period*, Trans. A.F. Rainey. Philadelphia: Westminster.

1982b The Israelite Occupation of Canaan: An Account of the Archaeological Evidence. *Biblical Archaeology Review* 8/3: 14-23.

Aharoni, Y., Amiran, R.
1958 A New Scheme for the Sub-Division of the Iron Age in Palestine. *Israel Exploration Journal* 8/3: 171-184.

Ahlström, G.W.
1982 Where did the Israelite Live? *Journal of Near Eastern Studies* 41/2: 133-138.

1986 *Who Were the Israelites?* Winona Lake: Eisenbrauns.

Akkermans, P., Schwartz, G.
2003 *The Archaeology of Syria: from Complex Hunter-Gatherers to Early Urban Societies (ca. 16,000-300 BC)*. Cambridge: Cambridge.

Albright, W. F.
1935 Archaeology and the Date of the Hebrew Conquest of Palestine. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 58: 10-18.

1937 Further Light on the History of Israel from Lachish and Megiddo. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 68: 22-26.

1939 The Israelite Conquest of Canaan in the Light of Archaeology. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 74: 11-23.

1940 *From the Stone age to Christianity*. Baltimore: Johns Hopkins.

1942 *Archaeology and the Religion of Israel: The AYER Lectures of the Colgate-Rochester Divinity School 1941*. Baltimore: Johns Hopkins.

1949 *The Archaeology of Palestine*. Baltimore: Pelican Books.

1963 *The Biblical Period from Abraham to Ezra*. New York, Evanston: Harper Torchbooks; Cloister Library; Harper & Row.

1974 *The Archaeology of Palestine and the Bible*. Massachusetts: The American Schools of Oriental Research.

Allan, W.
1972 Ecology, Techniques and Settlement Patterns. Pp. 211-226 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Alt, A.
1925 *Die Landnahme der Israeliten in Palästina.* (Trans. 1966. *Essays on Old Testament History and Religion.* New York: Doubleday: 173-221).

Amiran, R.
1969 *Ancient Pottery of the Holy Land: From its Beginnings in the Neolithic Period to the End of the Iron Age*. Jerusalem: Massada.

Ashbel, D.
1973 Climate. Pp. 94-111 in *Geography*. Jerusalem: Keter Books.

Avi-Yonah, M (ed.).
1975 *Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land 1*. London: Oxford.

Banning, E.
2003 Archaeological Survey in the Southern Levant. Pp.164-167 in *Near Eastern Archaeology: A Reader*, ed. S. Richard. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

Barkay, G.
1992 The Iron Age II-III. Pp.302-373 in *The Archaeology of Ancient Israel,* (ed.) A. Ben-Tor, Trans. R. Greenberg. London: Yale.

Beit-Arieh, I.
2008 Negeb: Iron Age. Pp. 1064-1066 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.4*, ed. D.N. Freedman. New Haven, London: Yale University.

Bintliff, J.L.
1982 Climatic Change, Archaeology and Quaternary Science in the Eastern Mediterranean Region. Pp.143-161 in *Climatic Change in Later Pre-History*, ed. A. Harding. Edinburgh: Edinburgh.

Blanchard, R., Du Buit, M.
1966 *The Promised Land*. Trans. R. Hunt. New York: Hawthorn Book.

Blouet, B.
1972 Factors Influencing the Evolution of Settlement Patterns. Pp. 3-15 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Borowski, O.
1987 *Agriculture in Iron Age Israel*. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

2008 Agriculture. Pp. 95-98 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol. 1*, ed. D. Freedman. New Haven, London: Yale University.

Bottema, S.
1997 Third Millennium in the Near East Based Upon Pollen Evidence. Pp. 489-515 in *Third Millennium BC Climate Change and Old World Collapse*, eds. H. Dalfes; G. Kukla; and H. Weiss. Berlin: Springer.

Bryson, R., Padoch, C.
1981 On the Climates of History. Pp. 3-17 in *Climate and History: Studies in Interdisciplinary History*, eds. R. Rothberg, T. Rabb. New Jersey: Princeton.

Callaway, J.
1985a A New Perspective on the Hill Country Settlement of Canaan in the Iron Age I. Pp. 31-49 in *Palestine in the Bronze and Iron Ages: Papers in Honour of Olga Tufnell*, ed. J. Tubb. London: Institute of Archaeology.

1985b Respondent. Pp. 72-78 in *Biblical Archaeology Today: Proceeding of the International Congress on Biblical Archaeology: Jerusalem, April 1984*, ed. J. Amitai. Jerusalem: Israel Exploration Society.

Carrol, S.
2008 Bethlehem. Pp. 712-715 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.1*, ed. D.N. Freedman. London: Yale.

Chapman III, R.
2009 Editorial: The Chronology of the Iron Age in the Southern Levant. *Palestine Exploration Quarterly* 41/3: 157-158.

Cohen, R.
1993 Middle Bronze Age and Iron II Sites in the Negev Hills. Pp. 1123-1133 in *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol. 3*, ed. E. Stern. Jerusalem: Israel Exploration Society.

Cranstone, B.
1972 Environment and Choice in Dwelling and Settlement: An Ethnographical Survey. Pp. 487-503 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Danin, A.
1995 Man and the Natural Environment. Pp. 24-39 in *The Archaeology of Society in the Holy Land,* ed. T. Levy. London: Leicester.

Dar, S.
2008 Samaria: Archaeological Survey of the Region. Pp. in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.3*, ed. D.N. Freedman. New Haven, London: Yale University.

de Geus, C.H.
1975 The Importance of Archaeological Research into the Palestinian Agricultural Terraces, with an Excursus on the Hebrew Word gbĭ. *Palestine Exploration Quarterly* 107: 65-74.

2003 *Towns in Ancient Israel and in the Southern Levant*. Leuven: Peeters.

Dever, W. G.
1993 Cultural Continuity, Ethnicity, in the Archaeological Record and the Question of Israelite Origins. *Eretz-Israel* 24: 22*-33*.

1995 Ceramics, Ethnicity, and the Question of Israel's Origins. *Biblical Archaeologist* 58/4: 200-213.

2003 Chronology of the Southern Levant. Pp. 82-87 in *Near Eastern Archaeology: A Reader*, ed. S. Richard. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

Dickinson, O.
2010 The Collapse at the End of the Bronze Age. Pp. 483-490 in *The Oxford Handbook of the Bronze Age Aegean (ca. 3000-1000 BC)*, ed. E. Cline. Oxford: Oxford University.

Dincauze, D.
2000 *Environmental Archaeology: Principles and Practice*. Cambridge: University of Cambridge.

Drinkard, J.F., Mattingly, G., and Miller, J.M. (eds.).
1988 *Benchmarks in Time and Culture: An Introduction to Palestinian Archaeology Dedicated to Joseph A. Callaway*. Atlanta: Scholars.

Eidt, R.
1984 *Advances in Abandoned Settlement Analysis: Application to Prehistoric Anthrosols in Colombia, South America.* Milwaukee: University of Wisconsin.

Ferris Jr., P.
2008 Judah. Pp.1036-1037 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.3*, ed. D.N. Freedman. London: Yale.

Finkelstein, I.
1985 Respondent. Pp. 80-83 in *Biblical Archaeology Today: Proceeding of The International Congress on Biblical Archaeology: Jerusalem, April 1984,*ed. J. Amitai. Jerusalem: Israel Exploration Society.

1988 *The Archaeology of the Israelite Settlement*. Jerusalem: Israel Exploration Society.

1992 Pastoralism in the Highlands of Canaan in the Third and Second Millennia B.C.E. Pp.133-142 in *Pastoralism in the Levant: Archaeological Materials in Anthropological Perspectives*, eds. O. Bar-Yosef and A. Khazanov. Madison, Wisconsin: Prehistory.

1993 The Southern Samarian Survey. Pp.1313-1314 in *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol.4*, ed. E. Stern. Jerusalem: Israel Exploration Society.

1994 The Emergence of Israel: A Phase in the Cyclic History of Canaan in the Third and Second Millennia B C E. Pp. 150-178 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

1995a The Great Transformation: The 'Conquest' of the Highlands Frontiers and the Rise of the Territorial States. Pp.349-365 in *The Archaeology of Society in the Holy Land*, ed. T. Levy. London: Leicester.

1995b *Living on the Fringe: The Archaeology and History of the Negev, and Sinai and Neighboring Regions in the Bronze and Iron Ages.* Sheffield: Sheffield.

1996 Ethnicity and Origin of the Iron I Settlers in the Highlands of Canaan: Can the Real Israel Stand Up? *Biblical Archaeologist* 59/4: 198-212.

1997 Pots and People Revisited: Ethnic Boundaries in Iron I. Pp. 216-237 in *The Archaeology of Israel: Constructing the Past, Interpreting the Present*, eds. N. Silberman, D. Small. Sheffield: Sheffield.

1998 Bible Archaeology or Archaeology of Palestine in the Iron Age? A Rejoinder. *Levant* 30: 167-174.

2007a Patriarchs, Exodus, Conquest: Fact or Fiction? Pp. 41-55 in *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel,* by I. Finkelstein and A. Mazar, ed. B. Schmidt. Atlanta: Society of Biblical Literature.

2007b When and How Did the Israelite Emerge? Pp.73-83 in *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel,* by I. Finkelstein and A. Mazar, ed. B. Schmidt. Atlanta: Society of Biblical Literature.

2008 Archaeology of Ephraim. Pp. 553-555 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.3*, ed. D.N. Freedman. New Haven, London: Yale University.

Finkelstein, I., Silberman, N. A.
2001 *The Bible Unearthed: Archaeology's New Vision of Israel and the Origin of its Sacred Texts*. New York: The Free Press.

Frankel, R.
1994 Upper Galilee in the Late Bronze – Iron I Transition. Pp. 18-34 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

2008 Galilee. Pp.879-895 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.2*, ed. D.N. Freedman. New Haven, London: Yale University.

Gal, Z.
1992 *Lower Galilee During the Iron Age*. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

1993 Galilee: Chalcolithic to Persian Periods. Pp. 450-453 in *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol.1*, ed. E. Stern. Jerusalem: Israel Exploration Society.

1994 Iron I in Lower Galilee and the Margins of the Jezreel Valley. Pp. 35-46 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

Gibbon, G.
1984 *Anthropological Archaeology*. New York: Columbia University.

Gibson, S.
2001 Agricultural Terraces and Settlement Expansion in the Highlands of Early Iron Age Palestine: Is There Any Correlation between the Tow?. Pp. 113-146 in *Studies in the Archaeology of the Iron Age in Israel and Jordan,* ed. A. Mazar. Sheffield: Sheffield.

Golden, J.M.
2009 *Ancient Canaan and Israel: An Introduction*. Oxford: Oxford University.

Gonen, R.
1992 The Late Bronze Age. Pp. 211-257 in *The Archaeology of Ancient Israel,* ed. A. Ben-Tor, Trans. R. Greenberg. London: Yale.

Gottwald, N. K.
1979 *The Tribes of Yahweh: A Sociology of the Religion of Liberated Israel 1250-1050 B.C.E.* Maryknoll, New York: Orbis Books.

1983 Two Models for the Origins of Ancient Israel: Social Revolution or Frontier Development. Pp. 5-24 in *The Quest for the Kingdom of God: Studies in Honor of George E. Mendenhall,* eds. H.B. Huffmom; F.A. Spina; and A.R. W. Green. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

1985 The Israelite Settlement as a Social Revolutionary Movement. Pp. 34-46 in *Biblical Archaeology Today: Proceedings of the International Congress on Biblical Archaeology, Jerusalem, April 1984.* Jerusalem: Israel Exploration Society.

Grove, D.
1972 The Function and Future of Urban Centers. Pp. 559-565 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Hamond, F.
1981 The Colonization of Europe: the Analysis of Settlement Processes. Pp. 211-248 in *Patterns of the Past: Studies in Honour of David Clarke*, eds. I. Hodder; G. Isaac; and N. Hammond. London: Cambridge University.

Harding, A.
1982 Introduction: Climatic Change and Archaeology. Pp. 1-10 in *Climatic Change in Later Pre-History*, ed. A. Harding. Edinburgh: Edinburgh.

Harlan, J.
1972 Crops that Extend the Range of Agricultural Settlement. Pp. 239- 243 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Herr, L., Najjar, M.
2008 The Iron Age. Pp. 311-333 in *Jordan An Archaeological Reader*, ed. R. Adams. London: Equinox.

Herzog, Z.
1994 The Beer-Sheba Valley: From Nomadism to Monarchy. Pp. 122- 149 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

Hodder, I., Orton, C.
1989 *Spatial Analysis in Archaeology*. New York: Cambridge University.

Hopkins, D.C.
1985 *The Highlands of Canaan: Agricultural Life in the Early Iron Age*. Sheffield: Almond.

Issar, A., Zohar, M.
2007 *Climate Change – Environment and History of the Near East*. Berlin: Springer.

Johnson, G.
1972 A Test of the Utility of Central Place Theory in Archaeology. Pp. 769-785 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Kenyon, K.
1965 *Archaeology in the Holy Land*. London: Methuen.

Killebrew, A.
2005 *Biblical Peoples and Ethnicity: An Archaeological Study of Egyptians, Canaanites, Philistines, and Israel, 1300-1100 B.C.E.* Leiden, Boston: Brill.

King, P.L.
1983 *American Archaeology in the Mideast: A History of the American Schools of Oriental Research*. Philadelphia: The American Schools of Oriental Research.

Krause, R.
1999 Kinship, Tradition and Settlement Pattern: An Archaeology of Prehistoric Middle Missouri Community Life. Pp. 129-144 *in Making Places in the Prehistoric World: Themes in Settlement Archaeology,* eds. J. Brück and M. Goodman. London: University College London.

Lemche, N. P.
1985 *Early Israel: Anthropological and Historical Studies on the Israelite Society Before the Monarchy*. Leiden: E.J. Brill.

Marfoe, L.
1979 The Integrative Transformation: Patterns of Sociopolitical Organization in Southern Syria. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 234:1-42.

May, H.G.
1981 *Oxford Bible Atlas. London*: Oxford University.

Mazar, A.
1990 *Archaeology of the Land of the Bible: 10,000-586 B.C.E.* London: Doubleday.

1992 The Iron Age I. Pp. 258-301 in *The Archaeology of Ancient Israel,* (ed.) A. Ben-Tor, Trans. R. Greenberg. London: Yale.

2007 The Israelite Settlement. Pp. 85-98 in *The Quest for the Historical Israel: Debating Archaeology and the History of Early Israel,* by I. Finkelstein and A. Mazar, ed. B. Schmidt. Atlanta: Society of Biblical Literature.

Meek, T. J.
1936 The Israelite Conquest of Ephraim. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 61: 17-19.

Mendenhall, G. E.
1962 The Hebrew Conquest of Palestine. *Biblical Archaeologist* 25/3: 66-87.

1973 *The Tenth Generation: The Origins of the Biblical Tradition*. London, Baltimore: Johns Hopkins University.

1976 "Change and Decay in All around I See": Conquest, Covenant, and The Tenth Generation. *Biblical Archaeologist* 39/3: 152-157.

Miller II, R.
2000 Survey of Overlooked Potential Iron I Sites in North-Central Palestine. *Palestine Exploration Quarterly* 133: 157-168.

Netser, M.
1998 Population Growth and Decline in the Northern Part of Eretz-Israel during the Historical Period as Related to Climatic Changes. Pp.129-145 in *Water, Environment and Society in Times of Climatic Change*, eds. A. Issar, N. Brown. London: Kluwer.

Neumann, J., Parpola, S.
1987 Climatic Change and the Eleventh-Tenth-Century Eclipse of Assyria and Babylonia. *Journal of Near Eastern Studies* 46/4: 161-182.

Noth, M.
1948 *Überlieferungsgeschichte des Pentateuch*. (Trans. B. Anderson 1972. *A History of Pentateuchal Traditions*. Prentice-Hall).

1958 *The History of Israel*. New York: Harper & Row.

Nützel, W.
1976 The Climate Changes of Mesopotamia and Bordering Areas. *SUMER* 32/1&2: 11-25.

Ofer, A.
1993 Judean Hills Survey. Pp. 815-816 in *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol.3*, ed. E. Stern. Jerusalem: Israel Exploration Society.

1994 'All the Hill Country of Judah': From a Settlement Fringe to a Prosperous Monarchy. Pp. 92-121 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

Olami, Y.; Ronen, A.; and Romano, A.
2003 *Map of Haifa – West (22)*. Jerusalem: The Israel Antiquities Authority.

Parr, P.
1972 Settlement Patterns and Urban Planning in the Ancient Levant: The Nature of the Evidence. Pp. 805-810 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Perrot, J.
1960 Excavations at 'Eynan ('Ein Mallaha) Preliminary Report on the 1959 Season. *Israel Exploration Journal* 10/1: 14-22.

Picard, L.
1973 Geology. Pp. 112-136 in *Geography*. Jerusalem: Keter Books.

Piggott, S.
1972 Conclusion. Pp. 947-953 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Pritchard, J.B.
1987 *The Harper Atlas of the Bible*. New York: Harper & Row.

Rambeau, C.
2010 Palaeoenvironmental Reconstruction in the Southern Levant: Synthesis, Challenges, Recent Developments and Perspectives. *Philosophical Transactions of the Royal Society* 368: 5225-5248.

Rambeau, C., Black, S.
2011 Paleoenvironments of the Southern Levant 5,000 BP to Present: Linking the Geological and Archaeological Records. Pp.94-104 in *Water, Life and Civilisation: Climate, Environment and Society in the Jordan Valley,* eds. S. Mithen, E. Black. Cambridge: Cambridge University.

Rast, W.
1992 *Through the Ages in Palestinian Archaeology: An Introductory Handbook*. Philadelphia: Trinity.

Robbins, M.
2001 *Collapse of the Bronze Age: The Story of Greece, Troy, Israel, and the Peoples of the Sea*. New York: Authors Choice.

Roberts, B.
1996 *Landscape of Settlement: Prehistory to the Present*. London: Routledge.

Rosen, B.
1994 Subsistence Economy in Iron Age I. Pp. 339-351 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

Rosen, A., Rosen, S.
2001 Determinist or not Determinist?: Climate, Environment, and Archaeological Explanation in the Levant. Pp. 535-549 in *Studies in the Archaeology of Israel and Neighboring Lands in Memory of Douglas L. Esse*, ed. S. Wolff. Chicago: The Oriental Institute of the University of Chicago.

Rosen, S.A.
2008 Negeb: Bronze Age. Pp. 1061-1064 in *The Anchor Yale Bible Dictionary Vol.3*, ed. D.N. Freedman. New Haven, London: Yale University.

Rouse, I.
1972 Settlement Patterns in Archaeology. Pp. 95-107 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Sasson, A.
2010 *Animal Husbandry in Ancient Israel: A Zooarchaeological Perspective on Livestock Exploitation, Herd Management and Economic Strategies.* London, Oakville: Equinox.

Schattner, I.
1973 Physiography. Pp. 24-93 in *Geography.* Jerusalem: Keter Books.

Shavit, A.
2008 Settlement Patterns of Philistine City-States. Pp. 135-164 in *Bene Israel: Studies in the Archaeology of Israel and the Levant during the Bronze and Iron Ages in Honour of Israel Finkelstein,* eds. A. Fantalkin and A. Yasur-Landau. Leiden: Brill.

Smith, G.A.
1966 *The Historical Geography of the Holy Land*. London: Collins.

Smith, P.
1972 Land-use, Settlement Patterns and Subsistence Agriculture: A Demographic Perspective. Pp. 409-425 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Stager, L. E.
1985 The Archaeology of the Family in Ancient Israel. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 260: 1-35.

Thompson, T.L.
1992 *Early History of the Israelite People: From the Written and Archaeological Sources.* Leiden: Brill.

Trigger, B.
1968 The Determinants of Settlement Patterns. Pp. 53-78 in Settlement *Archaeology*. ed. K. Chang. California: National Books.

1972 Determinants of Urban Growth in Pre-Industrial Societies. Pp. 575-599 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

1978 *Time and Tradition: Essays in Archaeology Interpretation*. New York: Columbia.

Tringham, R.
1972 Introduction: Settlement Patterns and Urbanization. Pp. XIX- XXVIII in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Tristram, H.B.
2006 *The Physical Geography, Geology, and Meteorology of the Holy Land.* New Jersey: Gorgias.

van der Steen, E.
2004 *Tribes and Territories in Transition.* Orientalia Lovaniensa Analecta 130. Louvain: Peeters.

Weippert, M.
1971 *The Settlement of the Israelite Tribes in Palestine*, trans. J. Martin. London: SCM Press.

1982 Remarks on the History of Settlement in Southern Jordan during the Early Iron Age. Pp.153-162 in *Studies in the History and Archaeology of Jordan*, ed. A. Hadidi. Amman: Department of Antiquities.

Wilkinson, T.
2010 Models of Human Settlement and Behavior: The Role of Ethnoarchaeology. Pp. 133-147 in *Proceedings of the 6th International Congress of the Archaeology of the Ancient Near East: 5 May-10 May 2009, Sapienza, Università di Rome Vol.1*, eds. P. Matthiae; F. Pinnock; L. Nigro; and N. Marchetti. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag.

Willey, G., Sabloff, J.
1974 *A History of American Archaeology*. San Francisco: W.H. Freeman.

William, A.
1972 Ecology, Techniques and Settlement Patterns. Pp. 211-226 in *Man, Settlement and Urbanism*, eds. P. Ucko; R. Tringham; and G. Dimbleby. London: Duckworth.

Wright, G. E.
1940 Epic of the Conquest. *Biblical Archaeologist* 3/3: 25-40.

1960 *Biblical Archaeology: Abridged ed.* Philadelphia: Westminster.

1961 The Archaeology of Palestine. Pp. 85-139 in *The Bible and the Ancient Near East: Essays in Honor of William Foxwell Albright*, ed. G.E. Wright. New York: Doubleday.

Yadin, Y.
1982 Is the Biblical Account of the Israelite Conquest of Canaan Historically Reliable? *Biblical Archaeology Review* 8/2: 16-23.

1985 Biblical Archaeology Today: The Archaeological Aspect. Pp.21- 27 in *Biblical Archaeology Today: Proceedings of the International Congress on Biblical Archaeology, Jerusalem, April 1984.* Jerusalem: Israel Exploration Society.

Younker, R. W.
2003 The Iron Age in the Southern Levant. Pp.367-382 in *Near Eastern Archaeology: A Reader*, ed. S. Richard. Winona Lake, Indiana: Eisenbrauns.

Zertal, A.
1993 The Mount Manasseh (Northern Samarian Hills) Survey. Pp.1311-1312 in *The New Encyclopedia of Archaeological Excavations in the Holy Land Vol.4,* ed. E. Stern. Jerusalem: The Israel Exploration Society.

1994 'To the Land of the Perizzites and the Giants': On the Israelite Settlement in the Hill Country of Manasseh. Pp. 47-69 in *From Nomadism to Monarchy: Archaeological and Historical Aspects of Early Israel*, eds. I. Finkelstein, N. Na'aman. Jerusalem, Washington: Yad Izhak Ben-Ziv; Israel Exploration Society; and Biblical Archaeology Society.

2004 *The Manasseh Hill Country Survey Vol.1: The Shechem Syncline.* Leiden: Brill.